

ab
541mC

Ibn Khal

(مقدمة ابن خلدون)

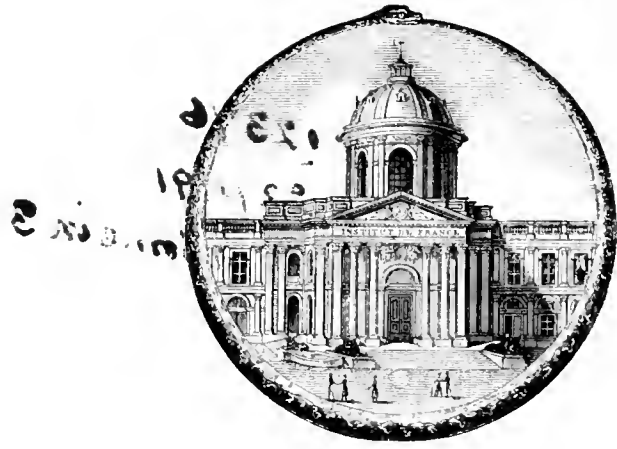
PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KILALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIE, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPERIALE,

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER. — PREMIÈRE PARTIE.
ORIGINAL TITLE: MUKADDIMA



PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
RUE DU CLOÎTRE SAINT-BENOÎT, 7.

M DCCC LVIII.

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى الحمد لله الذي له العزة
والجبروت وبيده الملك والملكوت ولد الاسماء الحسنى والنعوت
العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم او يخفيه السكوت القادر فلا
يعجزه شئ في السموات والارض ولا يغوت انشاءنا من الارض نسبا
واستعمرنا فيها اجيالا وامما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا
الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

وَتَعْتَوِرُنَا الْآجَالَ الَّتِي خَطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْقُوتُ وَلَهُ الْبَقَا وَالشَّبُوتُ
وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَهْوِي وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ
الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبُ فِي التَّوْبِيغِ وَالْإِنْجِيلِ الْهِنْعُوتِ الَّذِي تَمَخَّضَ
لِفَصَالِهِ الْكُونَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْآحَادُ وَالسَّبُوتُ وَيَتْبَايِنَ زُحُلُ
وَالْبَهْمُوتُ وَشَهِدَ بِصِدْقِهِ الْحَمَامُ وَالْعَنْكَبُوتُ وَعَلَى آلِهِ وَأَحْسَابِهِ
الَّذِينَ لَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْإِثْرُ الْبَعِيدُ وَالصِّيْتُ وَالشَّمْلُ
الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلَعْدُوهُمْ الشَّمْلُ الشَّتِيتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
مَا اتَّصَلَ لِلْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَبْخُوتُ وَأَنْقَطَعَ بِالْكَفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ
وَسَأَمَ كَثِيرًا (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ فَنَ التَّارِيخِ مِنَ النُّونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُ
الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ وَتَشُدُّ إِلَيْهِ الرِّكَايِبُ وَالرِّجَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ
السُّوقَةُ وَالْأَغْفَالُ وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ وَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ
الْعُلَمَاءُ وَالسَّجَّالُ إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى إِخْبَارِ عَنِ الْإِيَّامِ
وَالدُّوَلِ وَالسُّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى تَسْمَقُ لَهَا الْأَقْوَالُ وَتَصْرَفُ فِيهَا
الْأَمْثَالُ وَتَطْرَفُ بِهَا الْإِنْدِيَّةُ إِذَا غَضِبَهَا الْإِحْتِفَالُ وَتُودَى لَهَا شَانُ
الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَغْلَبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ وَأَتَسَّعَ لِلدُّوَلِ النُّطَاقُ فِيهَا
وَالسَّجَالُ وَعَسَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الْإِرْتِحَالُ وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ لِلسَّكَايِنَاتِ وَمِبَادِيهَا دَقِيقٌ وَعَسَامُ
بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ فَهُوَ لِذَلِكَ أَصْلٌ فِي السَّحْكِيَّةِ عَرَبِيٌّ
وَجَدْبَرِيٌّ بَانَ يَعَدُّ فِي عِلْمِهَا وَخَالِيقٌ وَأَنَّ فَحْمُولَ الْهَيُورِيِّينَ فِي الْإِسْلَامِ
قَدْ اسْتَوْعَبُوا إِخْبَارَ الْإِيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي عَنَفَاتِ الدَّفَاتِرِ

وادعوها وحاطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها
 وابتدعوها وزخرف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتنى
 تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وادوها لنا كما سبغوها
 ولم يلاحظوا اسباب الوقايح والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات
 الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب
 كليل والغلط والوهم نسيب للاخبار وخلييل والتقليد عريق في
 الادميين وسليل والتطفيل على الفنون عريض طويل ومردى
 الجهل بين الانام وبيل والحق لا يقاوم سلطانة والباطل يقذف
 بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو يدلى وينقل والبصيرة تنقد
 الصحيح اذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل هذا
 وقد دون الناس في الاخبار واكثرها وجمعوا توارىخ الامم والدول في
 العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة واستفرغوا
 دواوين من قبلهم في صحفهم المتاخرة فهم قليلون لا يكادون
 يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق
 والطبرى والكابى ومجد بن عمر الواقدى وسيف بن عمر الاسدى
 والمسعودى وغيرهم من المشاهير والتمتيزين عن الجماهير وان
 كان في كتب المسعودى والواقدى من المطعن والمغزى ما هو
 معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة والشقات الا ان الكافة
 اختصوهم بقبول اخبارهم واقتفا سننهم في التصنيف وانباغ آثارهم
 والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما يتقاون او اعتبارهم

فلمعمران طبائع في احواله يرجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار ثم ان اكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعيوم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في الياخذ واليهتاركت ومن هؤلاء من اوعب ما قبل الهلة من الدول والامم والامر العيم كالمسعودى ومن نحا منحاه وجاء بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعيد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن ابوحيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افريقية والدولة التي كانت بالقيروان لم يات من بعد هؤلاء الا مقلد وبليد الطبع والعقل او متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثال ويذمحل عيا احالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقايع في العصور الاول صورا قد تجردت عن موادها وصفحا انتصيت من اغيادها ومعارف تستنكر للجهل بطارفيها وتلادها انيا هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها اتباعا لمن عنى من المتقدمين بشانها ويغفلون امر الاجيال الناشية في ديوانها بما اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم (1) عن

(1) Manusc. B. تجتهم; manusc. C. صحفهم.

بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادئ الاحوال ومراتبها مفتشا عن اسباب تراجعها او تعاقبها باحثا عن المتع فى تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله فى مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الجهل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوائد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعواید ولما طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وانا المفلس احسن السوم فانشاءت فى التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا وبنيت على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب فى هذه الاعصار وملوا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال والقصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان الذان عرف بالمغرب ما وهما وطال فيه على الاحقاب

مشواها حتى لا يكاد يتصوّر عنه (1) متتواهما (2) ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواها فهذبت مباحثه تهذيبا وقربته لافهام العلياء والخاصة تقريبا وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غريبا واخترته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا وشرحت فيد من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتياح الانساني من الاعراض الذاتية ما يمتنع بعلل الكواين واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك وترتبه على مقدمة وثلاثة كتب (المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والايام ببغالط البورجين (الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيد من العوارض الذاتية من الملك والاساطان والكسب والمعاش والصنایع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب (الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم واوليهم منذ مبداء الخليقة الى هذا العهد وفيه الالهام ببعض من عاصره من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى اسرائيل والقبط ويونان والترك والروم (الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومواليهم من زنانه وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم لما كانت الرحلة الى

(1) Man. A. من.

(2) منسواهما. Man. C.

المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الفرض (1) والسنة في مطافه ومزاره
والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافتت ما نقصني من
أخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيما ملكوه من
الأقطار واتبعت بها ما كتبت في تلك الأسفار وادرجتها في
ذكر المعاصرين لتلك الأجيال من أمم النواحي وملوك الأمصار
منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مقتديا بالمرام
السهل من العويص داخلا من باب الأسباب على العموم إلى
الأخبار على الخصوص فاستوعب (2) أخبار الخليقة استيعابا وذلّل
من الحكم النافرة صعابا وأعطى لحوادث الدول عللا وأسبابا
وأصبح للحكمة صوّانا وللتاريخ جرابا ولها كان مشتتلا على أخبار
العرب والبربر من أهل المدر والوبر والألمام بهن عاصرهم من
الدول الكبرى وافصح بالذكري والعبر في مبادئ الأحوال وما بعدها
من الخبر (3) سهيته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في
أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلاطان الأكبر
ولم أنكرت شيئا في أولية الأجيال والدول وتعاصر الأمم الأولى
وأسباب التصرف والحول (4) في القرون الخالية واليهائل وما
يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلّة وعزّة وذلّة وكثرة وقلة
وعلم وصناعة وكسب واضاعة وأحوال منقلبة مشاعة وبدو وحضر

1) Man. B. الفرض.

(3) Man. A. الخبر.

2) Man. B. أسعيت.

(4) Man. B. الحول. C. السجول.

وواقع ومنتظر الا واستوعبت جهله واوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة التريفة وانا من بعدها موقن بالتصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضى فى مثل هذا القضا راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضا فى النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعدد لما يعثرون عليه بالاصلاح ولاغضا فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة ولاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعيالنا خالصة لوجهه وهو حسبى ونعم الوكيل

(المقدمة) فى فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالباع بما يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة شريف العائدة (1) اذ هو يقفنا على احوال الهاضين من الامم فى اخلاقهم والانبياء فى سيرهم والبلوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وقسمة يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان بد عن اليزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتد (2) فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتياح الانسانى ولا قيس الغايب منها

(1) Man. C. الغاية.

(2) Man. B. اعتبر. C. اعتهد.

بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومنزلة
القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين
وايئة النقل المغالط في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غشا او سدينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها
باشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء
الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت
في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها
الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودى وكثير
من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل وان موسى عليه السلام
احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة
من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون ويذهل
في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد
من الجيوش فلكل مملكة من الممالك حصنة من الحامية
تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد
المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا
العدد يجب ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها
وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف
يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفيين وشى من
جوانبه لا تشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالهاضى

اشبه بالآتى من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامه بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم ولسطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالك بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا فى اتباعهم اكثر من مايتى الف وعن عايشة والزهرى ان جموع رستم التى زحف بها لسعد بالقادسية انها كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لانتسح نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية والقبيل القاييين بها فى قلتها وكثرتها حسبما يتبين فى فصل الممالك من الكتاب (1) والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخبير من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة اباة على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن قاهت بفتح الهاء او كسرهما بن لاوى بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو

(1) Le man. C. ajoute الاول.

اسرائيل الله هكذا نسيه في التورية والمدة بينهما على ما نقله
 اليسعودى قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين
 اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم يبصر الى ان خرجوا
 مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة يتداولهم
 ملوك القبط من الفراعنة ويبعد ان يتشعب النسل فى اربعة
 احيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجموش
 انما كان فى زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فبعيد ايضا اذ
 ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر اباؤه فانه سليمان بن
 داود بن ايشاي بن عويد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوعر بن
 سليون بن نجشون بن عميناذاب ويقال حميناذب بن رام بن
 حضرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بيرس بن يهوذا بن
 يعقوب ولا يتشعب النسل فى احد عشر من الولد الى مثل هذا
 العدد الذى زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون واما ان
 يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك فى
 الحاضر الشاهد والتقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا
 والذى ثبت فى الاسرايليات ان جنود سليمان كانت اثنى عشر
 الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على
 ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
 العامة منهم وفى ايام سليمان عليه السلام كان غنوان دولتهم
 وانساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا فى

الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا في احصاء اموال الحبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضايع الاغنياء الموسرين توغلاوا في العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة في بضايعهم وفوايدهم واستجلبت عوايد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرابة وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن اليقظ والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنائه ويسيم في مراتع الكذب لسانه ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك بها صفقة خاسرة وقد يقال ان العوايد انها تمنع من نمو الذرية الى مثل (1) هذا العدد في غير بنى اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان فيما اوحى الى آبايهم من الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم حتى يكثر نجوم السماء وحصص الارض وانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة خارقة للعادة في حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد بالطعن على خبر ذلك وانه فيها ورد في التوراة واليهود قد

(1) Man. A. نسل.

بدلوها على ما هو معروف فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره لان العادة مانعة من اعتماد اهل الاديان ذلك فى صحفهم الالهية كما ذكره البخارى فى صحيحه فيكون هذا النمو الكثير فى بنى اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك فى غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الزحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليد حاجة واختصاص كل مملكة بعددها من الحامية صحيح وبنو اسرائيل لم يكونوا اولا حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النمو ليستولوا على ارض كنعان التى وعدهم الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادى الى الحق (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة فى اخبار الشباينة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قرارهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب والى الترك وبلاد التبت من بلاد المشرق وان افريقس (1) بن قيس بن صيفى من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام او قبله بقليل غزا افريقية واثنى فى البربر وانه الذى سماهم بهذا الاسم حين سيع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عند ودعوا به من يومئذ وانه لما انصرف عن المغرب جبر هناك قبائل من حمير فاقاموا بها فاختلطوا باهلها ومنهم منهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني

1 Man. A. امرقئس. Man. B. امرقئس.

والمسعودى وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وباباه نسابة (1) البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا لاذعار من ملوكهم بعد افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودونخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية اند ملك الموصل واذربيجان ولقى الترك فهزمهم واثخن فيهم ثم غزاهم وثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزا ثلاثة من بنيه الى بلاد فارس والى بلاد الصغد من احم الترك وراء النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثانى الذى غزا الى الصغد قد سبقه اليها فاشخنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنايم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فحاصرها ودونخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريضة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصاص الموضوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من

(1) Man. A. نسبة.

الشرق وبحر السويس الهابط منه أيضا الى السويس من اعمال
مصر من جهة المغرب كما تراه في مصوّر الجغرافيا فلا يجد
السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس
والمسالك هناك ما بين بحر السويس والبحر
الشامى قدر مرحلتين فيها دونها ويبعد ان يمر بهذا
المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير ان تصير من
اعماله هذا ممنوع فى العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالقة
وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك
بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التبابعة حاربوا احدا من
هؤلاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من
اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا
فى غير اعمالهم احتاجوا الى انتساف الزروع والنعم وانتهاب
البلاد فيما يمترون عليه ولا يكفى ذلك للازودة والعلوفة عادة وان
نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تنفى لهم الرواحل بنقله
فلا بد وان يمتروا فى طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودونوها
لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تهر بهؤلاء الامم
ولا تمهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمية فذلك ايضا ابعد واشد
امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادى
الرميل الذى يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره فى المغرب
على كثرة سالكه ومن نقض طرقه من الركاب والغزى فى كل

عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة مما تتوقر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسلك السوس الا ان الشقة هنا أبعد وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط ان التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يجارون أهل فارس على حدود أرض العراق وبلاد العرب ما بين البحرين والحيرة المتاخمة بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذى الأذعار منهم وكيقائوس من ملوك الكينية وبين تبع الأصغر أبو كرب ويستاسب منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكينية والساسانية من بعدهم فمجاورة التبابعة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت ستنح عادة من أجل الأمم المعترضة دونهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالأخبار بذلك وأهمية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهي لم تنقل من وجد صحيح وقول ابن اسحق ان تبعا الآخر سار إلى المشرق مجول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه بما تقرّر فلا تثقن بها يلقي اليك من ذلك وتأمل الأخبار وأعرضها على القوائين الصحيحة يقع لك تمحيصها باحسن وجه والله الهادي إلى الصواب (فصل) وأبعد من ذلك وأعرق منه في الوهم ما يتناقله المفتشرون في تفسير سورة الشجر عند قوله تعالى ألم تركيف فعل

ربك بعاد ارم ذات العماد يجعلون لفضة ارم اسما لمدينة
وصفت بانها ذات العماد اى الاساطين وينقلون انه كان لعاد
ابن عوض بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك
شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف
الجنة فقال لابن بنى مثلها فبنى مدينة فى صحارى عدن فى ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا ذكر ذلك الطبرى والشعالبي والزمخشري وغيرهم من
المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج
فى طلب ابل له فوق عليها وحيل منها ما قدر عليه وبلغ خبره
الى معوية فاحضره وقص عليه فبعث الى كعب الاحبار وساله عن
ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
فى زمانك احبر اشقر قصير على حاجبه خال وفى عنقه خال
يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله
هذا ذلك الرجل انتهى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من
يومئذ فى شئ من بقاء الارض وصحارى عدن التى زعموا انها
بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمراند متعاقبا والركاب
والادلاء تنفض طرقه من كل وجد ولم ينقل عن هذه المدينة خبر

ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست
 فيما درس من الآثار لكان اشبه الآ ان ظاهر كلامهم انها موجودة
 وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي
 الهذيان ببعضهم الى انها غايبة عن الحسن وانما يعثر عليها اهل
 الرياضة والسحرة مزاعم كلها شبيهة بالخرافات والذي حمل
 اليه تسمين على ذلك ما اقتضت صناعة الاغراب في لفظ ذات
 العباد من انها صفة ارم وحملوا العباد على الاساطين يتعين ان
 يكون بناء ورشح لهم ذلك قرآءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه
 بالافاصيص الموضوعة واقرب لتفسير (1) سيفوية المنقولة في عداد
 المضحكات والآ فالعباد هي عباد الخيام وان اريد بها الاساطين
 فلا بدع بوصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر
 من قوتهم لا انه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما
 في قرآءة ابن الزبير فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول
 قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار من غير ضرورة الى هذا
 المحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه امثال هذه الحكايات الواهية
 التي تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (ومن الحكايات
 اليدخولة لليورثيين) ما ينقلونه كافة عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة
 من قصة العباسية اخذ مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة وآته

(1) Man. A. للتفسير.

لكلفه بيكانها من معارته اياها الخمر اذن لها في عقد النكاح
دون الخلو حرمنا على اجتماعهما في مجلسه وان العباسة
تحملت عليه في التماس الخلو به لما شغفها من حبه حتى
واقعا في حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشيده فاستغضب
وهيئات ذلك من منصب العباسة في دينها وابوتها وجلالها
وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينهما وبينه الا اربعة رجال
هم اشرف الدين وعظيما الملة من بعده العباسة بنت محمد
المهدي بن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن
علي ابي الخلفاء بن عبد الله ترجمان القران بن العباس عم
النبي صلى الله عليه وسلم بنت خليفة اخت خليفة محفوفة
بالمك العزيز والخلافة النبوية وصحة الرسول وعمومته وامامة
الملة ونور الوحي ومهبط الملايكة من ساير جهانها قريبة عهد
ببداوة العربية وسداجة الدين البعيدة من عوايد الترف ومرانع
النواحيش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين
توجد الطهارة والزكاء اذا فقد من بيتها وكيف تاخم نسبها
بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بهول من موالى
العجم تملك جده من الفرس مولاه (1) جدها من عمومة
الرسول واشرف فريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه وضبع
ابيد واستخلصتهم ورقتهم الى منازل التشريف وكيف يسوغ

(1) أو قولها. Man. C.

من الرشيد ان يصهر الى موالى العجم على بعد همتته وعظم آبايد
ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنسة
ملك من اعظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثلد مع مولى
من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكره ولج (1) فى
تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة
ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال السجاية حتى
كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره
وشركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى امور ملكه
ف عظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها
بالروساء من ولدهم وعنايهم واحتازوها عن سواهم من وزارة
وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين
صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة
بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح ليمان ابيهم يحيى من
كفالة هارون ولى عهد وخليفة حتى شبت فى حجره ودرج
من عشد وغلبه على امره وكان يدعو يا ابتي فتوجه الاشار
من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط السجاء عندهم
وانصرفت نحوهم الوجوه ونخصعت لهم الرقاب وقصرت
عليهم الامال وتخطت اليهم من اقصى التسخوم هدايا الملوك

(1) Man. A. لجا.

وتحرف الامراء وتسربت الى خزائهم في سبيل التزلف
 ولاستيالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظها
 القراية العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا (1) من بيوتات الاشراف
 المعدم فكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا
 لغفاتهم الجوايز والصلات واستولوا على القرى والضياع من
 الضواحي والامصار في ساير الممالك حتى اسفوا البطانة
 واحقدوا الخاصة واغصروا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه
 المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب
 السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة (2) احوال جعفر من اعظم
 الساعين عليهم لم تعظمهم لها وقر في نفوسهم من الحسد
 عواطف الرحم ولا وزعتهم اوامر القراية وقارن تلك عند
 مخدومهم نواشى (3) الغيرة ولاستنكاف من الحجر ولانفة وكامن
 الحقود (4) التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار
 على شانهم الى كبار المخالفة كقتلتهم في يحيى بن عبد
 الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي
 محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على الهنصور
 ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد
 الديلم على امان الرشيد بنخطه وبذل الف الف درهم على

(1) Man. B. كيسوا.

(3) Man. A. مواشى.

(2) Man. B. قحطينة.

(4) Man. A. الحقود.

ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره
والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله
والاستبداد بحل عتاله حرصا لدماء اهل البيت بزعمه ودالة
على السلطان فى حكمه وساله الرشيد عند لما وشى به
عليه فظن وقال اطلقته فابدى له وجد الاستحسان واسرها فى
نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نزل
عرشهم واكفيت عليهم سواهم وحسفت الارض بهم وبدارهم
وزهبت سلفا ومثلا للاخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم
واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر مهده
الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد الله فى مفاوضة الرشيد عم
جده داوود بن على فى شأن نكبتهم وما ذكره فى باب
الشعراء من كتاب العقد فى محاوراة الاصمعى للرشيد وللفضل
بن يحيى فى سيرهم تتفهم انه انما قتلهم الغيرة والينافسة
فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
اعدائهم (1) من البطانة فيما دسوه للمغيبيين من الشعراء احتيالا
على اسماعد للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله
ليت منى اجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انها العاجز من لا يستبد
وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بعثوا بامثال

(1) Man. A. et B. اعدادهم.

هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا (1) لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان وبكاية من مواعظهم ودعايه بيكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح باول (2) وقتها حكى الطبري وغيره انه كان يصلى كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحجّ عاما ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكة سيره حين تعرض له بهتل ذلك في الصلاة لها سمعد يقرأ وما لى لا اعبد الذى فطرني قال والله لا ادري لم فما تمالك (3) الرشيد ان ضحك ثم التفت مغضبا وقال يا بن ابي مريم فى الصلاة ايضا ايتاك والقران والدين ولك ما شئت بعدها وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بىمكان لقرب (4) عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه ابي جعفر بعيد زمن اتما خلفه غلاما وقد كان

(1) Man. B. حاشى لله .

(3) Man. A. تمالك .

(2) Cod. B. لاول .

(4) Man. A. بقرب .

ابو جعفر بيمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو
 القايل ليالك حين اشار عليه بتاليف البيوطا يا ابا عبد الله
 انه لم يبق على وجه الارض اعلم منى ومنك واننى قد
 شغلتنى الخلافة فصنع انت للناس كتابا ينتفعون به تجتنب فيه
 رخص ابن عباس وشدايد ابن عمير ووطيد للناس توطية فقال
 مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه
 اليهدى ابو الرشيد هذا وهو يتووع عن كسوة الجديد لعياله من
 بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطين
 فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف اليهدى من
 ذلك وقال يا امير المؤمنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا
 من عظامى فقال لك ذلك ولم يصدده عنه ولا سمح
 بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب
 العهد من هذا الخليفة وابوته وما روى عليه من امثال هذه
 السير فى اهل بيته والتخلق (1) بها ان يعاقر فى الخمر او يجاهر
 بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية فى
 اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم (2) وكان شربها
 مذممة عند الكبير منهم والرشيد وآبواوه كانوا على ثبج من
 اجتناب المذمومات فى دينهم وديانهم والتخلق بالمحامد
 واوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبرى

(1) Man. A. التخلق.

(2) Man. A. شجرتهم.

والمسعودى فى قصة جبرئيل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك فى مايدته فحماه عنه ثم امر صاحب اليايدة بحمله الى منزله ووطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوراد والسحوى وصبّ على الثانية ماء مشاجا وعلى الثالثة خمرا صرفا وقال فى الاول والثانى هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام بختيشوع ودفعها الى صاحب اليايدة حتى اذا اتبه الرشيد واحضر للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدوا وتغيرت رايحتهما فكانت له فى ذلك معذرة وتبيّن من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عند انه عهد بحبس ابنى نواس لما بلغه من انها كبد فى المعاقرة (1) حتى تاب واقبلع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من الغنّب فلا سبيل الى اتهامه بها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اوليك القوم كلهم بمنجاة

(1) المسافرة. Cod. A.

من خنث السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر
متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسداجة الدين
التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى
الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبرى
والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بنى
امية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من
الفضة في المناطق والسيوف والراجم والسروج وان اول خليفة
احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن
الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملابسهم فما
ظنك في مشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت
طبيعة الدولة في اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح في
مسائل الكتاب الاول ان شاء الله تعالى (ويناسب هذا) او
قريبا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكرم قاضى المأمون
وصاحبه وانه كان يعاقر المأمون الخمر وانه سكر ليلة مع شربد
فدفن في الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدى وامير الناس كلهم قد جرفى حكمه من كان يستينى
انى غفلت عن السقى فصيرنى كما ترائى سلب العقل والدين

وحال ابن اكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرايبهم
انما كان النبيذ ولم يكن مسحورا عندهم واما السكر فليس من
شانهم وصحابته للمأمون انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت

انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام يتجسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحیی بن اكثم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذی فی كتابه الجامع ذكر الحافظ المنزی ان البخاری روى عنه في غير الجامع فالتدح فيه قدح في جميعهم (1) وكذلك ينزه المصنوع بالميل الى الغلمان بهتاناً على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدايد فانه كان محسداً في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً (2) عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكاراً شديداً واتنى عليه وقيل لاسم عيل مما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله لتكذيب باغ وحاسد وقال يحيى بن اكثم ابراء الى الله من ان يكون فيه شئ مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اتقى على سرايرد فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بها روى به وذكره ابن حيان في

1. Man. A. جميعهم.

2. Man. B. يتنزه. A. ينزه.

الثقات وقال لا تشتغل (1) بما يحكى عنه لان اكثرها لا تصح عنه (ومن امثال) هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه عثر في بعض الليالي في تطوافه (2) بسكك بغداد بزنبيل مدلى (3) من بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقطعه وتناول المعلق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتضييد ابنته (4) وجمال روايه ما يستوقف الطرف ويملك النفس (5) وان امرأة برزت من خلل الستور في ذلك المجلس رايعة الجمال فتاندة المحاسن فحيته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه الى الاصهار الى ابيها وابن هذا كله من حال المامون المعروفة في دينه وعامه واقتنايه سنن الخلفاء الراشدين من ابائه واحذاه بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله في عبادته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المشتهرين (6) في التطواف بالليل وطروق

(1) Man. A. et B. يشتغل

(4) Man. C. ابنته.

(2) Man. A. تطوفه.

(5) Man. A. النفس.

(3) Man. A. يدل.

(6) Man. C. المشتهرين. Je lis

المنازل وغشيان السر سبيل عشاق الاعراب واين ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار ابيها من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المروءة ويتعلمون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون باشباه هذه الاخبار وينقرون (1) عنها عند تصقحهم لاوراق الدواوين ولو ايتسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون (ولقد عدلت يوما بعض الامراء من اولاد الملوك في كلفه بتعلم الغنا وولوعه بالاوثار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا (2) تأسيت بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم عن عدلى واعرض (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والظعن في نسبهم الى اسمعيل الامام بن جعفر

(1) Man. A et B. يقرون.

(2) Man. A. هل.

الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لقتت
 ليستضعنين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن
 ناصبهم وتفتنا في السمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه
 الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن النطن لشواهد الواقعات
 وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب
 دعواهم والرد عليهم فانيهم متفقون في حديثهم عن مبداء دولة
 الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من
 آل مجد واشتهر خبره وعلم تحويده على عبيد الله المهدي
 وابنه ابي القاسم خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محل
 الخلافة واجتازا بمصر واتهما خرجا من الاسكندرية في زى
 الشجار ونما خبرهما الى عيسى النوشزى عامل مصر
 والاسكندرية فسرح (1) في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا
 خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزي
 فافلتوا الى المغرب وان اليعتضد اوغر الى الاغالبة امراء افريقية
 بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الآفاق عليهما
 واذكاء العيون في طلبهما فغثر اليسع صاحب سجلماسة من
 آل مدرار على خفى مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة
 هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم كان بعد
 ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم

(1) Man. A. فخرج.

بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في اليمالك شق الابلية وكادوا ياجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالي الديلم المتغلبين على خلف بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها حولاً كرتيا وما زال بنو العباس يعضون بيكانهم ودولتهم وملوك بنى امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى بالنسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذا كان دعياً في انتسابه كيف تلاشت دعوتهم وتفرق اتباعه وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم فسأت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

فهيها تكن عند امرء من خليفة وان خالها تخنى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاذ ومواطن الرسول ومدفند وموقف الحجيج ومهبط الالايكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على انم ما كانوا عليه من الصاغية اليهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل ابن جعفر الصادق وقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس انرها داعيين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من عقبهم يزعمون استحقاقهم للخلافة

ويذهبون الى تعينهم بالوصية ممن (1) سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لها ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشتبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك لها كانوا عليه من الاحقاد في الدين والتعمق في الرافضة فليس ذلك بدافع (1) في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيا في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام فى شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمى فلن اغنى عنك من الله شيا ومتى عرف امره قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والقوم كانوا فى مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعهم وانتشارهم فى القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل
فلرسل كلابم ما اسى مادرت واين مكانى ما عرفن مكانى

(1) Man. A. فمن.

(2) Man. A. يدافع

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جدّ عبيد الله المهدي بالمكتوم ستمه بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخذايه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الراى الفايل الى اليستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون بد عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والتدورى والصيرى وابن الاكفانى والابيوردي وابو عبد الله بن النعمان فقيده الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ثنتين واربعماية في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سعه ورووه حسبما وعوه (1) والحق من ورايد وفي كتاب المعتضد في شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلاسة

(1) دعوه Man. A.

اصدق شاهد واوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اقعده
بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم
يجلب اليه بضائع العلوم والصنایع وتلتبس فيه ضوال الحكم
وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافس
والفسفة وسلكت النهج الأمم ولم تجر عن قصد السبيل
نفق (1) في سوقها الابريز الخالص والصحين الصافي (2) وان
ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسامسة البغي والباطل
نفق البهرج والزيف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه
وملتسد (ومثل هذا) وابعده منه كثيرا ما يتناجى به الطاعون
في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام
بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحسد (3)
بالتظن (4) في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد
مولاهم قبحهم الله وابعدهم ما اجهالهم اما (5) يعلمون ان ادريس
الاکبر كان اصهاره في البربر وانه مذ دخل المغرب الى
ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في

(1) Man. A. نفق.

(4) Man. A. بلتظنين.

(2) Man. B. et C. المصفي

(5) Man. A. انها.

(3) J'ai lu الحسد au lieu de الحسد.

كل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأتى فيها الريب واحوال حرْمهم اجيعين برأى من جارائهن ومسمع من حيرائهن لتلاصق الجدران وتظامن البناء وعدم الفواصل بين المساكن (1) وقد كان راشد يتولى (2) خدمة الحرم اجمع من بعد مولاة بمشهد من اوليايهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيد وآنوه طاعتهم عن رضى واصناق وبايعوه على الموت الاحمر وخاصوا دونه بحار المنايا فى حروربه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس اقتالهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافريقيّة وولاتهم وذلك اند لما فر (3) ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فسخ اوغر الهادى الى الاغالبة ان يتعدوا له بالهرصاد (4) ويذكوا (5) عايد العيون فلم يظفروا به ونخلص الى المغرب فتم (6) امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من

1) Man. المسكين.

2) Man. A. يقول.

3) Je lis قر au lieu de فر

4) Man. C. المرصد.

5) Man. B. يذكروا.

6) Man. B. فنها.

دسيسة التشيع للعلوية وادهانده فى نجاهة (1) ادريس الى المغرب
فقتله ودهس الشماخ من موالى ابينه للتحييل (2) على قتل
ادريس فاطهر السحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخالطه بنفسه وناوله الشماخ فى بعض
خلواته سما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس
احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم يتاد اليهم خبر الحمل المخلف
لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعه
بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهزم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن
منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية
المغرب واشتمال البربر عليه الا التحييل فى اهلاكه بالسموم
فعند ذلك فرعوا الى اولياهم من الاغالبه بافريقيه فى سد
تلك الفرجه من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من
قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم يخاطبهم
بدلك المامون ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغالبه من برابرة
المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزيون على ملوكهم احوج
لها طرق الخلافة من انتزاع الهاليك العجم على سدتها

(1) Man. B. نجاة.

(2) Man. B. للتحييل.

وامتطاهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
في رجالها وجبايتها واهل خطتها وسائر نقضها وابرامها كما
قال شاعر عصرهم

خليقة في قفس بين وصف وبعأ يقول ما قال له كما تقول البيغا

فخشي هؤلاء الامراء الاغالبة بوادر السعايات وتلقوا بالمعاذير
فظورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشان ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزة
حدود التحوم من عمله وبنفذون (1) سكتته في تحفهم وهداياهم
ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته
وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه تهديدا بقلب الدعوة
ان الجيوا اليد وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده
المسافة وافن عقول من خلف من صبية بنى العباس
ومهاكهم العجم في القبول من كل قائل والتسمع لكل ناعق
ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبة ففرعت هذه
الكلمة الشنعاء اسماع الغوغا وصر عليها بعض الطاعنين (2) اذند
واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم
الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض فيها بين المقتطوع
والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان

(1) Man. C. ينقدون.

(2) Man. B. الطاعنين et C. الطاعين

تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه
قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر
من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القران ومن اعتقد خلاف
هذا فقد باء بائمه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا
الرد سدا لايواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته
اذناى (1) من قايله المعتد عليهم به القادح في نسبهم
بقرينته (2) وينقله بزعمه عن بعض مورخى (3) المغرب ممن
انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا
فالمحل منزّه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث
يسمحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم في الحيوة الدنيا
وارجو ان يجادلوا عنى يوم القيامة (وليعلم) ان اكثر الطاعين في
نسبهم انما هم الحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتهم الى
اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب دعوى
شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الآفاق فتعرض التهمة فيه
ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر بلاد
المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح (4) مبلغا لا يكاد يلاحق
ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والحجيل من الخلف
عن الامة والحجيل من السلف وبيت جدتهم ادريس مختط

(1) Man. A. اذنى.

(3) Man. A. مورخ.

(2) Man. B. بقريته.

(4) Man. A et B. الوضوح.

فاس وموتسها بين بيوتهم ومسجده لصق محللتهم ودروبهم (1) وسيفه منتضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تاحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدد احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتهيين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون فى انسابهم ويون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى الغناد وارتكاب الاحجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفاييل والقول المكذوب تعليلا بالمساواة فى الطئنة والمشابهة فى تطرق الاحتمال وهيهات لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرآوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى ابن مجد بن يحيى المعدام ابن القاسم بن ادريس بن

(1) Man. B. دورهم.

ادريس وهم بقايا اهل البيت هنالك والساكنون ببیت
جدّهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله وهم بنو عمران بن محمد
ابن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الجوطى والنقيب لهذا
العهد منهم محمد بن علي (1) بن محمد بن عمران
(ويأحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفايلة ما يتناوله
ضعفة الراى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدي
صاحب دولة الموحّدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه
من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل البغى قبله (2)
وتكذيبهم لجميع مدّعياته فى ذلك حتى فيما يزعم
الموحّدون اتباعه انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء
على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسدة على شأنه
فانهم لما (3) راوا من انفسهم مناهضته فى العلم والقتيا وفى
الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى مسجوع القول
موظوء العقب نفسوا ذلك عليه وعضوا (4) منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لهّدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدايه تجلّة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لها كانوا عليه من

(1) Man. A. محمد.

(3) Man. B. دلوا.

(2) Man. A. ملد.

(4) Man. A. et B. عضوا. Je lis.

السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة (1) العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل فى بلده (2) وعلى قدره فى قومه واصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناعبة لهم تشييعا للمتونة وبغضا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله (3) غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاوهم فنادى فى قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاقبلت الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز (4) انصارا وحامية وتساقطت فى ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله باطلاق مذهبهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ عن الحظ والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى ربيا تجنح اليه النفوس ويخادع عن تمنيته فليت شعري ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من

(1) Man. C. بحملة.

(3) Man. C. على.

(2) Man. B. فى كل بلدة.

(4) Man. A et B. اغز.

الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تمّ امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عبادة وأما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعضده حجة لهم مع ان (1) ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبها ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس ساير المصامدة وادانوا (2) باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغه حتى تمّ امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس لنسبه (3) وإنما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية ومكاند منها ورسوخ شجرته فيها (4) وكان ذلك النسب الفاطمي خفياً قد درس عند الناس وبقي عنده وعند (5) عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كأنه انساخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر (6) فيها فلا يضرة الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول (7) عند اهل العصابة ومثل هذا وقع كثيراً اذا كان النسب الاول خفياً وانظر قصة عرفجة (8)

(1) Le M. A. omet أن. Man. C. مع انه يثبت. (5) Mau. A. عند.

(2) Man A. et B. ادانوا.

(6) Man. C. طرر.

(3) Man. C. بسببه.

(7) Man. B. مجهول.

(4) Man. A. منها.

(8) Man. B. عرفجة.

وجرير في رياسة بجيلة (1) وكيف كان عرجة من الأزدي
ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر
رضي الله عنه كما هو مذكور تستفهم منه وجه الحق والله
الهادي الى الصواب (وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب
بالاطاب في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفّاط في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت
بافكارهم ولقبتها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن
القياس ولتقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية (2)
واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظره مرتبكا وعدّ من مناحي العامة فاذن يحتاج صاحب
هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الموجودات واختلاف
الأمم والبقاع والاعصار في السير والاحلاق والعوايد والنحل
والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك
ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول
الدول والهيلل ومبادئ ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها
واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبره
المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى

(1) Man. A. بجيلة.

(2) Man. A. رواية.

على مقتضاها كان صحيحا ولا زينه واستغنى عنه وما استكبر
القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبرى والبخارى
وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل (1)
الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخف
العوام ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والخوض
فيه والتطفل عليه فاختلط المرعى بالهملى واللباب بالقشر
والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط الخفى
فى التاريخ) الذهول عن تبدل الاحوال فى الاعم والاجيال
بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى وشديد الخفاء اذ
لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من
اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم والاعم وعوايدهم ونحلهم
لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على
الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
والاقطار والازمنة والدول سنة الله التى قد خلت فى عباده
وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنبط
والنباغة وبنو اسرائيل والنبط وكانوا على احوال خاسمة بهم فى
دولهم وممالكهم وسياستهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
وساير مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمادهم للعالم

(1) Man. A. et B. دخل.

تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب والفرجة فتبدلت تلك (1) الاحوال وانقلبت بها العوايد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذة الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وایامهم وذهب الاسلاف الذين شيّدوا عزهم (1) ومهدوا ملكهم وصار الامر فى ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والافرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوايد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشايع فى تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه كما يقال فى الامثال الحكيمية الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان ينزوعوا الى عوايد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون عوايد جيلهم مع ذلك فيقع فى عوايد الدولة بعض المخالفة لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومنجبت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشئ وكانت للاولى اشدّ مخالفة ثم لا يزال التدرّج فى المخالفة حتى ينتهى الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال

1) Man. A. كل.

2) Man. A. عزهم.

تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغلط عن قصده وتعوج به عن مراده (1) فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة مع ما عرف وقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما ينقله المورثون من احوال الحجاج وان اباة كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنایع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية (2) والمعلم مستضعف مستكين منقطع الجذم (3) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنایع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل وبعدونها من الميكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنایع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلينا لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون

(1) Man. B. امر الله.

(2) Man. A. العصبية.

(3) Man. B. الخدم.

PROLÉGOMÈNES
d Ebn-Khaldoun.

كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على
الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه قتلوا
واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحصرصون (1) على تعليم
ذلك وتفهيمه للامة لاتصددهم عنه لايمة الكبر ولا يزعمهم (2)
عاذل الائمة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم
كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما
جاء به من شرايع الدين بعث فى ذلك من اصحابه
العشرة (3) فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق
المة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت
بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
لتعدد الوقايع وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا
وصار العلم ملكة تحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنایع
والحرف كما ياتى ذكره فى فصل العلم والتعليم واشتغل
اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام
به من سواهم واصبح حرفة المعاش وشمخت (4) انوف
المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
بالمستضعفين وصار منتحله محقرا عند اهل العصبية والملك

(1) Man. A. فيصرحون.

(3) Man. B. الغرة.

(2) Man. A. et B. يزعمهم; man. C. يزعمهم. (4) Man. A. سمخة.

والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم
ومكانهم من عصبية العرب ومناخضة قريش في الشرف ما
عليت (1) ولم يكن تعليقه للقران على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من
الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ما يتوهمه المتصفحون
لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من
الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس
الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشان في خطة
القضا لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بآبن
ابى عامر حاجب هشام الهستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشبيلية اذا سمعوا ان آباهم كانوا قضاة انهم مثل
القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضا من
مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول
وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القايمين
بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة
القضا كما هي لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر
القديم لاهل العصبيات من قبيل الدولة ومواليها كما هي
الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في

(1) Le man. A. ajoute ما.

الصوايف وتقليدهم عظيم الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنا فيها بالعصبية فيغاط السامع في ذلك ويحمل الاحوال الى غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ اعصار بعيدة لثناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورثبوا للمذلة (1) يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون بها الغلب والتحكّم فتجد اهل الحرف منهم والصنایع متصدّين لذلك ساعين في نيله فاما (2) من باشر احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقل ما يغلطون في ذلك او (3) يخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المورخون عند ذكر الدول ونسق ملوكهم فيذكرون اسمه ونسبه وامه واباه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليدا لمورخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمورخون لذلك العهد كانوا يضعون (4) تواريخهم لاهل

(1) Man. B. للمذلة.

(3) Man. A. ام.

(2) Man. A. بها.

(4) Man. B. يضعون.

الدولة وابناوهم متشوقون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم
ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى فى اصطناع الرجال
من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنایعهم
وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبة الدولة فى عداد
الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله
واقا حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف
العرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول
بعضها من بعض فى قوتها وغلبيها ومن كان يناهضها من
الاعم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف لهذا العهد فى ذكر
الابناء والنساء ونقش الخانم واللقب والقاضى والوزير والحاجب
من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم
انما حياهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين
الانديسين والذهول عن تحرى الاغراض من التاريخ اللهم
لا ذكر الوزراء الذين عظم آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم
كالهجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وكافور الانشىدى وابن ابى عامر وامثالهم فغير نكير الالهاع
بايامهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم فى عداد الملوك
(ولنذكر) هنا فائدة نختم كلامنا فى هذا الفصل بها وهى ان
التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر
الاحوال العامة للأفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمؤرخ يتبنا

عليه أكثر مقاصده ويتبين به أخباره وقد كان الناس يفردونه (1) بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهدده في عصر الشدثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار أمّا للمؤرخين يرجعون اليه وأصلا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الأحوال لأنّ الأمم والأجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغيير وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب التي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهل على القديم بمن طراه فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كثرهم وغلبهم انتزعوا منهم عامة الأوطان وشاركوهم في شئ (2) من البلدان لملكتهم هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجوارف الذي تحيىف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلغ الغاية

(1) يفردونه Man. A.

(2) فيها بقى من Man. C.

من مداها فقلص من ظلالها وفل (1) من حدها واهى (2) من سلطانها وتداعت الى التلاشى ولاضحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والتبايل وتبدل الساكن (3) وكأني (4) بالمشرق وقد نزل به ما قد نزل بالمغرب لكن على نسبتد ومقدار عمرانه وكانما نادى لسان الكون في لعالم بالخدول ولانتقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها (واذا) تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكأته خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدقون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوايد والشغل التي تبدلت لاهلها ويقفوا مسلك الهسعودى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من ياتى من المؤرخين من بعده (وانا) ذاكرفى كتابى هذا ما امكنى منه فى هذا القطر المغربى اما عربى او مندرجا فى اخباره وتلويحا لاختصاص قصدى فى التالين بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعى على احوال المشرق واممه لان الاخبار المتناقلة لا توفى كنه

1, Man. A. et B. قل.

(2) Man. C. اوحى.

(3) Man. B. الساكن.

(4) Man. A. كان.

ما اریده منه والمسعودی انما استوفی ذلك لبعده رحلته
وتقلبه فی البلاد کما ذکره فی کتابه مع انه لما ذکر
المغرب قصر فی استیفاء احواله وفوق کل ذی علم علیم
ومرد العلم کله الی الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعین
واجب ومن کان الله فی عونه تيسرت علیه المذاهب
وانجحت له المساعی والمطالب ونحن آخذون بعون الله
فیما (1) رمناه من اغراض التألیف والله المستد والمعين وعليه
التکلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة فی کيفية وضع
الحروف التي ليست من لغة العرب اذا عرضت فی کتابنا
هذا (واعلم) ان الحروف فی النطق کما یأتی شرحه بعد
هی کیفیات للاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من
تقطع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
والحنك والاضراس او بقرع الشفتین ایضا فتتغیر کیفیات
لاصوات بتغایر ذلك القرع وتجى الحروف متمایزة فی
السمع وتتركب منها الكلمات الدالة علی ما فی الضمایر
ولیست الامم كلها متساوية فی النطق بتلك الحروف (2)
فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى
والحروف التي نطقت بها العرب هی ثمانية وعشرون حرفا
کما علمت ونجد للعبرانیین حروفا لیست فی لغتنا وفي

(1) Man. A. فها.

(2) الحروف. Man. A.

لغتنا ايضا حروفا ليست فى لغتهم وكذلك الافرنج
والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب
من العرب اصطاحوا فى الدلالة على حروفهم المسموعة
باوضاع حروف (1) مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف
وباء وحيم وراء وطا الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم
الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى سهلا عن
الدلالة الكتابية (2) مغفلا عن البيان وربما يرسد بعض
الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه (3) من لغتنا قبله او
بعده وليس ذلك بكافى فى الدلالة بل هو تغيير (4)
للحرف من اصله (ولها) كان كتابنا مشتتلا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى اسمائهم او بعض كلياتهم
حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا
الى بيانده ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطاحت فى كتابى
هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمى بما يدل على
الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارى بالنطق به بين
مخرجى ذينك الحرفين فتحصل تاديتده وانما اقتبست
ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى

(1) Man. A. حرف.

(3) Man. B. يكتنفهم Man. C. يكتشفه.

(2) Man. A. et B. الكتابة.

(4) Man. A. تغير.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مخمخ متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسبوا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك (1) رسمت انا كل حرف بتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والحجيم مثل اسم بُلْكِين فاضعها كافا وانقطها بنقطة الحجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والحجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارى انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه و لو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكتنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق لا رب غيره

(1) Man. A. لذلك. Man. B. ذلك.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَیْدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
وَالَّذِیْ وَصَّحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِیْمًا

الكتاب الاول في طبيعته العمران في الخليقة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس
والعصبية واصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله
البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب متطرقا لاخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيد (فيها) التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص (1)
والنظر حتى يتبين صدق من كذب واذا خامرها تشيع لرأى
ان نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(1) التخصيص. Man. B.

الميل والنشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتسحيص فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجيء في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاد او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جبيع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذانا كان (3) او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

2 Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخصص له. Man. B. تخصص.

احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعاند ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودى عن الاسكندر لما عدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفى باطنه صندوق الزجاج وغاص فى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التى رآها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعايستها وتم له بناؤه فى حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفى ذلك تلافه لا ينتظرون (1) به رجوعه من غرره ذلك طرفه عين ومن قبل ان الجحش لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هى قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذا كلها قاذحة فى تلك الحكاية والقادح المحيل (2) لها

(1) Man. C. ينظرون.

(2) Man. A. المحيل.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس فى الماء ولو كان فى الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعى ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الربة والروح القلبى ويهلك مكانه وهذا هو السبب فى هلاك اهل الحمامات اذا طبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين فى الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتداخلها فان اليتدى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه فى تعديل ريته اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهواء الذى خرج اليد حار فيستولى الحر على روحه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودى ايضا فى تمشال الزرزر الذى برومة تجتمع اليد الزرايزير فى يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعث ذلك عن المجرا الطبيعى فى اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى فى بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة ونشتمل على عشرة آلاف باب واليدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتى وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم (كما) نقله المسعودى ايضا فى حديث

مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحراء سجلماسة
 طرقها موسى ابن نصير في غزايه الى المغرب وانها مغلقة
 الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على
 السحايط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث
 مستحيل من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفضها
 الركاب والادلاء ولم يفتنوا على هذه المدينة لخبر ثم ان هذه
 الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور
 الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود
 منها ان يصرف في الآنية والخُرُى واما تشييد مدينة منها
 فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتحصينه
 انما هو بعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في
 تحصين الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على
 التخصيص بتعديل الرواة (1) ولا يرجع الى تعديل الرواة (2) حتى
 نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان
 مستحيلا فلا فائدة في النظر في التعديل او التجريح (3)
 ولقد عدّ اهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ او تاويله ان يوؤل بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل
 والتجريح (4) هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها

(1) Man. A. et D. الرواية.

(3) Man. A. الترحيح.

(2) Man. A. et B. الرواية.

(4) Man. A. الترحيس.

PROLÉGOMÈNES
d'Elu-Khalid.

تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواية للعدالة والصبط واما الاخبار عن الوقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ننظر (1) في امكان وقوعه وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فايده الانشاء مقتبسة منه فقط وفايدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة اذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما ياحقه من الاحوال لذاته وبه يقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق والكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شئ من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزيفه وكان لنا ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما يتقاونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسابيل وهي بيان ما ياحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا

(1) ينظر. Mau. C. تنظر. Mau. B.

شأن كل علم من العلوم وضعيًا كان أو عقليًا (واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز (1) الثابتة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة (2) الذي هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة في استماله الجمهور الى راي او صدهم عند ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحصل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (3) فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفين الذين رتبنا يشبهانده وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام في منجاة ل احد من الخليفة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيرة والحكماء في اسم النوع الانساني متعددون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فايين علوم الفرس الذي امر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح وايين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها وايين علوم القبط من قبلهم وانما وصل الينا علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكفى الهامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك

1) Man. A. et B. عزيز.

(2) Man. الحكاية.

(3) Man. B. بقاؤه.

لكثرة المترجمين وبذل الاموال (1) فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم وإذا كانت كل حقيقة متعلقة (2) طبيعية يصاح (3) ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يختصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالشهرات (4) وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط وإذا كانت مسائله في ذاتها وباختصاصاتها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلماذا هجره والله تعالى اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا) الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجرى بالعرض لاهل العلوم في براحيين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والمطلب مثل ما يذكره الحكماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثلما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة (5) التعاون والاجتماع وشأن العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع والقتل ايضا مفسد للنوع وان الظالم مؤذن بخراب العمران

(1) Man. A. الاموال. (2) Man. A. B. D. متعلقة. (3) Man. B. بحيث.

(4) Man. A. في الشهرات. (5) Man. A. et B. طبيعية.

المقتضى فساد النوع وغير ذلك من ساير المقاصد الشرعية
 فى الاحكام وانها كلها مبنية على المحافظة على العمران
 فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا فى
 هذه المسائل الممثلة وكذلك ايضا يقع الينا التليل من
 مسائله فى كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (1)
 فمن كلام الموبدان) لبهرام ابن بهرام فى حكاية اليوم التى
 نقلها المسعودى اتيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا
 بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيد ولا قوام
 للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام
 للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل
 الى العمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنسوب بين الخليفة
 نصبه الرب وجعل له قيا وهو الهلك (ومن كلام انوشروان) فى
 هذا المعنى بعينه الملك بالجند والسجد بالمال والمال بالخراج
 والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح الاعمال
 واصلاح الاعمال باستقامة الوزراء وراعى الكل باقتقاد الملك
 حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها (2) حتى يملكها
 ولا تملكه وفى الكتاب المنسوب لارسطو فى السياسة
 المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفى ولا
 معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار فى ذلك

(1) Man. A. يستوفوا.

(2) Man. C. تاديبها.

الكتاب الى هذه الكليات (1) التي نقلناها عن الموبدازان وانوشروان وجعلها في الدائرة الغربية التي اعظم القول فيها وهي قوله العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحى به السنة والسنة سياسة يسوسها (2) السالك (3) السالك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجعده الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل مألوف وبد قوام العالم العالم بستان ثم يرجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمة سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت اعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوايدها وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الملك والدول واعطيتة حقه من التصفح والتفهم عثرت في اثنايه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجيالها مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطالعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة (4) الموبدازان وكذلك نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر السياسات الكثير (5) من مساييل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجعلها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب الترسييل وبلاغة الكلام وكذلك حوم (6) القاضى ابو بكر

(1) Man. B. الكلمات.

(2) Man. B. يسوسها.

(3) Man. D. الاعوام راع الاسم.

(4) Man. B. فايذة.

(5) Man. A. et B. الكثيرة.

(6) Man. D. جزم.

الطوطوشى فى كتاب سراج الملوكت وبؤبه على ابواب
تقرب من ابواب كتابنا ومسايله لكنده لم يصادف فيه
الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح
الادلة انما يبؤب الباب للمسئلة ثم يستكثر الاحاديث والآثار
وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والى وبذان
وحكماء الهند والماتور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر
الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجبا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوم
على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق (1) قصده ولا استوفى
مسايله ونحن الهينا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنايع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله
وهداية وان فاتنى شىء فى احصايد واشتبهت بغيره مسايله
فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل ائى نهجت له السبيل
واوضحت الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (ونحن) الآن
نبيين فى هذا الكتاب ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من
احوال العمران فى الملك والكسب والعلوم والصنايع بوجوه
برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامّة
وتدفع بها الاوهام وترتفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان

(1) تحقيق. Man. B.

متميّزا عن ساير الحيوانات بخواصّ اختصّ بها فيها العلوم والصنایع التي هي نتيجة الفكر الذي تميّز (1) به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامسى لا بفكر وروية ومنها السعى في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقايد وهداه الى التياسد وطلبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل في مصر او حلّة للانسان بالعشرة واقتضاء الحاجات لها في طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويتا وهو الذي يكون في الضواحي والجبال وفي الحلال المنتجة للفقار واطراف الرمال ومنه ما يكون حضريّا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها ولد في كل هذه الاحوال امور تحدث من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا له فلاجرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول (الاول) في العمران البشريّ

(1) Man. A. et B. يتميّر.

على الجملة واعنافه وقسطه من الارض (الثانى) فى العمران
البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (الثالث) فى الدول
والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) فى
العمران الحضرى والبلدان والامصار (الخامس) فى الصنایع
والعاش والكسب ووجهه (السادس) فى العلوم واكتسابها
وتعلمها وقدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما
يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار
واما تقديم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم (1)
العلم كمالى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت
الصنایع مع الكسب لانها منه ببعض الوجود ومن حيث
العمران كما يتبين بـعد والله الموفق

الفصل الاول من الكتاب الاول فى العمران البشرى على
الجملة وفيه مقدمات

(الاولى) فى ان الاجتماع للانسان ضرورى ويعبر الحكماء عن
هذا بقولهم الانسان مدنى بالطبع اى لا بد له من الاجتماع
الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران بيانه ان

(1) Man. A. et B. تعليم.

الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا تصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآت لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخار هب انه ياكله (1) حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخر (2) اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذي يخرج الحبت من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنایع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه لتحصيل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باعناعى وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا فى الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع (3) الحيوانية كلها وقسم القدر بينها (4)

(1) Man. B. ياكل.

(2) Man. C. اخرى.

(3) Man. A. et C. الطبايع.

(4) Ce mot manque dans les man. A. et B.

جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرته الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضاعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهية للصناعات بخدمة الفكر والصناعات تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في ساير الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تنفي قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصناعات والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركبه الله عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفتقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله (1)

(1) Man. A. et C. يعاجله.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للدفاع وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني وآلا لم يكمل وجودهم (1) وما ارادة الله من استثمار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في قند الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرّر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من الموضوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الدوفق بفضله (ثم) ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ليا في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية في دفع العدوان بينهم لانيها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لتصور جميع الحيوانات عن مداركهم والبهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو

معنى الملك وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للانسان
طبيعية لا بدّ لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات العجم
على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها
من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم
في خلقه وجثائه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بهتضى
القطرة والهداية لا بهتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ
خلقه ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة طبيعية
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بدّ للبشر من
الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون
بشرع مفروض من عند الله ياتى به واحد من البشر يكون
متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم
له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار
ولا تشريب وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما ترى (1) اذ
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه
الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقدر بها على قهرهم
وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون
بالنسبة الى السجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر
اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول (2) والآثار

(1) Man. B. et C. تراء.

(2) Man B. الدولة.

فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع البتة فانه ممتنع وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض كرى وانها محفوفة بغصير الماء كاتها غبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان قيل فى شىء منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه وهذا (1) الذى انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من

(1) Man. A. جو.

سطح كرتها في شكل دائرة احاط الغنصر المائى بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلدية بتخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسما اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود (ثم) ان هذا المنكشف من الارض للعران فيه القفار والخلأ اكثر من عمران ووالخالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعبور من قطعته اميل الى جانب الشمال على شكل سطح كرتى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرتى وراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العصرى التى بينها سد ياجوج وساجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة (1) او اقل والمعبور منه مقدار رعد وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط فى كرتها كما ان منطقة البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع فى ثلاثة

1. Man. A. الكرى.

أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون
 أصبعاً والأصبع ست حبات شعير مصفوفة يالحق بعضها إلى
 بعض ظهراً لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم
 الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين
 كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة
 الشمالية من خط الاستواء أربعة وستون درجة والباقي منها
 خلاء لا عمارة فيه لشدّة البرد والجمود كما كانت الجهة
 الجنوبية خلاء كلها لشدّة الحر كما نبين ذلك كله إن شاء
 الله تعالى (ثم) إن المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه
 من الأمصار والمدن والجبال والأنهار والقفار والرمال مثل
 بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من
 بعده قسموا هذا المعمور بسبعة أقسام يسمونها السبع الأقاليم
 بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض
 مختلفة في الطول فالأقاليم الأولى أطول مما بعده وكذا الثانية
 إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة
 الناشئة من انحسار الماء عن كرة الأرض وكل واحد من هذه
 الأقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق
 على التوالي وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال غيره إن شاء
 وذكرنا أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب
 في الأقاليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدأ في خليج

متضايق في عرض أثنى (1) عشر ميلا او نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسخ الى عرض ستماية ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف فرسخ وماية وستين فرسخا من مبداه وعليه هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبارها مثل اقريطش وقبرص وعقلية وميورقة وسردانية ودانية (1) قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحر انحران من خابجين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضايقا في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة مجار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفسخ في عرض اربعة اميال ويمر في جريد ستين ميلا ويسمى خابج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمتد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هرقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على الف وثلاثماية ميل من فوهته وعليه من الجانبين اسم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

(1) Man. A. et C. اثنا.

(1) Ce mot est omis dans le man. B.

الثانى من خايج هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى شنت انجل انحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهى الى بلاد انكلابة على الف ومائة ميل من مباديد وعلى ضفتيه من البنادقة والروم وغيرهم اسم ويسمى خايج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مباديه ويسمى البحر الصينى والهندي والحبشى وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس فى شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق واسم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مباديه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشى بحران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبداء متصايقا ثم يمر مستجرا الى ناحية الشمال

ومغربا قليلا الى ان ينتهي الى مدينة القانزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على الف واربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القانزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليده من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدّة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه وآخره عند القانزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وهما زال الماوكت في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويدير الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهي الى الابلّة من سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني وعلى اربعماية فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليده من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلّة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة والعمان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقانزم هي جزيرة العرب كأنها دخلّة (1) من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر

(1) Man. A. et B. داخله.

الفلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق
فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما
وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وايوان كسرى والحيرة
ووراء ذلك امم الاعاجم من الترت والخزر وغيرهم وفي
جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد
اليامنة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد
اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي
(قالوا) وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار
في ناحية الشمال وبارض الديلم يسمى بحر جرجان
وطبرستان طوله الف ميل في عرض ستماية ميل في غربيه
اذربيجان والديلم وفي شرقيها ارض الترت وخوازم وفي
جنوبيه طبرستان وفي شماليها ارض الخزر واللان هذه جملة
البحار المشهورة التي ذكرها اهل جغرافيا (قالوا) وفي هذا
الجزء المعمور انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي النيل
والفرات ودجلة ونهر باخ المسمى جيحون (فاما النيل)
فمبدأه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشر درجة
وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلا منه تخرج منه عيون كثيرة
فصب بعضها في بحيرة هناك وبعض في اخرى ثم
تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة

واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال وعلى سته ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربه يسمى كل واحد منها خاليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الآخر منعطفا الى الغرب ثم يمر على سته الى ان يصب في البحر المحيط وهو (1) نيل السودان واممهم كلهم على عنقته (واما الفرات) فمبدأه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفيين ثم بالرقّة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشي وتستجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة (واما دجلة) فمبدأها عيون ببلاد خلائط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق في خاجان تصب كلها في بحيرة البصرة وتفضى الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتستجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات

(1) Man A. اهل.

ودجلة من اوله (1) جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى
 الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتى دجلة (واما نهر
 جيحون) فيبدوّه من باخ في الجزء الثاني من الاقليم
 الثالث من عيون هناك كثيرة وتتجلّب اليه انهار عظام
 ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمرّ ببلاد خراسان ويخرج
 منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس
 فيصبّ في بحيرة الجرجانية التي باسفل مدينتها وهي
 مسيرة شهر في مثله واليها ينصبّ نهر فرغانة والشاش الآتى
 من (2) بلاد الترك وعلى غربى نهر جيحون بلاد خراسان
 وخوارزم وعلى شرقه بلاد بخارا والترمذ وسيرقند ومن
 هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخرجية وامم
 الاعاجم وقد ذكر ذلك كلد بطليموس في كتابه والشريف
 في كتاب رجار وصمورا في الجغرافيا جميع ما في المعبر
 من السبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة
 لنا به لطوله وان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي
 هو وطن البربر وبالاطان التي للعرب من الشرق (3) والله
 واهب المعونة

(1) Le man. C. ajoute هي.

2) Man. A. et B. في.

(3) Man. D. التي في المغرب والمشرق.

تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالى من الارض اكثر عمراننا من الربع
الجنوبى وذكر السبب فى ذلك نحن نرى بالشاهدة
والانخبار المتواترة ان الاول والثانى من الاقاليم المعسورة اقل
عيرانا مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيتخلله الخلاء والقفار
والرمال والبحر الهندى الذى فى الشرق منها وامم هذيين
الاقليبين واناسيتهما ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه
كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار
فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيتها بحر
زاهر من الكثرة وامصارهما ومدنهما تجاوز الحد عددا والعيران
فيهما متدرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله
وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل
الشمس فيها عن سمت الرؤس فلنوضح ذلك ببرهانه
ويتبين منه سبب كثرة العيارة فيما بين الثالث والرابع من
جانب الشمال الى الخامس والسابع فنقول ان قطبى الفلك
الجنوبى والشمالى اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة
تقسم الفلك بنصفين هى اعظم الدوائر الهارة من المغرب
الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين فى موضع
من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى

PROLÉGOMÈNES
d Ebu-Khaldoun.

المغرب حركة يومية يحرك بها ساير الافلاك التي فى
جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان
لكواكب فى افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهى
من المغرب الى المشرق وتختلف آماها باختلاف حركات
الكواكب فى السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب فى
افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسبه
بنصفين وهى دائرة فلك البروج منقسمة باثنى عشر برجاً
وهى على ما تبين فى موضعها تقاطعاً لدائرة معدل النهار
على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول
الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مايل
عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر
السنبلة ونصف مايل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان
الى آخر الحوت فاذا وقع القطبان على الافق فى جميع
نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت
دائرة معدل النهار يهر من المغرب الى المشرق ويسمى
خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا فى مبداء
الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كله فى الجهة
الشمالية عند القطب الشمالى يرتفع على آفاق هذا المعبر
بالتدرج الى ان ينتهى ارتفاعه الى اربع وستين درجة
وهناك ينتطح العمران وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على

الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل
النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل
النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي
الشمالية وستة تحت الارض وهي الجنوبية والعمارة فيما
بين الاربعة والستين الى التسعين مهتنة لان الحر والبرد
حينئذ لا يحصلان مترجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل
تكوين فاذن الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء في
رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامحة الى رأس السرطان
والى رأس الجدى وتكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار
اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة
وهو المسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة
معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية
متدرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج
الجنوبية عن الافق (1) كذلك الى رأس الجدى لانحرافها
الى الجانبين في افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان
في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا

(1) Man. A. et B. لذلك.

وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي مال
 رأس السرطان عن معدل النهار في أفق الاستواء ارتفع بارتفاع
 القطب الشمالي حتى صار مسامتة فاذا ارتفع القطب أكثر من
 أربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامتة ولا تنزل في انخفاض
 إلى أن يكون ارتفاع القطب أربعاً وستين ويكون انخفاض الشمس
 عن المسامتة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن
 الأفق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه
 غير منتزح بالحرثم أن الشمس عند المسامتة وما يقاربها
 تبعث الأشعة على الأرض على زوايا قائمة وفيما دون المسامتة
 على زوايا منفرجة وحادة وإذا كانت زوايا الأشعة قائمة عظم
 الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
 عند المسامتة وما قرب منها أكثر منه فيها بعد لأن الضوء
 سبب الحر والتسخين ثم إن المسامتة في خط الاستواء تكون
 مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان وإذا مالت فغير
 بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان
 والجدي الآ وقد صعدت إلى المسامتة فتبقى الأشعة
 القائمة الزوايا تاح على ذلك الأفق ويطول مكثها
 أو يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها
 وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد
 خط الاستواء إلى عرض أربعة وعشرين فإن الأشعة داحد

الافق في ذلك الافق بقريب من المحاذها في خط الاستواء وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال او يميل عند قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرج الى ان يفراط البرد في شدته بقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر اسرع تائيرا في التجفيف من تائير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كفيّة البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله تعالى اعلم (ومن هنا) اخذ الحكماء خلافا خط الاستواء وما وراءه واورد (1) عليهم انه معهود بالمشاهدة (2)

(1) Mau. D. ردّ.

(2) Mau. A. ajoute والخبر

PROLEGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك
والظاهر أنهم لم يردوا امتناع العمران فيه بالكلية انما اداهم
البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوى بافراط الحرّ فالعمران
فيه اما ممتنع او ممكن أقبلى وهو كذلك لانّ خط الاستواء
والذى وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا
وقد زعم ابن رشد ان خط الاستواء معتدل وان ما وراءه فى
الجنوب فى مثابة ما وراءه فى الشمال فيعمر مند ما عسر
من هذا والذى قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين
وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء فى الجنوب من جهة ان
العصر المائى عمر (1) وجد الارض هنالك الى الحد الذى
كان مقابله من الجهة الشماليّة قابلا للتكوين ولما امتنع
المعتدل لغلبة الماء تبعد ما سواه لانّ العمران متدرج ويأخذ فى
التدرج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع واما القول
بامتناعه فى خط الاستواء فيرده النقل واللذ سبحانه اعلم
(ولنرسم) بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب
كتاب رجارثم نأخذ فى تفصيل الكلام عليها الى آخره

(1) Man. A. غير. Man. C. عم.

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجمل فالمفصل هو الكلام في بلدان
هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحدا واحدا وسياتي في
الفصل بعد هذا واما المجمل فالكلام في انقسام المعمور
بالاقليم السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذي
تضمنه هذا الفصل فناخذ في بيانه وقد تقدم لنا ان الارض
طايفة على الماء العصري كالغربة فانكشف كذلك بعضها
بحكمة الله في العمران والتكوين العصري فيقال ان هذا
المنكشف هو النصف من سطح الارض فالمعمور منه ربعه
والباقي خراب وقيل المعمور سدسه فقط فالخلاء من هذا
المنكشف في جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما
متصل من الغرب الى الشرق وليس بينه وبين البحر من
الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يبر من المغرب الى
المشرق مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك
على الافق هذا (1) اول العمران الى ما بعده من الشمال وقال
بطليموس بل بعده في جهة الجنوب عمران وقدرة بعرض
البلد كما ياتي وعند اسحق بن الحسن النخازني ان وراء الاقليم
السابع عمران اخر وقدرة بعرض بلده كما نذكر وهو من اية

(1) Man. B. 50.

هذه الصناعة (ثم) ان الحكماء قديما قسموا هذا المعهور في
 جهة الشمال بالاقليم السبعة بخطوط وهمية آخذة من المغرب
 الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم كما ياتي تفصيله
 فالاقليم الاول منها ما ر مع خط الاستواء من جهة شماليه
 وليس في جنوبه الا تلك العبارة التي اشار اليها بطليموس وبعدها
 القفار والرمال الى دائرة الماء الهسيمة بالبحر المحيط ويليه من
 جهة شماليه الاقليم الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع والخامس
 والسادس والسابع وهو آخر العمران في جهة الشمال وليس
 وراءه الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا لان الخلاء في
 جهة الجنوب اكثر منه في جهة الشمال بكثير (واما عروض)
 هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبي الفلك
 يكونان في خط الاستواء على الافق من غربه الى شرقه
 والشمس تسامت رؤس اهلها فاذا بعد العدمان الى جهة
 الشمال ارتفع القطب الشمالي قليلا وانخفض الجنوبي مثلا
 وبعدت الشمس عن دائرة معدل النهار الى سمته بمثل ذلك
 وصارت هذه الابعاد الثلاثة متساوية يسمي كل واحد منها
 عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت وقد اختلف
 الناس في مقدار هذه العروض ومقدارها في الاقاليم فالذي
 عند بطليموس ان عرض المعهور كله سبع وسبعون درجة
 ونصف فعرض المعهور خلف خط الاستواء الى الجنوب منها

أحدى عشر درجة وست وستون درجة ونصف هي عرض
الاقليم الشمالية الى آخرها فعرض الاقليم الاول منها عنده ست
عشر درجة والثاني عشرون والثالث سبع وعشرون والرابع
ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة والسادس ثلاث
واربعون والسابع ثمان واربعون (ثم) قدر الدرجة في الفلك
بستة وستين ميلا وثلاثي ميل من مسافة الارض فيكون
اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب والشمال الف ميل
وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الف ميل وثمانماية
ميل وثلاثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معها الف ميل
وسبعماية وتسعين والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين
والخامس الفين وخمسمائة وعشرين والسادس الفين وثمانماية
واربعين والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (ثم) ان ازمنة
الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقليم بسبب ميل الشمس
عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها
فيتفاوت قوس النهار او الليل لذلك وينتهي اطول الليل
والنهار في آخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براءس
الجدى وبراءس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس
الى انى عشرة ساعة ونصف وينتهيان في آخر الاقليم
الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي آخر الاقليم الثالث الى
ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي آخر الرابع الى اربع عشرة

PTOLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ساعة وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ويبقى للاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد هذه الاعداد (1) من جملة اربعة وعشرين من الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تزيد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض المعمور ان الذي وراء خط الاستواء ست عشر درجة وخمسة وعشرون دقيقة واطول ليله ونهاره ثلاث عشر ساعة و عرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء و عرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف و عرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة و عرض الرابع ستة وثلاثون درجة وساعاته اربع عشر ساعة ونصف و عرض الخامس احدى واربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة و عرض السادس خمس واربعون درجة وساعاته خمس عشر ساعة ونصف و عرض السابع ثمان واربعون درجة ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء

(1) Man. C. et D. بعد الثلاثة عشر ونصف.

السابع من عند آخره الى ثلاث وستين درجة وساعائه الى
 عشرين ساعة وعند غير اسحق الخازنى من ايمّة هذا الشأن
 ان عرض الذى وراء خط الاستواء ست عشر درجة وسبع
 وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشر
 دقيقة والثانى سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث
 ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون
 درجة ونصف درجة والخامس ثلاث واربعون درجة والسادس
 سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون دقيقة وقيل فيه ست
 واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احدى وخمسون
 درجة وثلاث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع
 وسبعون درجة وعند ابى جعفر الخازنى من ايمّتهم ايضا ان
 عرض الاقليم الاول من درجة الى عشرين وثلاث عشرة
 دقيقة والثانى الى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة والثالث
 الى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة والرابع الى ثمان
 وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الى اثنين واربعين
 وثمان وخمسين دقيقة والسادس الى سبع واربعين ودقيقتين
 والسابع الى خمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرنى
 من اختلافهم فى العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم
 والله خلق كل شىء فقدّره تقديرا (فصل) والمتكلمون على
 هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة فى

طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحر في كل جزء منها ونحاذي (1) بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشناق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي لهلك صقلية من الافرنج وهو رجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج سلفه عن امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتب حجة للمسعودي وابن خردادبه والحوقلی والعذري واسحق النجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها

الاقليم الاول

وفيد من جهة غربيه الجزاير الخالدات التي منها بدء بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكترة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفارين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المائة وقتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض

(1) Man. A. نجزي. B. نجازي.

اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلّموا اللسان العربى اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحثرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يلوحونها (1) الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن فى البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهاجتها والى اين توصل اذا مرّت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهبّ واذا اختلف المهبّ وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذة تحمّل السفينة بها على قوانين فى ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفر فى البحر والبلاد التى حفاى البحر الرومى وفى عدوتيه مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ما هى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهابّ الرياح ومهراتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص (2) وعليها يعتمدون فى اسفارهم وهذا كده مفقود فى البحر المحيط فلذلك لاتايج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدى الى الرجوع

(1) Man. D. بـرمونها.

(2) Man. A. الكنباص.

اليها مع ما يعتقد في جوّ هذا البحر وعلى صفيح ماية (1) من
الابخرة المياعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتتحللها (2) فلذلك
عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها (واما الجزء
الاول) من هذا الاقليم ففيه مصبّ النيل الآتي من مبدأيه
عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب
الى البحر المحيط فيصتّ فيه عند جزيرة اوليل (3) وعلى هذا
النيل مدينة سلى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في ملكة اهل
مالى من اسم السودان والى بلاده يسافر تجّار المغرب الاقصى
وبالقرب منها من شماليها بلاد لتونة وساير طوايف الملثمين
مناوز يجولون فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال
لهم لملم وهم كفار ويكتبون فى وجوههم واصداغهم واهل
غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجّار
فيجلبونهم الى المغرب ومنهم عامّة رقيقهم وليس وراءهم فى
الجنوب عمران يعتبر الآ اناسى اقرب الى الحيوان العجم
من الناطق يسكنون الغياض والكهوف وياكلون العشب
والحبوب غير مهيّئة (4) وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا فى
اعداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء

(1) Man. B. صفيح.

(2) Man. C. فتتحللها.

(3) Man. C. اوليك.

(4) Man. A. مهيّات.

المغرب مثل توات وتيكرارين وواركلان (1) وكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفي شرقى هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثانى وكان ملك كوكو قايبا بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى واصبحت في ملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالى في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبى بلاد كوكو بلاد كانم من احم السودان وبعدهم ونكارة (2) على ضفة النيل من شماليه وفي شرقى بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي (3) وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم (وفيها) يمر نيل مصر ذاهبا من مبدأيد عند خط الاستواء الى البحر الرومى في الشمالى ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بسبت عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة

(1) Man. A. مواركلان. B. قواركلان.

(3) Man. C. زغانة. D. زغاوة.

(2) Man. C. et D. وثقارة.

فبعضهم يفتح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة
بياضه وكثرة ضوئيه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم
القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون يجتمع كل
خمس منها في بحيرة وبينها ستة اميال وتخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة
واحدة في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمرّ الغربى منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصبّ في البحر المحيط ويخرج الشرقى
منه ذاهبا الى الشمال في بلاد الحبشة والنوبة وفيها بينهما
وينقسم في اعلا ارض مصر فيصّب ثلاثة من جداوله في
البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصبّ واحد
في بحيرة ماحة قبل ان يتصل بالبحر وفي وسط هذا
الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
في غربى هذا النيل وبعدها علوة (1) وبلاق (2) وبعدهما جبل
الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل
على من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينغذ فيه النيل
ويصبّ في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه

(1) Man. A. et B. غاو.

(2) Man. A. et B. يلاق.

المراكب بل يحول الوسط من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسط مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان ثنتى عشر مرحلة والواحات فى غربيتها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة (وفى) وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتى من وراء خط الاستواء ويمر قبالة مقدشو التى فى جنوب البحر الهندى ذاهبا الى ارض النوبة فيصب هنالك فى النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم من هذا الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان فى الجزاير التى فى داخله وهى متعددة يقال تنتهى الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعهور فى الجنوب وفيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها فى هذا الاقليم الا اول الا طرف من بلاد الصين فى جهة المشرق وبلاد اليمن فى الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما

بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر
 في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز
 واليمنية وما يليهما كما نذكر في الاقليم الثاني وما بعده
 فاما الذي على ساحل هذا البحر غربيه فبلد زالع من
 اطراف الحبشة ومجالات البجة في شمالي الحبشة ما
 بين جبل العلاقي الذي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم
 الهابط من البحر الهندي الى ارض مصر وتحت بلد زالع
 من جهة الشمال في هذا البحر خليج باب الهند يضيق
 البحر الهابط هنالك بهزاحة جبل المندب الهائل (1) في
 وسط البحر الهندي مهندا مع ساحل اليمن الغربى من
 الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر
 بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او نحوها
 ويسمى باب الهند وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
 السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن
 ودهلك وقيالته من غربيه مجالات البجة من اعم السودان
 كما ذكرنا ومن شرقيده تهائم اليمن على ساحله ومنها بلد
 حلى بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى
 ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضها
 وتنعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هنالك

(1) المائل (Man. B).

من جهة شرقها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبجرة العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبيه ثم يليها شرقا بلاد سفالة (1) على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط (واما) جزاير هذا البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدء من قبالة ارض سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين وتحقّق بها في هذا البحر من جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيل الى جزاير اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب والافاوية (2) وفيما يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعدّدون وبهذه الجزاير من احوال العمران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الصنفة الشمالية من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليهن كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم

(1) Man. A. et B. سفالة.

(2) Man. A. B. C. الافاوة.

وتهامة اليبين وبعدها بلد صعدة مقر الايمة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه في العاشر فيه اعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو وقبالتها من جهة المشرق جزاير السبيل وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه فى البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التى مر ذكرها فى الجزء الاول والثانى منه فى الجانب الاعلا منهما ارض قنورية وبعدها فى جهة المشرق اعلى ارض غانة ثم مجالات زغاي (1) من السودان وفى الجانب الاسفل منها صحراء نيسرة (2) متصلة من الغرب الى الشرق ذات مناو

(1) Man. C. زغوة.

(2) Man. C. نيسر.

يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات المثلثين من عنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كدالة ولمتونة ومسوفة (1) ولمطة ووتربكة (2) وعلى سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان (3) ثم مجالات ازكار من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها فى الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من اعم السودان ثم قطعة من ارض التاجوين وفى اسفل هذا الجزء الثالث وهى جهة الشمال منه بقية ودان (4) وعلى سمتها شرقا ارض سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفى الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض التاجوين ثم تعترض فى وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حفاى النيل الذاهب من مبدئه فى الاقليم الاول الى مصبه فى البحر فيمر فى هذا الجزء بين الجبالين السحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك حفايد الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هناك شعبتين ينتهى الايمن منهما فى هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيها بينهما اعلى ديار مصر وفى الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبة فى الجزء الخامس

(1) Man. A et B. مسوفة.

(3) Man. A. B. C. فزان.

(2) Man. C. وزيكة.

(4) Man. A. السودان.

الى ان تنتهى الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله تعالى وفى ساحلها جدّة مقابل بلد عيذاب فى العدوّة الغربيّة من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتباله الى عكاظ من الشمال وتحت بلاد نجد بقية ارض الحجاز وعلى ستمها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما ارض اليمامة وعلى ست نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مرّ ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيغير ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلا من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى فى السادس ويغير بحر الهند جانبه الاعلا كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران منه وتقابلها بلاد الطوبران وهى من السند ايضا فيتصل السند كله فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المغاوير بينه وبين

ارض الهند ويمرّ فيه نهره الآنى من ناحية بلاد الهند ويصبّ
 فى البحر الهندى فى الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل
 البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا (1) وتحتها
 الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعلى
 بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا
 من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار فى
 الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندى وتحتها من
 الجانب الاسفل ارض كابل وبعدهما شرقا الى البحر المحيط
 بلاد القنوج وما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند
 آخر الاقليم وفى الجزء التاسع ثم فى الجانب الغربى منه
 بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقى فتتصل
 من اعلاه الى العاشر وتبقى فى اسفل ذلك الجانب
 قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون (2) ثم تتصل بلاد
 الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

(1) Man. A. بدهرا.

(2) Man. A. خيفون.

الاقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففى الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر اسم لا يحصيهم الا خالفهم حسبما ياتى ذكره وفى القطعة التى بين هذا الجبل والاقليم الثانى وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس ونول (1) وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر المغازة التى ذكرناها فى الاقليم الثانى وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها فى هذا الجزء وهو قليل الثايا والمسالك فى هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادى ملوية فتكثر ثناياها ومسالكه الى ان ينتهى وفى هذه الناحية منه اهم المصامدة فسكسيوة (2) عند البحر المحيط ثم هتناة (3) ثم تينملل (4) ثم كدميوة ثم مسكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل عنائة وهم صنهاجة ثم فى آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك اهم اخرى من البرابرة نذكرهم فى اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة

(1) ليز نون.

(2) Man. A. فسكسيوة.

(3) Man. C. هتناة.

(4) Ibid. نيتمل.

غربيه مظل على بلاد المغرب الاقصى وهى فى جوفيه ففى
 الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش واغمات وتادلا وعلى البحر
 المحيط منها رباط اسنى ومدينة سلا وفى الشرق عن بلاد
 مراکش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هى التى
 تسمى المغرب الاقصى فى عرف اهلها وعلى ساحل البحر
 المحيط منها بلد ارضيلا والعرايش وفى سمت هذه البلاد
 شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفى سواحلها
 على البحر الرومى بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا البحر
 الرومى يخرج من البحر المحيط من خايج طنجة فى
 الناحية الغربية من الجزء الرابع ويذهب مشرقا فينتهى الى
 بلاد الشام فاذا خرج من الخايج المتنايق غير بعيد انفسح
 جنوبا وشمالا فدخل فى الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده تبتدى
 من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم
 يتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد بجاية فى ساحل البحر
 ثم قسطنطينية (1) فى الشرق عنها وفى آخر الجزء الاول وعلى
 مرحلة من هذا البحر وفى جنوبى هذه البلاد مرتفعا الى
 جنوب المغرب الاوسط بلد شير بجبل تيطرى ثم بلد المسيلة
 ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن

(1) Man. A. قسطنطينية. Man. B. قسطنطينية. Man. C. قسطنطينية.

كما مرّ وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء
الثانى من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول يمرّ جبل درن
على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيد من غرب الى شرق
فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومى مسافة من شماله فالقطعة
الجنوبية عن جبل درن غربها كلد مغاوزوفى الشرق منها بلد
غدامس وفى سمتها شرقا ارض ودان التى بقتيتها بالاقليم
الثانى كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين
البحر الرومى فالغربى منها جبل اوراس وتبسة والاريس
وعلى ساحل هذا البحر بلد بونة ثم فى سمت هذه البلاد
شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة
ثم المهديّة وفى جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد
الجريد توزر وقفصة ونفراوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة
القيروان وجبل وشلات وسبيطلة وعلى سمت هذه البلاد كلها
شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومى وبازايها بالجنوب جبال
دسر ومقرة من قبائل هواراة متصلة بجبل درن وفى مقابله
غدامس التى نذكرها فى آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا
الجزء فى الشمرق سويقة (1) ابن مشكود على البحر وفى
جنوبها مجالات العرب فى ارض ودان والجزء الثالث من
هذا الاقليم يمرّ فيه ايضا جبل درن الا انه ينطفى عند آخره

(1) Man. A. سويقة.

الى الشمال فيذهب على سمته الى ان يدخل في البحر الرومى
ويسمى هناك طرف اوئان والبحر الرومى من شماليه غمر
طاينة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذى
وراء الجبل فى الجنوب وفى الغرب منه بقية ارض ودان
ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم مال وقفار
الى آخر الجزء فى الشرق وفيما بين الجبل والبحر فى
الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها
العرب ثم اجدا بية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليشة (1)
على البحر هنالك ثم فى شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحة الى آخر الجزء وفى الجزء الرابع من هذا
الاقليم وفى الاعلا من غربه صحارى برنيق واسفل منها بلاد
هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومى فى هذا الجزء فيغمر طاينة
منه ذاهبا الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه
وبين آخر الجزء قفار يجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا
بلاد الفيوم وهى على مصب احدى الشعبين من النيل
الذى يمر على اللاهون من بلد الصعيد فى الجزء الرابع من
الاقليم الثالث فيصتب فى بحيرة الفيوم وعلى سمتها شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثانى الذى يمر
بدلاص عند بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثانى ويفترق هذا

(1) Man. C. et D. طليسة.

الشعب افتراقاً ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطونق (1) وزفتة وينقسم الايمن منهما من تروط (2) بشعبين آخرين ويصبّ جميعهما في البحر الرومي فعلى مصبّ الغربى من هذه الشعب بلاد اسكندرية وعلى مصبّ الوسط بلد رشيد وعلى مصبّ الشرقى بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفاحاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصنف وذلك ان بحر القلزم ينتهى من الجنوب وفي المغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر الهندي الى الشمال ينعطف آخر الى جهة المغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة تنتهى في الطرف الغربى منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبل فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم البحور في آخره ومن هناك ينعطف ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مرّ في الاقليم الثانى في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من غربيه عليها القرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربى هذا الباب فحص التيد ارض

1) Man. A. et B. سطنوق.

(2) ليزوط.

جرداء لا تثبت كانت سجالات بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الأقليم الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المضائق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تسقط هذه القطعة في انعطافها من هنالك إلى الأقليم الرابع عند طرابلس وعرقه وهنالك منتهى البحر الرومي في جهة الشرق على هذه القطعة أكثر السواحل الشامية (1) ففي شرق عسقلان وبناحراف يسير عنها إلى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم عرقه ثم ينطف البحر إلى الشمال في الأقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفا إلى الشرق إلى أن يتجاوز (2) هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانت حاجز بين أرض مصر والشام ففي طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها السحاح من مصر إلى مكة ثم بعدما في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور

(1) Man. B. et C. سواحل الشام.

(2) Man. A. et B. يجاوز.

من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم يعطف قليلا
 وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيما ودومة الجندل
 وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في
 جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم
 صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند جبل
 اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى ادريات
 وحوارن وعلى سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء
 وهي آخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من
 آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة عيدا وببيروت من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت
 دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة
 الشمالية آخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن
 بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء
 وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد
 نجد واليهامة ما بين جبل الغرج والضمان الى البحرين
 ومجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات
 بلد الحيرة والقادسية ومغايس الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة
 البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس مند عبادان والابلثة
 في اسافل الجزء من شماله ويصب فيد عند عبادان نهر
 دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخر

من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصبّ في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه مضايقة لآخره في شرقيه وضيقه عند منتهاه مضايقة للحدّ الشمالى منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر والاحساء وفي غربيها الخطّ والضيان وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس فمن اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتدّ من هذا البحر مشرقا ووراه على الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراى ونجيرم على ساحل هذا البحر وفي شرقه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودرابجرد وفسا (1) واصطخر والشاهجان وشيراز وهى قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خورستان ومنها الاهواز وتستر وجندى سابور والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان هى حدّ بين فارس وخورستان وفي شرقى بلاد خورستان جبل الاكراد متصلة الى نواحي اعصهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها فى ارض فارس وتسمى الزموم وفي الجزء السابع ثم فى اعلى مند من (2) الغرب بقية جبال القفص ويلىها من الجنوب

(1) Man. A. et B. نسا.

(2) Man. B. فى.

والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الروذان (1) والشيرجان (2) وجيرفت وتردشير (3) والفورج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن عرض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان في الجنوب وارض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المغارة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخراج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبل الغور وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد حراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومروالروود والطالقان والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربه مدينة بانج وفي

1 Man. B. السروذان.

(3) Man. A. نردشير.

2 Man. C. الشرجان.

شرقية مدينة الترمذ ومدينة باخ كانت كرسى ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وغان فى حدود بدخشان مما يلى الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خربات (1) ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمنه الى ان يصب فى بحيرة خوارزم فى الاقليم الخامس كما نذكر ويمدّه عند انعطافه فى وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الجبل والوخش من شرقه وانهار اخر من جبال البتم من شرقه ايضا وجوفى الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدّة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمرّ مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه فى طريقه جبل عظيم يمرّ فى وسط الجنوب فى هذا الجزء (2) ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيحوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الجبل وليس فيه الا مسلك واحد فى وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا

(1) Man. C. خربات.

(2) Man. B. النهر.

وبنى له بابا كسمت يا جوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فنفذ تحته فى مدى بعيد الى ان يمر ببلاد الونخش ويصب فى نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطا الى الترمذ فى الشمال الى بلاد الجوزجان وفى الشرق من بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفى العدوّة الشرقية هناك من النهر بلاد الجبل واكثرها جبال وبلاد الونخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربى نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذى خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب فيه منها نهر بلاد الونخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر باخما يخرج من جبال البتم من مبدأيه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلد امل من خراسان وفى شرقى النهر من هناك ارض الصغد واشروسنة من بلاد الترك وفى شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شماليها وفى الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفى جنوبيها بلاد الهند وفى

شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلخية (1) من الترك الى آخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض البغرغر من الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بقية بلاد البغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير (2) من الترك ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتهما في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثير فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه وهذه البلاد في الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبل كلها مجالات للترك اسم لا تحصى وهم طواعن رحالة اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنتاج والركوب والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الداينين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

(1) Man. B. et D. الخزلخية, C. الخزلخية. (2) Lisez خرخير.

الأقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الأول منه فى غربيه
 قطعة من البحر المحيط مستطيلة من اولد جنوبا الى آخره
 شمالا وعليها فى الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه
 القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومى فى
 خايج متضايق بمقدار اثنى عشر ميلا بين طريف والجزيرة
 الخضراء شمالا وقصر المجاز وستة جنوبا ويذهب مشرقا
 الى ان ينتهى الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
 وينفسح فى ذهابه بتدرج الى ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر
 الخامس ويغمر عن جانبه طرفا من الاقليم الثالث والخامس
 كما نذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامى ايضا وفيد جزاير كثيرة
 واعظمها فى جهة المغرب يابسة ثم ميورقة ثم منرقة ثم سردانية
 ثم صقلية وهى اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما
 نذكرها كلها فى اجزائها التى وقعت فيها ويخرج من هذا
 البحر الرومى عند آخر الجزء الثالث منه وفى الجزء الثالث
 من الاقليم الخامس خايج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال
 ثم يعطف عند وسط الجزء من جوفيه ويتر مغربا الى ان
 ينتهى فى الجزء الثانى من الخامس ويخرج منه ايضا فى
 آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خايج القسطنطينية
 يمر فى الشمال متضايقا فى عرض رمية السهم الى آخر الاقليم

ثم يفضى الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى
بحر نيطش (1) ذاهبا الى الشرق فى الجزء الخامس كله ونصف
السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك فى اماكنه
وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى
خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث ويبقى فى الجنوب
عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على
مجمع البحرين وبعدها ستة على البحر الرومى ثم تيطاوين
ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى
الثالث واكثر العمارة فى هذا الجزء فى شماله وشمالي
البحر المحيط والى بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين
البحر المحيط والبحر الرومى اولها طريف عند مجمع البحرين
وفى الشرق عنها على ساحل البحر الرومى الجزيرة الخضراء
ثم مالقة ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر
المحيط غربا وعلى مقربة من شريش ولبلة وقبالتهما فيد جزيرة
قادس وفى الشرق عن شريش ولبلة اشبيلية ثم اسجة وقرطبة
ومرتكة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادياش وبسطة وتحت
هذه شنتميرية وشلب على البحر المحيط غربا وفى الشرق
عنها بطليوس وماردة ويابرة ثم غافق وترجالة ثم قلعة رباح
وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر تاجة

1) ليز. Lisez.

وفى الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ثم
قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل
الشارات يبداء من الغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر
الجزء من شماليه فينتهى الى مدينة سالم فيما بعد النصف
منه وتحت هذا الجبل طليطلة فى الشرق عن قورية ثم طليطلة
ثم وادى الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما
بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غرب الاندلس واما شرق
الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى منها من بعد المرسية
قرطاجنة ثم لقت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة آخر الجزء
فى الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة (1) يتاخمان بسطة
وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة
تحت بلنسية شرقا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة آخر
الجزء ثم تحت هذه شمالا ايضا جباله ووبدة متاخمتان
لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة
وشمالا عنها ثم فى الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم
سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثانى من
هذا الاقليم غير الماء جميعه الا قطعة من غربيد فى الشمال
فيها بقية جبل البرتات معناه جبل الثايبا والمسالك يخرج
اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبداء من

1 | شقورة. Man. A. et B.

الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويتر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثانى فتقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها الى البر المتصل ويسمى ارض غشكونية وفيه مدينة جرندة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومى من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذى يمر الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون اصغرها ففى غربيه جزيرة سردانية وفى شرقيه جزيرة عقليية متسعة الاقطار ويقال ان فى دورها سبعماية ميل وبها مدن كثيرة من مشاهرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازر ومسينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقيية وفيما بينهما جزيرتا غودش (I) ومالطة والجزء الثالث من هذا الجزء مغمور ايضا بالبحر الا ثالث قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضا بالبحر كما مر وجزايره كثيرة واكثرها غير مسكون كما فى الثالث والمغمور منها جزيرة بلبونس فى الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم

(I) Mau, A. et B. جزيرة تا غودش. Mau, D. جزيرة غودش.

غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى آخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث يمرّ الشمالى منها الى الغرب منعظا مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها اسافل الشام ويمرّ في وسطها جبل اللكام الى ان ينتهى الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاعبا الى القطر الشرقي الشمالى ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقاليم الخماس ويحوز عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق وتقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصل بعضها ببعض الى ان تنتهى الى طرف خارج من البحر الرومى متاخم الى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهى التى تنفضى الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التى قدمنا ان فيها اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومى وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس فى اول الجزء من الجنوب متاخمة لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي

شمال انطرسوس جبلة ثم اللادقية ثم اسكندرية ثم سلوقية
وبعدھا شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
وآخر الجزء فحفافيد من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا
حصن الخوابى من غربيد وهو للحشيشية الاسماعيلية
ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصيات وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل
بلد سليية فى الشمال عن حصن وفى الشمال عن مصيات
بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها فى شرق الجبل
المعزة وفى شرقها المراغة وفى شمال انطاكية المصيصة ثم
ادنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل
قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل
حلب ويقابل عين زربة منبع آخر الشام واما الدروب فعن
يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد الروم التى هى
لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاكية (1) والعلايا واما بلاد الارمن التى
بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية
وانقرة الى آخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس فى
بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان فى شرقيد فيمر نهر
جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم

(1) Telle est la leçon des manuscrits ; mais il faut lire : انطالية.

بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب
 في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر نهر سيحان موازيا
 لنهر جيحان فيحاذي انقرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب
 الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان
 ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند
 المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التي يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد
 الرافقة والرقّة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم
 شبيسا وآمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله
 وهو ايضا آخر الجزء من شرقه ويمر في وسط هذه القطعة نهر
 الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمران
 في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمر
 نهر الفرات في غربى شبيسا وسروج ثم ينحرف الى
 الشرق فيمر بغرب الرافقة والرقّة ويخرج الى الجزء السادس
 ويمر دجلة في شرق آمد وينعطف قريبا الى الشرق
 فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من
 هذا الاقليم من غربي بلاد الجزيرة وفي الشرق عنها بلاد
 العراق متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب آخر الجزء
 ويعترض آخر العراق هناك جبل اعينان هابطا من جنوب
 الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من

آخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمنه بجبل السلسلة في الجزء الخامس فيقطع في الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففى الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس فى شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك جدول الى الشمال ينساب فى ارض الجزيرة ويغوص فى نواحيها ويمر من قرقيسيا خير بعيد ثم يعطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا وتبقى صفتين فى غربه ثم يعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعض بقصر ابن هبيرة وبالجامعين ويخرج جميعها فى جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك فى شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرقا على سمنه الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب فى دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على سمنه ومحاذا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمنه فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهى الى الحديثة فيعطف جنوبا وتبقى الحديثة فى شرقه والزاب الكبير

والصغير كذلك ويمر على سمته جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتكثر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعتهما ببغداد هي بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة والفرات بعد مفارقة بغداد نهر اخرياتى من الجهة الشرقية الشمالية عند وينتهى الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم يعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق ولاءاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبداء من جبل آلاءاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور فيقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفي وسطها بلد نهاوند (I) وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق

(I) Man. A. et B. الباهوس.

يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير
الذى على دجلة من ورايه فى آخر هذه القطعة من جهة
الشرق بلاد اذربايجان ومنها تبريز والبيلقان وفى الزاوية
الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيپش وهو
بحر الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربيه
وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوین وبقيتها
فى الاقليم الثالث وفيها هنالك اعصهان ويحيط بها من
الجنوب جبل يخرج من غربيه ويمر بالاقليم الثالث ثم
ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل
العراق فى شرقيه الذى مر ذكره هنالك واند محيط ببلاد
البلهوس فى القطعة الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط
باعصهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى
هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد البهلوس من شرقيه وتحت
هنالك قاشان ثم قم وينعطف فى قرب النصف من
طريقه مغربا بعض الشئ ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا
ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس
ويشتمل عند منعطفه واستدارته على باد الرى فى شرقيه
ويبدأ من منعطف اخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه
هنالك قزوین ومن جانبه الشمالى وجانب جبل الرى
المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم

الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال
وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل فى الاقليم الخامس
فى هذا الجزء فى نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض
عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر
على سمتة مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل
فى الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الرى وهذا
الجبل من عند مبدأيها بلاد جرجان فيما بين الجبلين
ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية
المفازة التى بين فارس وخراسان وهى شرقى قاشان وفى
آخرها عند هذا الجبل بلد استراباد وحفانى هذا الجبل من
شقيه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففى
جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان
آخر الجزء وفى شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون
وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفى الشمال
عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال
والشرق مفاوز معطلة وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى
غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففى
عدوته الغربية زم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية
من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل
استراباد المعترض فى الجزء السابع قبله ويخرج من هذا

الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة
ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى
يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرق نهر
جيمحون من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم
بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اشروسنة ومنها خجندة
آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واشروسنة ارض
يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش يمر الى آخر
الجزء شرقا وتاخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب
تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي
في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن
الى ان يصب في نهر جيمحون عند مخرجه من هذا الجزء
الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في
ارض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث
من تخوم بلاد التبت وتختلط معه قبل مخرجه من الجزء
التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون
يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف مشرقا ومنحرفا الى
الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش
ثم ينعطف في الجزء فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى
جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف
هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض

بخارا وحوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلاد اسيجاب وطراز (1) وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غريده بعد فرغانة والشاش ارض الخرخمية في الجنوب وارض الخاخلمية في (2) الشمال وفي شرق الجزء كله الى آخره ارض الكيماكية وتتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوفايا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الاسم كلها شعوب الترك

الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغمور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه قطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث فسفيها من بتيمة ارض الاندلس منت ميور (3) على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وشلمنكة شرقا عنها وفي جوفيهها سمورة وفي الشرق عن شلمنكة ابلة آخر الجنوب وارض

(1) Les man. A. B. C. طراز.

(2) Man. C. et D. الخاخلمية

(3) Man. A. مدينة منور. B. منت منور.

قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض
ليون وبرغشت (1) ثم وراها في الشمال ارض جليقية الى
زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع
الغربي بلد شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق
الاندلس مدينة تطيلة (2) عند آخر الجزء في الجنوب وشرقا
عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها
شرقا وشمالا وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم تاجرة فيما بينها
وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذيا
للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر من عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا
من قبل انه يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم
الرابع ويصير حجرا على الاندلس من جهة الشرق وثناياه
ابواب لها تفضى الى بلاد غشكونية من امم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي
وجرندة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوشة شمالا عن جرندة واما المنكشفي في هذا
الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل
زاويتها السحادة وراء البترتات شرقا وفيها على البحر المحيط

(1) Man. A. برغشت. B. برغشتت. (2) Man. A. et B. تطيلة.

على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد بيونة
وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
ارض بيطوس من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في
الناحية الغربية من ارض غشكونية وفي شمالها ارض بيطوس
وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية قطعة من
البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالنرس مايلسة الى
الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخلت في
جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى
سنتها في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سنته
ارض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة للخارج من البحر
الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
البر في البحر في غربيد بيش وفي شرقيد مدينة رومة العظيمة
كرسي ملك الافرنجة ومسكن البائة بتركهم الاعظم وفيها من
المباني الضخمة والهيكل المهيولة والكنائس العادية ما هو
معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من
المشرق الى المغرب سفروش قاعد ببلاط النحاس وفيها
كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي
الشمال عن بلاد رومة بلاد انبرضية الى آخر الجزء وعلى هذا
الطرف من البحر الذي في جونه (1) رومة بلد نابل في

1) Man. B. جوفه.

الجانب الشرقي منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج
وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء
من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء
وانتهى في نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة
من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد
انكلاية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا
الاقليم في غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر
الرومي يدخل جانب من يرها في الاقليم الرابع في البحر
الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت
الشمال الى هذا الجزء وفي شرق بلاد قلورية بلاد انكبودة
في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف
هذا الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به
من شرقيد خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت
الشمال ثم ينعطف الى المغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي
ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه وبذهب
معد في الشمال ثم يغرب معد في الاقليم السادس الى ان
ينتهي قبالة الخمايج في شماله في بلاد انكلاية من اسم
اللمانيين كما نذكر وعلى هذا الخمايج وبينه وبين هذا
الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى
المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد اللمانيين عند طرف

PROLÉGOMÈNES
d'Édu-Khaldoun.

الخاليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مخرسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل عرسين منهما طرف في البر في البحر القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي وبذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخاليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والسخامة ما كثرت عند الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخاليج القسطنطينية من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين (1) ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخاليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس واظتها لهذا المعهد مجالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا (2) وكانت من قبلهم للروم وغلبتهم عليها لاسم الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد

(1) Man. A. et B. لليونان. C. لليونانيين. (2) Man. A. et B. برصة.

عمورية وفي شرق عمورية نهر قباقب الذى يمد الفرات
يخرج من جبل هنالك ويذهب فى الجنوب حتى
يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره فى
الاقليم الرابع وهناك فى غربيه آخر الجزء مبداء نهر
سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمته وقد مر
ذكرهما وفى شرقيه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب على
سمته وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاوية
التي بين الجنوب والشرق عن هذا الجزء وراء الجبل
الذى يبداء منه نهر دجلة بلد ميفارقين ونهر قباقب الذى
ذكرناه يتقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها
ارض باطوس كما قلناه واسفلها الى آخر الجزء شهالا ووراء
الجبل الذى يبداء منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
والقطعة الثانية شالية شرقية جنوبية على الثلث فى الجنوب
منها مبداء الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة
بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهى عربضة وفى آخرها
عند مبداء الفرات بلد حرشنة (1) وفى الزاوية الشرقية
الشالية قطعة من بحر نيطش الذى يمدّه خاليج القسطنطينية
وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربه بلاد
ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق

(1) Harshna. B. حرشنة. A. Man.

وفيها بلد ارزن في الجنوب والمغرب وفي شمالها تفليس ودبيل وفي شرقي ارزن مدينة خلط ثم برذعة وفي جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد اليراعة في شرقي جبل (1) الاكراد المسمى بارما وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشمال فيها بلاد اذربيجان وآخرها في هذا الجزء شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخمزر وهم التركمان وبداء من عند هذه القطيعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس وتترفيد منعطفة ومحيطة ببلاد ميافارقين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في اسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثنايا كالابواب تفضى من الجانبين ففي جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها

(1) Man. A. et B. جبلها.

ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السيرير وفي الزاوية الغربية الشمالية منها وهي زاوية الجزء كله قطعة ايضا من بحر نيپش الذي يمدّه خايج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحقّق بهذه القطعة من نيپش بلاد السيرير وعليها منها بلاد طرابزنده وتتصل بلاد السيرير بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهي شرقا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غريه كلد مغمور ببحر طبرستان وخرج من جنوبيه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبل الديلم الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه انفا وتكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصبّ فيها نهر انل في هذا البحر وتبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات

للغز من اعم الترتك ويقال لهم الخزر كانه عرب وصارت
خاوه غينا وشددت الزاي ويحيط بهذه القطعة جبل من
جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب
الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر
طبرستان فيحتمق بد ذاهبا معه الى بقتيد في الاقليم السادس
ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياه
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم
يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا
الطرف منه هو الذى اعترض في هذا الجزء بين ارض
السريز وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء
السادس والسابع حفافى هذا الجبل المسمى جبل شياه
كما يانى والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله
مجالات للغز من اعم الترتك وفي الجهة الجنوبية الغربية
منه بحيرة خوارزم التى يصب فيها نهر جيحون دورها
ثلثماية ميل وصب فيها انهار كثيرة من ارض هذد
المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غرغون
دورها اربعمائة ميل ومائها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا
الجزء جبل مرغار (1) ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه
وهو متصل بآخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة غرغون

(1) Man. B. مرغان.

جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيا يسمى غرغون وبه
 سميت البحيرة وتتجلب منه ومن جبل مرغار شمال
 البحيرة انهار لا ينحصر عددها فتصب فيها من الجانبين
 وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم
 الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحده من
 جهة الشرق آخر الجزء جبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج
 يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حين
 يعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من
 آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتق هنالك
 بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا
 في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط
 من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر
 من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في
 جنوبيه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى الغرب فيها آخر
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي
 الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب الى سمته الى
 الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
 نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوفايا عند
 الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب
 وهي من بلاد ياجوج وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا

الأقليم ارض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيد من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوفايا حين مر فيه وما سوى ذلك فكله ارض ياجوج وماجوج

الأقليم السادس

فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من الارض في هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولاً وعرضاً وهي كلها ارض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء بلاد صابس (1) متصلة بارض بيطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الأقليم الخامس وشماله والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر المحيط من غربه فمن غربه في قطعة مستطيلة اكثر من النصف الشمالي من شرق ارض برطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة

(1) مان. A. et B. صابيس.

انكلطرة وهى جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك عنخم وبقيتها فى الاقليم السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء بلاد برمنديّة وبلاد افلادنش متصلين بها ثم بلاد افرنسيّة جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لامم لافرنجة وبلاد اللمانيين فى النصف الشرقى من هذا الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهرنكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيطة فى الزاوية الشماليّة الشرقية ارض افرنده وكلها لامم اللمانيين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى الناحية الغربية بلاد يوانية (1) فى الجنوب وبلاد شعونية فى الشمال وفى الناحية الشرقية بلاد انكربة فى الجنوب وبلاد بلونية فى الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا فى الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شعونية آخر النصف الغربى وفى الجزء الرابع فى ناحية الجنوب ارض جشولية وتحتها فى الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف الشرقى وفى شرق ارض جشولية بلاد جرمانية وفى الزاوية الجنوبيّة الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخايج الخارج من البحر

(1) Man. C. نوابية.

الرومي وعند مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في اعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء يدها الخاليج وبينهما في الزاوية بلد مسناة وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية منه بحر نيطش يتصل من الخاليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمتة شرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول الف وثلاثماية ميل من مبدائه في عرض ستماية ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل نيطش متصلة بارض البيلتان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية (1) وقاعدتها سنوبلى (2) على بحر نيطش وفي شمالى بحر نيطش في هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيططة ببلاد برجان من شرقها في هذا الجزء ومن شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطش وينحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفي جنوبه ومنفسحا الى الشمال بها انحرف هو كذلك بقية اللانية التي كانت آخر

(1) Man. A. et B. اللانية.

(2) Man. C. سوپلى.

جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الجنوبية ارض بانجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كوية (1) المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتة مغربا فيحوز (2) هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارقتة بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض بسجرت (3) وبجناك من امم الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولنج (4) من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبداء نهر ائل من اعظم انهار العالم وممره

1) Man. A. شياكوية.

(3) Man. A. et B. سجرت.

2) Man. A. B. et D. يجوز.

4) Lisez الخولنج.

في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس
وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من
جبل في الارض المنته من ثلاثة ينابيع تجمع في نهر
واحد ويمر على سمت المغرب الى آخر السابع من هذا
الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع
فيمر على طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء
السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف
ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس
ويخرج منه جداول تذهب مغربا وتنصب في بحر نيطنش
في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في
بلاد بلغار (1) فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس
ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمر
في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع
منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي
انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي
الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد
خفشانج من الترك وهم قفجق وبلاد التركش (2) منهم ايضا
جبل قوفايا وفي الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل
قوفايا المحيط وقد مر ذكره يبداء من البحر المحيط في

(1) Man. A. et B. برغار.

(2) Man. B. et C. التركس.

شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم فى الشمال
ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل فى الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمتة الاول فى
الشمال حتى يدخل فى هذا الجزء التاسع من جنوبه الى
شمال وبانحراف الى المغرب وفى وسطه ههنا السد الذى
بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة فى الاقليم السابع وفى
الجزء التاسع منه فيمرّ فيه من الجنوب الى ان يلتقى البحر
المحيط فى شماله ثم يعطف معه من هنالك مغربا فى
الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك
بقطعة من البحر المحيط فى غربيه وفى وسط هذا الجزء
التاسع هو السد الذى بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من
خبره فى القران وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه فى كتابه
فى الجغرافيا ان الواثق رأى فى منامه كان السد انفتح
فانتبه فزعا وبعث سلامة الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره
ووصفه فى حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفى
الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى
آخره على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من
شرق وشماله مستطيلة فى الشمال وعريضة بعض الشيء فى
الشرق انتهى

الأقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عاتته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثانى مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التى معظمها فى الثانى وفى الاول منها طرف انعطى بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه فى الجزء الثانى من الأقليم السادس وهى مذكورة هنالك والسماز منها الى البر فى هذه القطعة سعة اثنى عشر ميلا ووراء هذا الجزيرة فى شمال الجزء الثانى جزيرة رسلاندة مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الأقليم مغمور اكثره بالبحر لا قطعة مستطيلة فى جنوبه وتتسع فى شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونيه التى مر ذكرها فى الثالث من الأقليم السادس وانها فى شماله وفى القطعة من البحر التى تغمر هذا الجزء ثم فى الجانب الغربى منها مستديرة فسيحة ويتصل فى البر من باب فى جنوبها يفتى الى بلاد فلونيه (1) وفى شمالها جزيرة برقاعة مستطيلة مع الشمال من الغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الأقليم شماله كده مغمور بالبحر المحيط

1/ Mau. A. فلوانية. B. فلونية.

من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربه ارض
 فيمازك من الترك وفي شرقها بلاد طبست ثم ارض
 رسلاندة الى آخر الجزء شرقا وهي دايمه الثلوج وعمرانها
 قليل وتتصل ببلاد روسية في الاقليم السادس وفي الجزء
 الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم
 في الناحية الغربية بلاد الروسية وتنتهي في الشمال الى
 قطعة البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوفايا كما ذكرناه
 من قبل وفي الناحية الشرقية منه يتصل ارض القمانيه على
 قطعة بحر نيطنش في الجزء السادس من الاقليم السادس
 وينتهي الى بحيرة طرمى (1) من هذا الجزء وهي عذبة ويتجلب
 اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي
 شمالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض البنارية من
 الترك الى آخره وفي الجزء السادس في الناحية الغربية
 الجنوبية متصل بلاد القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة
 عين (2) عذبة يتجلب اليها انهار من الجبال في السواحي
 الشرقية وهي جامدة دايمًا لشدة البرد الا قليلا في زمن
 الصيف وفي شرقي بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان
 مبداءها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من
 الجزء الخامس منه وفي الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا

(1) Man. B. طرى D. طرفى.

(2) Man. C. عين.

الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبداءها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر ائل العطفة الاولى الى الجنوب كما مرّ وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوفايا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجناك من اسم الترك وكان مبداءها في الناحية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض بسحرت (1) ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء مشرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوفايا المحيط متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة في شرقها الارض المحفورة وهي من العجايب خرق عظيم في الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والسيران في الليل تضيء وتخفى وربما رى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسدة وفي آخر الشمال منه جبل قوفايا متصل من

(1) بسحرت. Lisez. سحوى. D. سحرت. B. سحرت. A. Man. (1)

الغرب الى الشرق وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يحوزها جبل
قوفايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في
الجزء التاسع من الاقليم السادس وبمرّ معترضا فيه وفي
وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي
الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج وراء جبل قوفايا
على البحر قابلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمره البحر جميعه هذا آخر الكلام على
الجغرافيا واقليمها السبعة وفي خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقليم والمنحرف وتأثير
الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بيّنا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو
وسطه الى الجانب الشمالي لافراط الحر في الجنوب منه
والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادين في البرد والحر وجب ان تتدرج الكيفيّة من
كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران

والذى حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلماذا كانت العلوم والصنایع والمباني والملابس والاقوات والنواكح والحيوانات وجميع ما يتكوّن في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطه مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنایعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة (1) المنمّقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين يذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والحاس والرصاص والتصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالتقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامّة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقين والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الافرنجة والجلالقة ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال في جميع احوالهم فبنائهم بالطين والتصعب واقواتهم من الذرة والعشب

1. Man. D. المتخذة من الحجارة.

وملابسهم من اوراق الشجر يخصصونها عليهم او السجلود واكثرهم
عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مايلة
الى الانحراف ومعاملاتهم بغير التقدين الشريفين من نحاس
او حديد او جلود يتدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك
قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من
السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون فى الكهوف والعياض
وياكلون العشب وانهم متوحشون غير مستأنسين وانهم
ياكلون بعضهم بعضا وكذلك الصقالبة والسبب فى ذلك
انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم (1)
من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار
ذلك وكذا احوالهم فى الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة
ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال
وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الداينين
بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل
سالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الداينين
بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا بد بالباية السابعة ومثل
من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والفرنجة والترک فى
الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقليم المنحرفة
جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم

(1) Man. C. احوالهم.

وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال
 البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود
 اليمن وحضرموت والاحتافى وبلاد الحجاز واليامة وما اليها
 من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة
 العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما
 ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من
 اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحرّ وصار فيها بعض
 اعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض التسابين ممن لا علم
 لديهم بطبايع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح
 اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيد ظهر اثرها فى لوند
 وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ولده حام
 قد وقع فى التورية وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بان
 يكون ولده عبيد لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام
 غفلة عن طبيعة الحرّ والبرد واثرها فى الهواء وفيما يتكون
 فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
 والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان
 الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما
 من الاخرى فتطول المسامنة عامة الفصول ويكثر الضوء
 لاجلها وياج القيظ الشديد عليهم فتسود جلودهم لانحراف
 الحرّ ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلها من الشمال الاقليم

السابع والسادس شمل سكانها ايضا البياض من مزاج
هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في
دايرة مرائى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة
ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة
الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهى الى الزعورة ويتبع
ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش
الجلود وعهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس
والرابع والثالث فكان لها فى الاعتدال الذى هو مزاج
التوسط حظ وافر والرابع ابلغها فى الاعتدال غاية للنهاية
فى التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال فى خلقهم
وخلقهم ما اقتضاه مزاج هويتهم وتبعد من جانبى الخامس
والثالث وان لم يبلغا نهاية التوسط لميل هذا قليلا الى
الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم
ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها
كذلك فى خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسواد
والسادس والسابع للبرد والبياض وسمى سكان الجنوب من
الاقاليم الاول والثانى باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء
مترادفة على الامة المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا
منهم بين تجار مكة واليمن والزنج بين تجار بحر الهند
وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود

لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير الاحسادا حتى كسى جلودهما سوادا
والصقلب (1) اكنست البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتبارها في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اما متفرقة واجيالا متعددة مسمين باسما متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة من اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتدال (2) لديهم من المعاش والمساكن والصنایع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم النبوات والملل (3) والدول

(1) Man. C. et D. اكنست. Man. D. ابيضاضا.

(2) Man. C. et D. للاعتبار.

(3) Man. A. et B. الملك.

والشرايع والعلوم والبلدان والامصار واليبانى والغراسة والصنایع
الفايقة وسایر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم الذين وقفنا
على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنی اسرائيل
واليونانيين واهل السند والصين ولما راي النسابون اختلاف
هذه الامم بسماتها وشعايرها حسبوا ذلك لاجل الانساب
فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا
في الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل
الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة
وهم اهل الوسط (1) المنتحلون للعلوم والصنایع والملل والشرايع
والسياسة والملک من ولد سام وهذا الزعم وان صادف
الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما
هو اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما اذاهم
الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع
بالانساب (2) فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل او
للآمة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبنی اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشان
والصقالبة والسودان ويكون بالعوايد والشعاير مع النسب كما
للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم

(1) Man. A. واسط.

(2) Man. A. et B. بالانساب.

فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

المقدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر

قد راينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرج والسرور هي انتشار الروح الحيوانى وتفشيده وطبيعة الحزن بالعكس وهي انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفضية للهواء والبحار مخاخلة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرج والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية من التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتجيئ طبيعة الفرج وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة

الهواء بارواحيهم فتستخت لذلك حدث لهم فرح وربما
انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحرّ على امزجتهم وفي
اعل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة
ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل
الاقليم الرابع اشدّ حرارة (1) فتكون اكثر تفشيا فتكون
اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويحى الطيش على اثر هذه
وكذلك يالحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية (2) لما كان
هواها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط
البحر واشتدّ كانت حصّتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد
نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجريدية من الاقليم
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في
الجنوب من الارياف والتلول واعتبر ذلك باهل مصر
فانها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريبا منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغلظة عن العواقب حتى انهم
لا يذخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم من
اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق

(1) Man. C. et D. حرّا.

(2) Man. A. et B. المنحرفة.

الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم
ليذخر اقوات سنين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء
قوته ليومه مخافة ان يرزأ شياء من مدخره وتتبع ذلك
في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا من كفيات
الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض السعوى للبحث عن
السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول
تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
ويعقوب بن اسحق الكندي ان ذلك لضعف ادغمتهم
وما نشاء عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له
ولا برهان فيه والله يهدى من يشاء

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب
والجوع وما ينشاء عن ذلك من الآثار في ابدان البشر
واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد له الخصب
ولا كل ساكنها (1) في رغد من العيش بل فيها ما يوجد
لاهلها خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والثواكه
لزكاء النباتات واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض

(1) ساكنها. Man. A. et B.

الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطى من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل الملتئمين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هولاء يفقدون الحبوب وادم حيلة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب الجايلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب وادم من التلول الا ان ذلك في الاحايين وتحت رقبة من حامييتها وعلى الاقلال لقلّة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى سدّ الخلة ودونها فضلا عن الرغد والنخسب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض ونجد مع ذلك هولاء الفاقيدين للحبوب وادم من اهل القفار احسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم انقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملتئمين واهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديّة ينشأ عنها بعد اقطار في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة

ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة فتجىء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والهمى والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعى الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضايمها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر واليون بينهما ما رايت وما ذلك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاختلاط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فاننا نجد اهل الاقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذهانهم والحشونة في اجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هولاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذلك اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في

الادم والبرّ مع الاندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب
عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقل وحنفة
الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الضواحي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضرة والامصار فان اهل
الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من ادم ومخصبين في
العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف (1)
بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة
ماكلهم لحمان الضائن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الادم لتفاحته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخفق
ما تؤدبه لاجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسوم
اهل الامصار الطف من جسوم اهل البادية المخشنيين في
العيش وكذلك نجد المتعودين للجوع من اهل البادية
فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة واعلم ان
اثر هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة ممن ياخذ نفسه
بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة
من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في
المدن والامصار لما يعمها من التساوة والغفلة المتصلة
بالاكثر من اللحمان والادم ولباب البرّ ويختص وجود

(1) Man. C. التلطف.

العباد والزهاد لذلك بالمتشقين في غذائهم من اهل
 البوادي وكذلك نجد حال المدينة الواحدة في ذلك
 يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك
 نجد هؤلاء المخصبين العيش المنغمسين في طيباته لا من
 اهل البادية ولا من اهل الحاضرة ولا مصار اذا نزلت بهم
 السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
 غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما
 يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد
 النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
 العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس
 الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم
 السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
 ولا يكثروا فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في
 ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
 للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم رطوبة فوق رطوبتها
 الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها فاذا خولف بها العادة
 بقلّة الاقوات وفقدان ادم واستعمال الخشن غير المألوف
 من الغذاء اسرع الى المعاء اليابس والانكماش وهو عضو
 ضعيف في الغاية ولهذا عدّ في المقاتل فيسرع اليه المرض
 ويهلك صاحبه بسرعة فالحالكون في المجاعات انما قتلهم

الشبع اليعتاد السابق لا الجوع اللاحق واما المتعودون للعيمة وترك الادم والسمن فلا تنزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة وهي صالحة على جميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معام بتبدل الاغذية يبس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذى يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الادم فى المآكل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية وايلافها او تركها انما هو بالعادة فهن عود نفسد غذاء ولايه تناولده كان له مألوفاً وصار الخروج عند والتبدل به داء ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجملة كالسهم واليتوم وما افطر فى الانحراف فاما ما وجد فيه التغذى والهلاية فيصير غذاء مألوفاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الخنطة والحبوب حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الخنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسمع عنهم فى ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب فى ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئاً صار من خلقها وجبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الأطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه

الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكافية فحينئذ ينحسم (1) المعنا ويناله المرض الذى يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعل المتصوفة فهو بمنزل عن الهلاك وهذا التدريج ضرورى حتى فى الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدئى فى الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا فى دولة السلطان ابنى الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حسبتا انفسهما عن الاكل جملة من سنين (2) وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان مانتا وراينا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم ثديها فى بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاؤه واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا تستكرون ذلك واعلم ان الجوع اصاح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان لدنرا فى الاجسام والعقول فى صفائها (3) وصلاحها كما قلنا واعتبر ذلك بانار الاغذية التى تحصل عنها فى الجسم فقد

صقاعا (3) Man. A. et B. سنيتين (2) Man. A. et B. ينحسم (1) Man. C. et D.

راينا المغتدين بالحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان
تنشاء اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل
الحاضرة وكذا المغتدون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما
يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل
الاثقال كما هو للابل وتنشأ معاهم ايضا على نسبة مع الابل
في الصحة والعلظ فلا يطررها الوهن ولا الضعف ولا ينالها
من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل نضجه والدرياس
والفربيون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل
الحضر الرقيقة معاهم بما نشأت عليه من لطيف (1) الاغذية
لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية
ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب الطبوخة في
بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها
اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب
بطرح ذلك البعر (2) مع البيض المحض فتجىء
دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه
الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للمجموع ايضا آثار
في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه

(1) Man. A. et B. لطف.

(2) Man. A. et B. البعض.

فيكون تأثير الجموع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر بالفترة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرواية

اعلم ان الله سبحانه اعطى من البشر اشخاصا فضلاهم بخطابهم وفضلهم على معرفتهم وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرصون على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلتقي اليهم من المعارف وبظاهرة على السننهم من الخوارق الاخبار بوقوع الكائنات الغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من ناحيته وضرورية الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيط كأنها غشي او اغماء في رأى العين وليست منهما في شئ انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم

يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام
فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من
عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القى
عليه قال صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الوحي احيانا
ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عني وقد
وعيت ما قال وحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى
ما يقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والغظ ما لا يعبر عنه
ففى الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت
عائشة كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك
قولا ثقيلًا ولاجل هذه الحالة فى تنزل الوحي كان المشركون
يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأى او تابع من الجن
وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن
يضلل الله فىا له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم
قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة المذمومات والرجس
اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن
المذمومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجلته وفى الصحيح
انه حبل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها
فى ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره
ودعى الى جميع لولبية وفيها عرس ولعب فاصابه غشى النوم

الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم بل نزهه الله تعالى عن ذلك بجباته حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل ولا الثوم فقيل له في ذلك فقال انى اتاجى من لا تناجون وانظر لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بحال الوحي اول ما فجيده وارادت اختباره فقالت له اجعلنى بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذا سألته عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة والبياض من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك (ومن) علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاجا فى امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفى الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيها سأل ان قال بِمِ يامرکم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلاة والعفاف الى آخر ما سأل واجابه فقال ان يكن ما

يقول حقًا انه نبيٌ وسيلك ما تحت قدمي هاتين
والعنان الذي اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلًا على صحّة النبوة
ولم يحتاج الى معجزة فدلّ على ان ذلك من علامات
النبوة (ومن) علاماتهم ايضا ان يكونوا ذوي حسب في قومهم
وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي
رواية اخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين
وفي مسائلة هرقل لابى سفيان كما هو في الصحيح قال
كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل
والرسل تبعث في احساب قومهم ومعناه ان تكون له
عصبية (١) وشوكة تمنع من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات
ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملئته (ومن) علاماتهم ايضا
وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي افعال تعجز البشر
عن مثلها فسميت معجزة وليست من جنس مقدور العباد
وانما تقع في غير محل قدرتهم والناس في كيفية وقوعها
ودلالاتها على تصديق الانبياء خلاف فالتكلمون بناء على
القول بالفاعل المختار قايلون بانها واقعة بقدرّة الله تعالى
لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم
الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

١ Man. D. عصبية.

عند الجميع ألا التحدى بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل
بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فتنزل منزلة
القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلالتها على
الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدى
ولذلك كان التحدى جزءا منها وعبرة المتكلمين صفة
نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدى هو
الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما الى
التصديق فلا وجود للتحدى الا وجد اتفاقا وان وقع التحدى
فى الكرامة ضد من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هى على
الولاية وهى غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره
وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدى
بالولاية وقد اريناك المغايرة بينهما وانما يتحدى لغير ما
يتحدى به النبى فلا لبس على ان النقل عن الاستاذ ليس
صريحا وربما حصل على انكار ان يقع خوارق الانبياء لهم
بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقهما واما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
افعال العباد وافعالهم معتادة فلا خارق واما وقوعها على يد
الكاذب تلبيسا فهو محال اما عند الاشعرية فلان صفة
نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة واقول والتصديق كذبا

واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من
 فرض وقوع المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان
 وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله وأما
 الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبى ولو كان فى غير
 محل القدرة بناء على مذهبهم فى الايجاب الذاتى ووقوع
 الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والاسباب
 الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات
 لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها
 صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له فى التكوين
 والنبى عندهم مجبول على التصريف فى الاكوان متى توجه
 اليها واستجمع لها بها جعل الله له من ذلك والخارق
 عندهم يقع للنبى كان التحدى او لم يكن وهو شاهد بصدقه
 من حيث دلالة على تصرف النبى فى الاكوان الذى
 هو من خواص النفس النبوية عندهم لا بانه يتنزل منزلة القول
 الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هى
 عند المتكلمين ولا يكون التحدى جزءا من المعجزة ولم يصح
 فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان
 النبى مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر
 فلا يتم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر وفى
 مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبى مخصوصة

كصعود السماء والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم
الملائكة والطيّران في الهواء وخوارق الوحي دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر
عن تصريف الانبياء ويأتي النبيّ بشلّ خوارقه ولا يقدر هو
على مثل خوارق الانبياء وقد قرّر ذلك المتصوّفة فيما كتبوه
في طريقتهم ونقلوه عن مواجدهم (1) واذا تقرّر ذلك فاعلم
ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القران الكريم
المنزل على نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه لانّ الخوارق في
الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبيّ وتأتي المعجزة
شاهدة به وهذا ظاهر والقران هو بنفسه الوحي المدعى (2) وهو
الخارق المعجز ودلالته في عينه ولا ينتقل الى دليل اجنبيّ
عنه كساير الخوارق مع الوحي فهو اوضح دلالة لاّتحاد
الدليل والمدلول فيد وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبيّ من الانبياء الاّ واوتى من الآيات ما مثله امن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى اليّ فانا
ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يشير الى ان المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها
نفس الوحي كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثير المصدق
والمؤمن وهم التابع والامة والله سبحانه اعلم وبذلك هذا

(1) Man. D. لقوه عنّ اخبارهم.

(2) Man. D. المدعى.

كله على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز فاخص الاعجاز بالقران وتلقيهم لكتبهم مثلها يتلقى نبينا المعاني التي يسندها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه ويشهد لتلقيه القران متلوا قوله لانحركت به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وسبب نزولها ما كان يقع له من بداره الى تدارس الآية خشية من النسيان وحرصا الى حفظ ذلك المتلو المنزل فتكفل الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هذا هو معنى الحفظ الذي اختص به القران لا ما ذهب اليه العامة فانه بهزل عن اليراد وكثير من الآي يشهد لك بانه نزل قرانا متلوا معجزا بسورة منه ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على دعوتهم لو انفقتم ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فاعلم هذا وتذكره تجده صحيحا كما قررت لك وتامل ما يشهد لك به من ارتفاع

رتبته على الانبياء وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم
ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من
المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا ثم شأن العرافين وغير
ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله واياك انا
نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من
الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان
بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضى
عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وابدأ من ذلك
بالعالم المحسوس الجسماني واوولا عالم العناصر المشاهد كيف
تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار
متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد ان يستحيل
الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد
منها اللف مما قبله الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهي
الطف من الكل وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على
هيئة لا يدرك الحسن منها الا الحركات فقط وبها يبتدى
بعضهم الى معرفة مقاديرها واوضاعها وما بعد ذلك من
وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم
التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على
هيئة بديعة من التدريب آخر افق المعادن متصل باول افق
النبات مثل الحشائش وما لا يزرلد وآخر افق النبات مثل

النخل والكرم متصل باول افق الحيوان كالخنازير والصدف لم توجد لهما الا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكنونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق من الذى بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه انتهت في تدريج (1) التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليد من عالم القرود الذى استجمع فيه الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك فى اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد فى العوالم على اختلافها آثارا متنوعة ففى عالم الحس آثار من حركة الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين آثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثرا مابيننا للجسام فهو روحانى ومتصل بالمكنونات لوجود اتصال هذه العوالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة المحركة ولا بد فوقها من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا وتكون ذواته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون النفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفى لحظة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون

(1) Man. A. et B. تدريج.

لها اتصال بالافق الذى بعدها شأن الموجودات المترتبة كما قدّمناه فلها فى الاتصال جهتا العلوّ والسفل هى متصلة بالبدن من اسفل (1) منها ومكتسبة به المدارك الحسيّة التى تستعدّ بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلا منها بافق الملائكة ومكتسبة من المدارك العلميّة والغيبية فان علم الحوادث موجود فى ذواتهم من غير زمان وهذا على ما قدّمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقوة بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غايبة عن العيان واثارها ظاهرة فى البدن وكأنه وجميع اجزائه مجتمعّة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكليّة بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك مترتبة ومرتقيّة الى القوة العليا منها وهى المفكرة التى يعبرون عنها بالناطقّة فقوى الحسّ الظاهر بالانده من البصر والسمع وسايرها ترتقى الى الباطن واولد الحسّ المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها فى حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحسّ الظاهر لانّ المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يوديد الحسّ المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشئ المحسوس

(1) Man. C. بالذى اسفل.

في النفس كما هو مجردا عن الهواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الوهية والحافظة فالوهية لادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصدقة عمرو ورحمة ارب وافتراس الذئب والحافظة لايداع الهدرات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالحزانة تحفظها الى وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله للآخرى ومؤخره للآخرى ثم يرتقى جميعها الى قوة الفكر وآلة البطن الاوسط من الدماغ وهو القوة التي تنقبع بها حركة الروية (1) والتوجه نحو التعقل تتحركت النفس بها دائما بها ركب فيها من النزوع الى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متمشبة بالملا الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائما وموجهة نحو ذلك وقد تنساح بالكلية من البشرية وروحانييتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجملة والنظرة الاولى في ذلك والنفوس البشرية في ذلك على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع من الوصول الى الادراك

(1) الرويا. Man. D.

الروحاني فيقع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من المحافظة الوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية (1) والتصديقية (2) التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في الاغلب نطاق الادراك البشري الجسدي واليد تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك اولياء اهل العلوم الدنيوية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصف مسطور على الانسلاخ من البشرية جبلة جساميها وروحانيها الى الملكية من الافق الاعلى ايعير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في افئتهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة ودولاهم

(1) Man. B. التصورية.

(2) Man. D. العريفية.

الانبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحمة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوايقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرايزهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف (1) بتلك الوجهة وتشيع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسأخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الاعلى ما يتلقوه عاجوا به على المدارك البشرية متنزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسمع دوى كأنه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى يلتقى اليه رجلا فيكلمه ويعى ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كله كأنه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعها فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي فى اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما

(1) Man. A. et D. تكشف.

حقيقته والثانية وهي حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسّر فيه النبي صلى الله عليه وسلم لها سأل الحارث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ على فينصم عني وقد وعيت ما قال وحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعى ما يقول وانما كانت الاولى اشدّ لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسهل وصعب ما سواه وعند ما يتكرّر الوحي ويكثر التلقّي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعوج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاول بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التشثيل لحالتي الوحي فتمثلت الحالة الاولى بالدوى الذي هو في المتعارف غير كلام وانحبر ان الفهم والوعى يتبعه غبّ انقضايه فناسب عند تصوير انقضايه وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضى الهطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعى فناسب العبارة بالمضارع

المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة فد اشار اليها القران قال تعالى انا سألقي عليك قولاً ثقيلاً وقالت عايشة كان مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عند وان جبينه ليتفصد عرقاً ولذلك ما كان يحدث عند في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فتحدث عند شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغط الذى عبر به في مبدء الوحي في قوله فغطى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضى الاعتياد فيد بالتدرج شيئاً فشيئاً الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القران وسوره وآياتد حين كان بيكته اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانها انزلت او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بيكته ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين اخر وكذلك كان من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي واليهودي من السور والآيات والده المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (واما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء عليهم السلام بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة شئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كالأما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالنظرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذن اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفلور على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عند بالجبلة فيكون بها بالجبلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك

تشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوان وسجع الكلام وما يسبح من طير أو حيوان يستديم ذلك الاحساس أو التخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالشيع له وهذه القوة التي فيهم مبداء لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس منطوية على النقص والتصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات اكثر من الكليات وتكون متشبهة بها غافلة عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتتذ فيها نفوذا تاما في نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المتخيلة وتكون لها كالمرأة تنظر فيها دايبا ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لانّ وحيد من وحى الشياطين وارفح احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليستغل بد عن الحواس ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهبس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصد بامر اجنبى عن ذاته الهدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وتبويبها على السائلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون
باسم الكهان لانهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله
عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع
مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين سألته
كاشفا عن حاله بالاختبار كيف ياتيك هذا الامر فقال
ياتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان
النبوة خاصيتها الصدق فلا يعتربها الكذب بحال لانها
اتصال من ذات النبى بالملاء الاعلى من غير مشيخ ولا
استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه
الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخلية فى ادراكه
والنسب بالادراك الذى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه
الكذب من هذه الجهة فامتنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان
ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين السجع اخف
من ساير المعينات من المرئيات والمسموعات ويدل خفة
المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن
العجز بعض الشئ (وقد) زعم بعض الناس ان هذه الكهانة
قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين
بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعهم من
خبر السماء كما وقع فى القران والكهان انما يتعرفون اخبار
السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من

ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السياء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا ممتا سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك لانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلمها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرچ عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور او يذهب (وقد) زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكتى يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقص وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا اما متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبى بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شىء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكى يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فاعل الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئة الخاصة ولو نقص بعض اجزائها

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoûn.

فلا يقتضى شيئاً إلا أنه يقتضى ذلك لأثر ناقصاً كما قالوه ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدّ متاً للنائم ولا يصدّهم عن ذلك في التكذيب إلا وسواس البطامع بأنّها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبى الصلت فأنه كان يطمع بأن يكون نبياً وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الأيمان وانقطعت تلك الأمانى آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطايحة الأسدى وقارب بن الأسود وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الأيمان (واما الرويا) فتحقيقها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لسمحة من صور الواقعات فإنها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تستجرد عن المواد الجسديّة والمدارك البدنيّة وقد يقع لها ذلك لسمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس فيها علم ما تشوّف اليد من الأمور المستقبلية وتعود به إلى مداركها فإن كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير جليّ عاينته بالمحاكاة والمثال في الخيال لتحصيله فيحتاج من أجل ذلك المحاكاة إلى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا تستغنى

فيد عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من الخيال
والمثال والسبب في وقوع هذه اللمحة للنفس انهما ذات
روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها
تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية
مدركة بغير شئ من الآلات البدنية الا ان نوعها في
الروحانيات دون نوع الهلائكة اهل الافق الاعلى الذين لم
يستكملوا ذواتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذى
للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا (واما) الذى
للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية
المحصنة التى هى اعلا الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم
متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يعوج على المدارك
البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم
شبيها بينا وان كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه
عبر الشارع عن الرويا بانها جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وفى رواية ثلاثة واربعين وفى رواية سبعين وليس العدد
فى جميعها مقصودا بالذات وانما الهراء الكثرة فى تفاوت
هذه الهراتب بدليل ذكر السبعين فى بعض طرقه وهى للتكثير
عند العرب وما ذهب اليه بعضهم فى رواية ستة واربعين من
ان الوحي كان فى مبدئه بالرويا ستة اشهر وهى نصف سنة

ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه اولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم علوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عامًا في البشر فمعد عوايق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة فنظر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبلى لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعل الشارع من البشريات فقال لم يسبق من النبوة الا البشريات قالوا وما البشريات يا رسول الله قال الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (واما) سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيوانى الجسمانى وهو بخار لطيف مركزه فى التجوف الايسر

من القلب على ما فى كتب التشريح لجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطى الحس
والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده ويتم افعال القوى التى فى بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتنفعل بهذا الروح البخارى وهى متعلقة
بدبها اقتضته حكمة التكوين فى ان اللطيف لا يؤثر فى
الكثيف ولها لطف هذا الروح الحيوانى من بين المواد
البدنية صار محلا لآثار الذات الهابنة له فى جسمانيته وهى
النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة فى البدن بوساطته وقد
كنا قدّمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو
الحواس الخمس وادراك فى الباطن وهو بالقوى الدماغية
وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها
من ذوات الروحانيات التى هى مستعدة له بالفطرة ولها
كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوهن والفشل
بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة
التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجدد الادراك
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيوانى من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن
ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب
الحرارة الغريزية اعناق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه

فتكون مشبعة مركبها وهو الروح الحيوانى الى الباطن ولذلك ما كان النوم للبشر فى الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى الباطنة ونحفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصور التى فى الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل (1) صوراً خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم تنزلها الى الحس المشتركة الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفتنة الى ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحانى لانها مغطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التى عارت متعلقة فى ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصورة المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة فى القوالب المعبودة والمحاكاة من هذه هى المحتاجة الى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل فى صور الحافظة (2) قبل ان تدرك من تلك اللحظة ما تدرك هى اغصان الاحلام وفى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الرويا ثلاث روياء من الله وروياء من الملك وروياء من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية

(1) Man. A. et B. التحليل.

(2) Man. A. et B. والصور الحافظة.

الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسيبها (١) ويشيعها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العيوم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسى فقد راي في نومه ما صدق له في يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة الغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادى الى الحق (فصل) ووقع ما يقع من ذلك للبشر غالبا انها هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس مستشرفة للشئ فتقع لها تلك اللحظة في النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء تذكر عند النوم فيكون عنهما الرويا فيما يتشوق (٢) اليه ويستمنها حالومة ذكر منها مسلية في كتاب الغاية حالومة سماها حالومة الطباع التام وهي ان يقال عند النوم وبعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بحدان يسواد وغداس نوفناغاس وبذكر حاجته فاند يرى الكشف عما يسئل عنه في النوم

(١) Man. A. et B. يشيبها.

(٢) Man. A. et B. يتشوق.

وحكى ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في ماكله
 وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسئل
 واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء
 وراء عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف اليها من
 احوالى وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرويا
 يحدثها وانما هذه الحالمات تحدث استعدادا في النفس
 لوقوع الرويا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب لحصول ما
 يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب
 ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد
 غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
 امثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم انا نجد في النوع
 الانساني اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة
 فيهم يتميز فيها عنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون في ذلك
 الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما
 نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها
 وذلك مثل العرافين والنظارين في الاجسام الشقافة كالمرايا
 وطساس الباء والناظرين في قلوب الحيوان واكبادها
 وعظامها واهل النجر في الطير والسباع واهل الطرق بالحصى
 والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم
 الانسان لا يسع احدا حدها ولا انكارها وكذلك المجانين

تلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها
وكذلك النائم والميت لأول موته أو نومد يتكلم بالغيب
وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب
على سبيل الكرامة معروفة ونحن لان نتكلم على هذه
الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة
واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس
الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب فى جميع الاصناف
التي ذكرناها (وذلك) انها ذات روحانية موجودة بالقوة
من بين ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من
القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد
وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي يتم
بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد أولا
بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والسجزئية ثم يتم
نشؤها ووجودها بالفعل بصاحبة البدن وما يعودها بورود
مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هي من تلك الادراكات
من المعاني الكلية فتتعقل (1) الصورة مرة بعد اخرى حتى
يحصل لها الادراك والتعقل صورة بالفعل فنتم ذاتها وتبقى
النفس كالجوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد
واحدة ولهذا نجد الصبى فى اول نشوئه لا يقدر على

(1) Man. A. تشغل. C. تغفل. D. تعقل.

الأدراك الذى لها من ذاتها لا فى نوم ولا بكشف ولا
 بغيرهما وذلك صورتها التى هى عين ذاتها وهى الإدراك
 والتعقل لم تتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تبت
 ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من
 الإدراك ادراك بآلات الجسم تؤيد اليها المدارك البدنية
 وإدراك بذاتها من غير واسطة وهى محجوبة عند الانغماس
 فى البدن والحواس وشواغلها لأن الحواس ابدا جاذبة لها
 الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الإدراك الجسماني
 وربما تنغرس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن
 لحظة اما بالخاصية التى هى للانسان على الاطلاق مثل
 النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
 او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ
 الى الذوات التى فوقها من الملاء الاعلى لها بين افقها
 وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قرناها قبل وتلك
 الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها
 صور الموجودات وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شئ من
 تلك الصورة وتقتبس منها علما وربما دفعت تلك الصور
 المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم تراجع
 الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو
 شرح استعداد النفس لهذا الإدراك الغيبى ولنرجع الى ما

وعدنا به من بيان اصنافه (فاتما) الناظرون في الاجسام
الشفافة من المرايا والطساس والياه وقلوب الحيوان واكبادها
وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل
الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكاهن
لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء
يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها
واشرفها البصر فيعكف به على الهراء البسيط حتى يبدو له
مدركه الذى يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه
هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون
في سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم
وبين المرآة حجاب كأنه غمام تتمثل فيه صور هي مدركاتهم
فتشير اليهم بالمقصود فيها يتوجهون الى معرفته من نفي
او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه (واما المرآة)
وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال
وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى
ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى
للحس (1) كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين في
قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين في الماء والطساس وامثال
ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس بالبحور فقط

(1) Man. A et B. الحسى.

ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر عما ادركت ويزعمون انهم يرون
 الصور مشبهة في الهواء تحكى لهم احوال ما يتوجهون
 الى ادراكه بالهال والاشارة وغيبة هواء من الحس اخق
 من الاولين والعالم ابو الغرايب (واما الزجر) وهو ما يحدث
 من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سماع طائر او حيوان
 والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على
 الحدس والفكر فيما زجر فيه من سرى او مسموع وتكون
 قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بها
 راءه او سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة
 المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس
 المرئ في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها
 الرويا (واما المجانين) فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق
 بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف الروح الحيوانى
 فيها فتكون نفسهم غير مستغرقة بالحواس ولا منغيسة
 فيها بما شغلها في نفسها من الم النقص ومرغذ وربما زاحمها
 على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف
 هذه عن ممانعتها فيكون عند التخبط فاذا اصابه ذلك
 التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس في ذاتها او لما
 زاحمه من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه (1) جملة

(1) Man.D. جسمه.

فادرك لمحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها
 الخيال وربما نطق على لسانه في تالك الحال من غير
 ارادة النطق وادراك هولاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل
 لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة
 بالتصورات الاجنبية كما قرناه ومن ذلك يجي الكذب في
 هذه المدارك (واما العرافون) فهم المتعلقون بهذا الادراك
 وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي
 يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما
 يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون
 بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا) تحصيل
 هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما
 صادف تحقيقا ولا اصابه ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا
 عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله
 وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفرعون الى الكتمان في تعرف الحوادث ويتنافرون
 اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك
 غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم
 في الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيح من مازن بن
 غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة

ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما روبا ربعة بن نصر
وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مصر من
بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا روبا الدوبدان
التي اولها سطيح لها بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان منهم في العرب كثير وذكرهم في اشعارهم
فقال

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياي
فقالا شفاك الله والله ما لنا بها حيلت منك الصلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق
الاسدي (ومن) هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس
عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي
يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع
ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب
الاختيار في الكلام فيتكلم كانه مجبول على النطق وغايتة ان
يسعد ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
روسمهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن

بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا
 ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم
 فاعلموهم بيا يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في
 مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دنّ مملؤ بدهن السهم
 ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالثين والجوز حتى يذهب
 لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤن راسد فيخرج من ذلك
 الدهن وحين يجفّ عليه الهواء يجيب عن كل شئ يسأل
 عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير
 افعال السحرة لكن تفهم منه عجائب العالم الانساني (ومن)
 الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة
 فيحاولون بالجهادة موتا عناعيا باماتة جميع القوى البدنية
 ثم محو آثارها التي تلتوت (1) بها النفس وذلك يحصل
 بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل
 الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على
 ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل
 الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات
 ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية) يرتاضون بذلك ليحصل
 لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العالم واكثر هؤلاء
 في الاقاليم المشرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند ويسمون

(1) تلوت. Man. C. et D.

هناك الجوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة
والاخبار عنهم في ذلك غريبة (واما المتصوفة) فرياضتهم
دينية وعربية من هذه المقاعد المذمومة وانما يقصدون جمع
الهيئة والاقبال على الله بالكلمة لتحصل اذواق العرفان
والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فيها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت
النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت
عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة
الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون
مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة
فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب
واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شركت قال بعضهم
من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون
بوجهتهم المعبود لا لشيء سواه وان حصل اثناء ذلك ما
يحصل بالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا
عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذانه لا لغيره وحصول
ذلك لهم معروف ويستمتون بما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفنا وما يقع لهم من
التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بتكبير في حقهم وقد
ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وابو محمد بن

ابى زيد المالكى فى اخرين فرارا من التباس المعجزة
بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو
كاف وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايح معروفة تشهد بذلك فى مثل قول عمر
رضى الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زيم كان قائدا
على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط
مع المشركين فى معترك وهم بالانهزام وكان بقربه جبل
يتحيز اليه فرفع (1) لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر
بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراى
شخصه هناك والقصة معروفة ووقع مثلها ايضا لابى بكر
فى وصيته عايشة ابنته رضى الله عنها فى شأن ما نحلها (2)
من اوسق التمر من حديقته ثم نبيها على جدادة لتحوّزه
عن الورثة فقال فى سياق كلامه وانما هما اخوك واختاك
فقالت انما هى اسماء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت
خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع (3) فى الهوطا فى باب
ما لا يجوف من النحل ومثل هذه الوقايح كثيرة لهم ولبن بعدهم
من الصالحين واهل الاقتداء الا ان المتصوفة يقولون انه يقتل

(1) Man. A. B. et D. فوق.

(3) Man. D. رفع.

(2) Man. C. نحلها. A. et B. نحلها.

في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حاله بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء الى المدينة النبوية سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله تعالى يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المریدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالهجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير متكلمين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتكلمون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك وباتون مند بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتیه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فان الله تعالى يخصصهم بما شاء من مواهب وهؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كمال الهجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكانه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر في قبول التكليف لاحلال معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لغسده ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود

الحقيقة معدوم العقل التكليفيّ الذي هو معرفة المعاش
ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة
على شئ من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما
يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة
ويستحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها ان
هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر
وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم
التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم
يخلقون على البله من اول نشوئهم والمجانين يعرض لهم
الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض
لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها
كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على
اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا
فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب
(فصل) وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب من
دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القايلون بالدلالات
النجمية ومقتضى اوضاعها في الفلك وانارها في العناصر
وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالنناظر ويتأدى من
ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من
الغيب في شئ انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية

على التأثير النجومى وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد
الحدس يقف به الناظر على تفصيله فى الشخصيات فى
العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك فى
محلّه ان شاء الله تعالى ولو ثبت فغايتة حدس وتخمين
وليس مما ذكرناه فى شىء (ومن) هولاء قوم من العامّة
استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سمّوها
خط الرمل نسبة الى المادّة التى يضعون فيها عملهم ومحصل
هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب
تختلف باختلاف مراتبها فى الزوجية والفرديّة واستوايها فيها
فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها او
افرادا فشكلا وان كان الفرد فيها فى مرتبة واحدة فقط فاربعة
اشكال وان كان الفرد فى مرتبتين فستة اشكال وان كان
فى ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
ميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شأن
الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعىة بزعمهم وكانها
البروج الاثنى عشر التى للفلك والاولاد الاربعة وجعلوا لكل
شكل بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من عالم العناصر
يختص به واستنبطوا من ذلك فتا حاذوا به فنّ النجامة
ونوع قضايه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات
طبيعيّة كما زعم بطليموس وهذه انما دلالاتها وضعيّة وذلك

ان بطليموس انما تكلم في المواليد والقرانات التي هي عنده من آثار الكواكب والاوزاع (1) الفلكية في عالم العناصر وتكلم المنجمون من بعده في المسائل استخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام ذلك البيت النجومية وهي التي ذكرها بطليموس واعلم ان الضماير امور نفسية ليست من عالم العناصر فليست من آثار الكواكب ولا الاوزاع الفلكية ولا دلالة لهما عليها نعم ان صار لفن المسائل مدخل في صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والاوزاع الا انه في غير مدلوله الطبيعي فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والاوزاع استعصا (2) بالمعانة والارتفاع بالآلات وتعديل الكواكب بالحساب واستخرجوا هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر بيتا من بيوت الفلك واوراده وتوعوها الى سعد ونحس وممتزج شأن الكواكب السيارة واقتصروا على التسديس من المناظرة ونزلوا الاحكام النجومية عليها كما في المسائل لان دلالة كل منهما غير طبيعيه كما قدمناه وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وصنّفوا فيها الصانيف المحصلة لتواعدها واصولها كما فعله الزناتى منهم وغيره (وقد) يكون من اهل هذه الصناعة من يتعرض بها لادراك الغيب باشغال

(1) Man. A. et D. اوزاع.

(2) Man. A. استعصا.

الحسّ بالنظر في اشكال تلك الخطوط فيعتبره حالة الاستعداد كما يعترى المفطورين على ذلك كما نذكره بعد وهؤلاء اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة في العالم وربّما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليها شأن الصنایع كلها وربّما يدعون مشروعيتها ويحتجون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان بنى يخطّ فمن وافق خطّه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعضهم لان معنى الحديث كان نبى يخطّ فيأتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فانهم صلوات الله عليهم متفاوتون في ادراك الوحي قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من يأتيه الوحي ويكلمه الهلك ابتداء من غير طلب والوجهة ولذلك ومنهم من يتوجّه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال امته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجّه وجهة ربّانية يتعرّض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطى التقسيم هنا قسما اخر ان وجد لان الوحي قد يكون وهو لا يستعدّ له بشيء من الاحوال كالذى ذكرناه وقد يكون وهو مستعدّ ببعض الاحوال كما نقل في الاسرائيلات ان بعض الانبياء كان يستعدّ لنزول الوحي

بسماع الاصوات الطيبة الداخنة وهذا النقل وان لم يكن
 متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فالله تعالى يخص انبياء
 ورسله بما شاء (نسخة) وقد نقل لنا ذلك عن بعض الكبار
 من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغنا يتجرد
 بذلك لهداركه في مقامه دون النبوة وما منا الا له مقام
 معلوم) واذا تقرر ذلك وقد كنا قدّمنا ان في اصحاب خط
 الرمل من يتعرض للكشف به باشغال الحس بالنظر في
 تلك الخطوط والاشكال فيعترده حينئذ الادراك الغيبي
 الوجداني (1) بالتفرغ عن الحس جملة ويفارق الهدارك البشرية
 الى المدارك الروحانية وقد مرّ تفسيرهما وهذا من الكهانة
 من نوع النظر في العظام واليهاء والمرايا بخلاف من يقتصر
 في ذلك منهما على الامر الصناعي الذي يحصل به على
 الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية
 بعد جايلا في مرامى الظنون فقد يكون شأن بعض الانبياء
 لاستعداد بالخط في مقامه النبوي لخطاب الملك كما
 يستعدّ به من ليس بنبي للادراك الروحاني ومفارقة
 المدارك البشرية الا ان ادراكه روحاني فقط وادراك النبي
 ملكي بالوحي من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط
 في مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبياء منها فانهم

(1) Man. B. الوجدان.

لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر
وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اى فهو
صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبى
الذى كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط او تكون
الاشارة بذلك الى تعظيمه وعلو شأنه في اتخاذ خطوط الرمل
بل لا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذى
كان النبى يستعد به للوحي فياتى على وفاقه واما اذا اخذ
ذلك عن الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه
وهذا معنى الحديث واللذ اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية
خط الرمل ولا جواز انتقاله لتعرف الغيب كما هو شأن اهل
فى المدن وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل
النبى شريعة متبعة فيكون مشروعاً على مذهب من يرى ان
شرع من قبلنا شرع لنا وليس هذا بيطابق لذلك فان
الشرع انما هو للرسول المشرعين للامم والحديث لم يدل
على ذلك وانما دل على ان هذه الاحالة تحصل لبعض
الانبياء ويحتمل ان يكون غير مشروع فلا يكون ذلك شرعا
لا خاصا بامته ولا عاما لهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة
تقع لبعض الانبياء خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا آخر ما اردنا
تحقيقه هنا واللذ الهامم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب
بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط

سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كـرروا ذلك اربع مراتب فتجئ ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجاً وبضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان او فردا فى مرتبة على الترتيب فتجئ اربعة اشكال يضعونها فى سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذى بازيده وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة فى سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع فى كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كد بما اقتضته اشكاله من السعادة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة فى العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهى كما رايت تحكم وهوى والتحقيق الذى ينبغى ان يكون نصب فكرت ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا لخواص من البشر المفظورين

على الرجوع عن عالم الحسّ الى عالم الروح ولذلك سمى المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخطّ وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها اشغال الحسّ لترجع النفس الى عالم الروحانيات لخطّه فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهذر من القول والعمل والله يهدى من يشاء والعلامة لهذه النظرة التي نظر عليها اهل هذا الادراك الغيبى انهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعتبرهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتشاوب (1) والتمطط ومبادئ الغيبة عن الحسّ ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات فليس من ادراك الغيب من شئ وانما هو ساع في تنفيق كذبه (فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من البطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعم بطليموس ولا من الظنّ والتخمين الذي يحاول عليه

(1) Man. A. التشاوب.

العرافون وإنما هي مغالط يجعلونها كالهيايد لاهل العقول
المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع
به الخواص (فمن) تلك القوانين الحساب الذي يسمونه
حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب
لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين
من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدها
بحساب الجمل المصطاح عليه في حروف ابجد من
الواحد الى الالف آحاد وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت
الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية
هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان
كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب
الاقل منهما الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا
فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين
فالمطلوب هو الغالب ونقل هنالك بيتين في هذا العمل
اشتهرا بين الناس وهما

ارى الزوج الافراد يسموا قلبها واكثرهما عند التخالف غالب
وبغلب مطلوب اذا الزوج وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وتعدوا لمعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا

معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالّة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالّة على الواحد و(ي) الدالّة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالّة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(ش) الدالّة على الالف وهي واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعيّة وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالّة على اثنين في المراتب الثلاث واستقوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلثة حروف وهي (ب) الدالّة على الاثنين في الاحاد و(ك) الدالّة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالّة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثيّة على نسق المراتب وهي (بكر) ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالّة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة (جلش) وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الاحاد وهي ايقش × بكر × جلش × دمت × هنت × وضغ × زغد × حنط × طضغ + مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة (ايقش) ولانثان لكلمة (بكر) والثلاثة لكلمة (جلش) وكذلك الى التاسعة التي هي (طضغ)

فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا لكل حرف منه فى اى كلمة من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم يجمعون الاعداد التى ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها ولا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسر فى هذا القانون بين وذلك ان الباقي فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كلها كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين واليائين والالفين وكلها انسان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثماية والثلاثة الاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود فى كل كلمة من الآحاد والعشرات واليائين والالفين والالفين وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات او اليائين او الالفين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التى فيها وتجتبع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون فيها الطرح

بتسعة مثل ما يفعلون بالآخرى سواء وهى هذه ارب + يسفك × جزا × مدوص × هف × تحذن × غش × نخع تضظ × تسع كلمات على توالى العدد وفيها الثلاثى والرابعى والثناى وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب فى هذه المعارف من النجامة والسيبيا واسرار الحروف وهو ابو العباس ابن البنا ويقولون عند ان العمل بهذه الكلمات فى طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايتش فالله اعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك الغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب النيم غير معزوا الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك فتصقحه ان كنت من اهل الرسوخ (ومن) هذه القوانين الصناعيّة لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرجة السادسة زايرجة العالم المعزوة الى ابى العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان فى آخر المائة السادسة براكش ولعهد يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهى غريبة العمل صنعية وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب منها بعلمها المعروف الياغوز فيحصرعون لذلك على حل رمزه وكشف غامضه لذلك وصورتها التى يقع العمل عندهم فيها دايرة عظيمة فى داخلها دوائر

متوازية منها للافلاك وللعناصر وللمكوّنات وللروحانيّات
ولغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة
باقسام فلکها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل
قسم سارة الى المركز ويسمونها الاوتار على كل وتر حروف
متتابعة موضوعة فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد
عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب لهذا العهد ومنها
برشوم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدواير اسماء
العلوم ومواضع الكوان وعلى ظهر الدواير جدول متكثر
البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين
بيتاً في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب
خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا
القسمية التي عيّنت (1) البيوت العامرة من الخالية وحفافي
الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة
تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك
الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلاء
وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالک بن وهيب من
علماء اهل اشبيلية كان في الدولة اللطونية ونص البيت

(1) Man. A. et B. عن.

سؤال عظيم الحلق حزت فصن اذن غريب غرايب شك ضبطه الجمد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعددوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى آخره والاعداد المرسومة بينها ويصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشراتهما الى الهين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في اس البرج واسد عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول

المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الآس الأكبر والدور الأصلى ويدخلون بما يجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذى ينتهى عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعينه عندهم لذلك فتخرج آخرها حروف متقطعة وتولف على التوالى فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذى يقابل به العيل ورويته وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبنا نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرجة وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بححيح لأنه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر عناعى البتة وإنما المطابقة التى فيها بين الجواب والسؤال من حيث الألفهام والتوافق فى الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً وموافقاً للسؤال ووقع ذلك بهذه الصناعة فى تكسير الحروف المجمعة

من السؤال واللاتار (1) والدخول في الجدول بالاعداد
المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج
الحروف من الجدول واطراح اخرى ومعاودة ذلك في
الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على
التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
تناسب بين هذه الاشياء فتقع له معرفة المجهول منها
فالتناسب بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من
المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل
الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر
وقد مر لك تحليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله
ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة (2) العجيبة
والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما فيما
يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا
يكون النظم على وزنه ورويته ويدل عليه انا وجدنا اعمالا
اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت
فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
في موضع وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق

(1) Man. A. et B. الاوتار.

(2) Man. A. et B. المعاني.

بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار وينفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم يجيء بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسيان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك ان ينكر ما ليس في طوره ادراكه ويكفيها في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا سرية فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء وحدس واذا كان كثير من المعاناة (1) في العدد الذي هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفايتها فما ظنك مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها (فلنذكر) مسألة من المعاناة (2) يتضح لك بها شئ منها ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم طيورا بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة فجاوبه ان تقول هي تسعة لانك

(1) Man. A. et C. المعايات. B. المعاياة. (2) Man. A. et C. المعايات. B. المعاياة.

تعلم ان فلسوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان
عدّة اثمان الواحد ثمانية فكانت جمعت الثمن من كل درهم
الى الثمن من الاخر فكان كلد ثمن طائر فهى ثمانية طيور
عدّة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائرا اخر وهو المشتري
بالفلسوس الهاخوذة اولا وعلى سعرة اشترت بالدراهم فتكون
تسعة فانتم ترى كيف خرج لك الجواب المتضمن بسرّ
التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي
اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى
لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى
يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو فى الواقعات
الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم
نعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عند فهو غيب
لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاخبال الواقعة فى
هذه الزايرة كلها انما هى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ
السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من
تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسر ذلك انما هو
من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف
ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
القوانين والجواب يدل فى مقام اخر من حيث وضوع
الفاظ وتراكيبه على وقوع احد طرفى السؤال من نفي او

انبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة
الكلام ليا في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه
الاعمال بل البشر محجوبون عند وقد استأثر الله بعلمه والله
يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثانى من الكتاب الاول فى العمران البدوى
والاسم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الاحوال
وفيه اصول وتمهيدات

فصل فى ان اجيال البدو والحضر طبيعىة

اعلم ان اختلاف الاجيال فى احوالهم انما هو باختلاف
نحلتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون (1) على
تحصيله والابتداء بما هو ضرورى منه وبسيط قبل الحامى
والكالى فيهم من ينتحل الفاح من الغراسة والزراعة ومنهم
من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز
والنحل والدود للقر لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القايهون
على الفاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه
متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزراع والغدن والمسارح

(1) Man C. et D. المتعاون.

للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو امرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفن انما هو بالمقدار الذى يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدة وتعاونوا في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتائق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحصن ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجئ عوايد الترف البالغة مبالغها في التائق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها ولانتهاء في الصنایع فى الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون فى صروحها وتنجيدها ويختلفون فى استجادة ما يتخذوندهم من لبوس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى معاشه الصنایع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما و ارفه من اهل البدو لان

احوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجددهم فقد
تبيّن ان احوال البدو والحضر طبيعّية لا بدّ منها كما قلناه

فصل فى ان جيل العرب فى الخليقة طبيعى

قد قدّمنا فى الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون
للمعاش الطبيعىّ من الفلاح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون
على الضرورىّ فى الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال
والعواید ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجّى او كمالّى
فيستخذون البيوت من الشعر او الوبر او الشجر او من الطين
والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكنّ لا ما وراءه
وقد يآوون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولونها
بيسير العلاج او بغير علاج البتّة الا ما مستته النار فمن كان
معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به اولى
من الطعن وهؤلاء سكان الهدائن والقرى والجبال وهم عامّة
البربر والاعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل البقر والغنم
فهم طواعن فى الاغلب لارتياح المسارح واليهاب لحيوانهم اذ
التقلب فى الارض اصاح بها ويستمون شايبة ومعناه
القيامون على الشاء والبقر ولا يبعدون فى
القمر لفقدان المسارح الطيبة به وهؤلاء مثل البربر والترک
واخوانهم من التركمان والصقالبة (واما) من كان معاشهم

في الابل فهم اكثر ظعنا وابعد في القفر مجالا لان مسارج التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى بد الابل في قوام حياتها عن مرعى الشجر في القفر وورود مياهه الماحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه وطلبا لمفاحص النتاج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصالا ومخاضا واحوجها في ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما ذادتهم الحامية عن التلول ايضا فاوغلوا في القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعداوتهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقترس من الحيوانات العجم وهؤلاء هم العرب وفي معانهم ظواعن البربر وزنانة بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مختصمون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله الخلاق العليم

فصل في ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار ومدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضرورى في احوالهم

العاجزين عما فوقه وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم وعوايدهم ولا شك ان الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه وكان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشى عند فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لان اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الترف والكمال الا اذا كان الضرورى حاصلا فخشونة البداوة قبل رفد الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه (1) منها ومتى حصل على الرياش الذى تحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه من قياد المدينة وهكذا شأن اهل القبائل المبتدئة كلهم والحضرى لا يتشوف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته (ومما) يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بضاحية ذلك المصر وفى قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ثانية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتتبعه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت لاحوال من جنسه فرب حتى اعظم من حتى

(1) Man. C. مفترجة.

وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر
عمرانا من مدينة وقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن ولامصار واصل لها كما ان وجود المدن ولامصار
من عوايد الترف والدعة الذي هو متاخر عن عوايد الضرورة
المعاشية

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر
وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيبة
لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
ينصرانه او يمجسانه ويتقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين
تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن
الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا
عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف
والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم
طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى
لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فنجد الكثير
منهم يقدعون في اقوال الفحشاء في مجالسهم وبين

كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدّهم عند وازع الحشمة لما أخذتهم به عوايد السوء في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شئ من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضرة أقل بكثير فهم أقرب إلى النظرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرة وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة والله يحبّ المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في حديث البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الأكوع وقد بلغه أنه خرج إلى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو فاعلم أن الهجرة افترضت أول الإسلام على أهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على أمره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الأعراب أهل البادية لأن

اهل مكة يستهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في
الظهارة والحراسة ما لا يمتس غيرهم من بادية الاعراب وقد
كان المهاجرون يستعيدون بالله من التعرب وهو سكنى
البادية حيث لا تجب الحج - جرة وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص عند مرصده
بمكة اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم
ومعناه ان يوقفهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا
عن هجرتهم التى ابتدوا بها وهو من باب الرجوع على
العقب فى السعى الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك
كان خاصا بما قبل الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا
وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الحجرة ساقطة
حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قيل
سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عن
اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة
ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ فى الافاق وانتشروا
ولم يبق الا فضل السكنى فى المدينة وهو هجرة فقول
الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبك
تعربت نعى عليه فى تركت السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء
المأثور الذى قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وبقوله
تعربت الى انه صار من العرب الذين لا يهاجرون واجاب

سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعى عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل مما اثره به واختصه الا لمعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم لا تهيجهم هيجة ولا ينغر لهم عييد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وربيت على ذلك منهم احيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على ابي سواهم حتى صار ذلك خلقا لهم
يتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم
في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتبأهم عن الاسوار
والابواب قاييون بالمدافعة عن انفسهم لا يكونها الى سواهم
ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلقتون (1)
عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن النجوع الا غرارا
في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب يتوجسون للنسأة
والهيئات (2) وينفردون في القفر والبيداء مدلين بباسهم وانقين
بانفسهم قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون
اليها متى دعاهم داع او استفزهم صارخ واهل الحضرمهها
خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون
معهم شئا من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في
معرفة النواحي والجهات وموارد الماء ومشارع السبل وسبب
ذلك ما شرحناه واصلد ان الانسان ابن عوايده ومالوفد
لا ابن طبيعته ومزاجه فالذئ الفد من الاحوال حتى صار له
خلقاً ومملكة وعادة تنزل (3) منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك
في الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو
الخالق العليم

(1) Man. D. يلتفتون.

(2) Man. D. الصعاب.

(3) Man. C. تنزل.

فصل فى ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم
ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء
المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان
يكون للانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة
وعادلة لايعانا منها حكم ولا منح وصد كان من تحت يدها
مدلين بها فى انفسهم من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع
حتى صار لهم الادلال جبلة لهم لا يعرفون سواها واما اذا كانت
الملكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم
وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاثر فى النفوس المضطهدة
كما نبيته وقد نهى عمر سعدا رضى الله عنهما عن مثلها
لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجالوس يوم
القادسية فقتله واخذ سلبه فانزعه منه سعد وقال هلا (1) انتظرت
فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر
تعد الى مثل زهرة وقد صلى بها صلى به وبقي عليك
ما بقى من حربك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر
سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذبة للبأس بالكلية
لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة

(1) Man. A. B. et C. الا.

التي تكسر من سورة بأسه بلا شك وأما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشيء لمرابه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بآسده ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد بأسا ممن تاخذه الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مراهم في التاديب والتعليم في الصنایع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدافعون عن انفسهم عادية بوجد من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فتفهم هذه الاحوال وذمها بها بالنعمة والبأس ولا تستنكرون (1) ذلك بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عند دينهم كان وازعه فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعتي ولا تاديب تعليمي انما هي احكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون انفسهم بها بما رشح فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تنخدشها اظفار التاديب والحكم

1: Mem A et D. يستنكرون. B. يستنكرون.

قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع ولا آدبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسد ويقينا بان الشارع اعلم بمصالح العباد (وليها) تناقص الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يوخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما يؤثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم ونخسده (1) الشوكة منهم بمعاناتها في وليدهم وكهولهم والبدو بعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التلليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شأن الغظ وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصالح شأن الغظ ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

(1) Man. B. حصد. C. خصل. D. حصد.

فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب في طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال تعالى فاللهما فجورهما وتقواهما والشر اقرب الخلال اليد اذا حمل في سرعى عايدته ولم يهذبته الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجسم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الى ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجرد ذا عفة فلعلته لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدى من تحتهم من الكافة ان يبتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن النطالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه زياد الحماية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة (واما) احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بها وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حلالهم فاقبوا يذود عنها من خارج حماية الحي من انجادهم وفتيانهم

المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واحل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم وبخشي جانبهم اذ نعمة كل احد على نسبه وعصيته احم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوى ارحامهم وقرباهم موجود في الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القران عن اخوة يوسف حين قالوا لابيه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له واما المنفردون في انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم الجؤ بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقتدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التى تحتاج الى المدافعة والحماية فيمثلها يتبين لك فى كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما فى طباع البشر من الاستعصاء ولا بد فى القتال من العصبية كما ذكرناه انما فاتخذها اماما تقتدى به فيما نوره عليك من بعد والله الموفق

فصل فى ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او
ما فى معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعى فى البشر الا فى الاقل
ومن صلتها النعرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم
ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد فى نفسه غضاضة
من ظلم قريبه او العدا عليه ويودّ لو يحول بينه وبين ما
يصله من العاطب والمهالك نزع طبعية فى البشر
مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريبا
جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة
فاستدعت ذلك بمجردا ووضوحها واذا بعد النسب بعض
الشيء فربما تنوسى بعضها وتبقى منه شهرة فتحمّل على
النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة
التي يتوهمها فى نفس من ظلم من هو منسوب اليه بوجد
(ومن) هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل
ولايه وحلفه للانفة التي تاحق النفس من احتضام جارها او
قريبها او نسيبها بوجد من وجوه النسب وذلك لاجل
الاحمة الحاصلة من الولاء مثل لحة النسب او قريبا منها
ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايده

هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة
والعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمى
لا حقيقة له ونفعد له انما هو فى هذه الوصلة والالتحام
فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من العرة
كما قلناه واذا كان انما استفاد من الخبر البعيد عنق فيه
الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو
المنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار
من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه عن النفس وانتفت
العره التى تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه والله
تعالى اعلم

فصل فى ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين
فى القفر من العرب ومن فى معانهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشطف الاحوال
وسوء البوطن حملتهم عليها الضرورة التى عينت لهم تلك
القسمة وهى بما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش فى القفر لرعيها من
شجره ونتاجها فى رماله كما تقدم والقفر مكان الشطف
والسغب فصار لهم الفأ وعادة وربيت فيها اجيالهم حتى

تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الاسم ان يساهمهم
 فى حالهم ولا يأنس بهم احد من الاجيال بل لو وجد
 واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكده ذلك لسا
 تركه فيومس عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها
 ولا تنزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك فى مخر من
 قريش وكنانة وثقيف وبنى اسد وهذيل ومن جاورهم من
 خزاعة لما كانوا اهل شطف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع
 وبعدها من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب
 كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط
 ولا عرف فيها شوب (واما) العرب الذين كانوا فى التلول فى
 معادن النخصب للمراعى والعيش من حمير وكهلان مثل
 لخم وجدام وغسان وطى وقضاعة واياها فاختلطت انسابهم
 وتداخلت شعوبهم ففى كل واحد من بيوتهم من الخلاف
 عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم
 ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب فى بيوتهم
 وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب
 ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من
 قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياى من
 الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى النخصب فكثر
 الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع فى صدر الاسلام

الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند
العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب
امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى
عرفوا بها وصارت لهم علامة زايدة على النسب يتميزون
بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط فى الحواضر مع العجم
وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من
العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت
العصبية بدثورها وبقي ذلك فى البدو كما كان والله وارث
الارض ومن عليها

فصل فى اختلاط الانساب كيف يقع

انذ من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل
نسب اخر بنزوح اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قومه
بجناية اصابها فيدعى بنسب هولاء ويعد منهم فى ثمراته
من النعمة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت
ثمرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هولاء او من
هولاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكانه التحم بهم ثم
انذ قد يتناسا النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم
بد فيخفى على الاكثر فما زالت الانساب تسقط من شعب
الى شعب ويلتحم قوم باخرين فى الجاهلية والاسلام والعرب

والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المنذر وغيرهم تتبين شيئاً من ذلك (ومنه) شأن بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيق اى دخيل واصيق وطلبوا ان يولى عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايجده ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجيلة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

فصل فى ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون
فى غير نسبهم

وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد فى الرئاسة على القوم ان تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبية منهم اذا احست بغلبة عصبية الرئيس لهم اقرتوا بالاذعان والانباع والساقط فى نسبهم بالجيلة لا تكون لد عصبية بالنسب انما هو ملصق نزيق وغاية التعصب لد

بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة. وإن
فرغنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من
الاتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة
قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم إنما
تكون متناقلة فى منبت واحد يعين له الغلب بالعصبية
فالاولية التى كانت لهذا المصق قد عرف فيها التصاقه
من غير شك ومنعه ذلك الاتصاق من الرياسة حينئذ
فكيف تتوكلت عنه وهو على حال الاتصاق والرياسة لا بد
وان تكون مورثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب
بالعصبية (وقد) يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل
والعصايب (1) الى انساب ياحقون (2) بها أما لخصوصية
فضيلة كانت فى اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم
او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتوطلون
بالدعوى فى شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من
القدح فى رياستهم والطعن فى شرفهم وهذا كثير للناس
فى هذا العهد (ومن ذلك) ما تدعى زناة جملة انهم من
العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى
عامر احدى شعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد
منهم لحق جدّهم بنى عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط

(1) Man. A. et B. العصبيات. (2) Man. A. et B. ياحقون. C. يالنجون.

بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي (ومن) ذلك ادعاء بنى عبد القوي بن العباس من توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابي عبد القوي ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين (وكذلك) ما يدعيه ابناء زيان ملوك بنى عبد الواد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم أنهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتى ايت القاسم اى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الدوران في الادارسة فتوهموا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحصل على هذا المتقربون الى الملوك بنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد (فلقد) بلغنى عن يغيراس بن زيان موئل سلطانهم

اند لها قيل له ذلك نكرة وقال بلغته الزناتية ما معناه اما الدنيا والملك فلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في الآخرة فمردود الى الله واعرض عن المتقرب اليه بذلك (ومن) هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بنى يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بنى يذللتن من توجين انهم من سليم وكذا الذواودة شيوخ رياح اتهم من اعقاب البرامكة وكذلك بنو مهنا امراء طى بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم فى قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل يعين ان يكونوا من عريخ ذلك النسب واقوى عصباته فاعتبره واجتنب المغالطة فيه ولا يجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة فى هرغة قومه واما رأس عليهم بعد اشتهاؤه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة فى دعوته وكان مع ذلك من اهل النابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

فصل فى ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل

العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى

البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليه تجلّة في اهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم. والناس في نشوئهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بيّنا ان ثمرة الانساب وفايدتها انما هي العصبية للنصرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والنسب فيها ذكى محمى تكون فايده النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف من الاباء زايده في فايدتها فيكون الحسب والشرف اصيلا في اهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توممه فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعدّ سلفا في خلال الخير ومخالطة اهل مع الركون على العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الاباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز بعلاقة ما فيه من تعدد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق (وقد يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم

ينسأخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار
ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به
انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها
في شئ لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار
الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون
بذلك واكثر ما رسخ الوسواس لذلك لبنى اسرائيل فانه
كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالنسبة اولا لما
تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه
السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية
ثانيا وما اتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم
انسأخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب
عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر الآفا من
السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون
هذا هرونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا
من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ
احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين في
انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان (وقد غلط
ابو الوليد ابن رشد في هذا لها ذكر الحسب في كتاب
الخطابة من تالخيص كتب العلم الاول فقال والحسب هو
ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لهما

ذكرناه وليت شعري ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم عصابة يهرب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من توثر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضرم بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقي في امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليفة والد بكل شئ عليهم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدّمنا الآن ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بسهم فى تلك العصبية ولبسوا جلدها كاتبا عصبيتهم وحصل لهم من

الانتظام فى العصبية مساهمة فى نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقى او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته نافع له فى تلك العصبية اذ هى مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التجامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها (1) فيصير من هولاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء فى هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبه فى ولايته واصطناعه لا يتجاوز الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الهوالى فى الدول والخدمة كلهم فانهم اتما يشرفون بالرسوخ فى ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء فى ولايتها الا ترى الى موالى الترك فى دولة بنى العباس والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا العجد والاصالة بالرسوخ فى ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب فى الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها اتما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ فى ولايتها والاصالة فى اصطناعها ويضعحل نسبة الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به فى اصلته

(1) Man. A. et B. عصبيتها.

ومجده وأما المعتبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سر العصبية
التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا من شرف
مواليد وبيته من بنائهم (1) فلم ينفعه نسب الولادة وأما بناء
مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية
وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبية ودولة فاذا ذهبت
وصار ولاه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب
عصبية وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ
المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت
النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول
اعتبار وان كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة
واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس به النفوس
الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه واكرمكم عند
الله اتقاكم

فصل في ان الحسب في العقب الواحد اربعة آباء

اعلم ان العالم العصري بما فيه كايين فاسد لا من ذواته
ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع
الحيوانات للانسان وغيره كايئة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما
يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم

(1) Man A. et B. بياتهم.

تدرس وكذلك الصنایع وامثالها والحسب من العوارض
التي تعرض للادميين فهو كايين فاسد لا محالة وليس يوجد
لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آبايد من لدن
آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
كرامة به وحياطة على الشرفية (1) واول كل شرف خارجة كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال
وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق
عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء من
عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنايه
ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقايد وابنه من
بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذة عنه الا انه
مقتصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعايين ثم اذا
حاء الثالث كان حظّه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر
عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم
واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر واجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم
وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس
ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب

(1) Man. A. B. C. السرفية.

فقط فيرباء بنفسه عن اهل العصبية ويرى الفضل عليهم
وثوقا بما ربي فيه عن استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك
الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم ولاخذ بمجامع
قلوبهم فيحتقرهم لذلك فيستقصون (1) عليه ويحتقرونه
ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروع في
غير ذلك العقب للذعان بعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق
بما يرضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتذوي فروع الاول
وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا
انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب
ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز (واشتراط) الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب
والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة وينلاشى وينهدم وقد
يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط
وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر
له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في
نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه
وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ في المسجد وفي

1. مستقصون. D. يستقصون. M. B.

التورية ما معناه انا الله ربك طابق غير مطالب بذنوب
الآباء للبين على الثوالث وعلى الروابع وهو يدل على ان
الاربعة الاعتاب غاية في الانساب والحسب (ومن) كتاب
الاغانى فى اخبار عوفى القوافى ان كبرى قال للنعمان هل
فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شىء
قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه رساء ثم اتصل ذلك
بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده
الا فى آل حذيفة بن بدر الغزاري وهم بيت قيس وآل
حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت
شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة فجمع هؤلاء الرهط
ومن تبعهم من عشائيرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام
حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم
بسطام ابن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس
بن عاصم وخطبوا ونشروا فقال كبرى كلهم سيد يصالح
لموضعه وكانت هذه البيوتات هى المذكورة بالشرف فى
العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الديان من بنى
الحرث بن كعب بيت اليبس وهذا كله يدل على ان
الاربعة آبا نهاية فى الحسب والله اعلم

فصل في ان الاسم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الاسم بل الجيل الواحد تختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياف وتبنكوا النعيم والفوا عوايد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداءوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم في دواجن الطباء والبئر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين وانصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن اديبها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس والنس وسبب ان تكون السجاياء والطبايع انما هو عن المألوفات والعوايد واذا كان الغلب للاسم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعسرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافا في القوة والعصابة وانظر في ذلك شان مضر مع من قبلهم من حدير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة الموطنيين اريان العراق ونعيبد لما بنى مضر في بداءوتهم وتقدمهم الآخرون الى

نصب العيش وخصارة النعيم كيف ارفقت البداوة حدتهم في التغلب فغابوهم على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال بنى طى وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لتما تاخروا في باديتهم عن ساير قبائل مضر واليمن ولم يلتبسوا (1) بشيء من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامم منهم وكذا كل حتى من العرب يلى نعيما وعيشا خصبا دون الحى الاخر فان الحى المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافا في القوة والعدد سنة الله في خلقه

فصل فى ان الغاية التى تجرى اليها العصبية هى الملك

وذلك لاننا قدما ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدما ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون فى كل اجتماع الى وازع وحاكم يزرع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة انما هى سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر فى احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع

1) Man. C. et D. يكفسيوا.

ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكى غاية العصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصور كأنها عصبية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفضى (1) الى الاختلاف والنزاع ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ثم) اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافاتهما او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا ولكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شان القبائل والاسم المتفرقة فى العالم وان غلبتها او استتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة فى التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى واجد وهكذا دايما حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة فى هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل

(1) Man. A. et B. المفضى.

العصبيات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما
يعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد
وهو كما وقع للترك في دولة بنى العباس ولصنهاجة وزيانة
مع كتامة وابنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية
والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها اذا
بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد
او بالظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
وان عاقبها عن بلوغ الغاية عوايق كما نبينه وقفنا في
مكانها الى ان يقضى الله بامر

فصل في ان من عوايق الملك حصول الترف وانغراس
القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب
استولت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب
في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصنة
بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من
القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها
فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يستوعون من
نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ
من منازع الملك ولا اسبابه انما ههناهم النعيم والكسب وخصب

العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة ولاخذ
بمذاهب الملك في المباني والملابس الاستكثار من ذلك
والثائق فيد بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو
اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية
والبسالة ويتنعجون فيما اتاهم الله من البسط وينشأ بنوهم
واعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة انفسهم
وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن ساير الامور الضرورية في
العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصبيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية
فيتأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرفهم
على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في
النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت
العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتهمتهم الاسم سواهم فقد تبين ان الترف من عوايق
الملك والله يوتئى ملكه من يشاء

فصل في ان من عوايق الملك حصول المذلة للقبيل
والانقياد لسواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية
وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما ريموا

للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة
 فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك
 في بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك
 الشام واخبرهم ان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا
 عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
 حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من قدرته
 غير عصبيتنا ويكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم
 عليهم ليجروا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك
 فقاتلا وما ذلك الا لما انسا من انفسهم من العجز عن
 المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما يوتر في تفسيرها
 وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما ريدوا من الذل
 للقبط احقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم
 يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم
 وان العمالقة الذين كانوا باريجا فريستهم بحكم من الله قدره
 لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم
 من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من الهدأة وطغوا فيما
 اخبرهم به نبيهم من ذلك وما اسرهم به فعاقبهم الله بالتيه
 وهو انهم اقاموا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر
 اربعين سنة لم ياوروا فيها لعيران ولا نزلوا مصرا كما قصه القران
 لغلاة العمالقة بالشام والقبط ببصر عليهم ولعجزهم عن

مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآيه ومفهومها ان
حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والغوه وتخلتوا به وافسد من عصبيتهم
حتى نشاء في ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام
والقهر ولا يسام بالمذلة فنشاءت لهم بذلك عصبية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك
ان الاربعين سنة اقل ما يتأتى فيها فناء جيل ونشاءة جيل
اخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شأن
العصبية وانها التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية
والمطالبة وان من فقدوها عجز عن جميع ذلك

ويستحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للتبيل شأن المغارم
والضرايب

فان التبيل الغارمين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمذلة
فيد لان في المغارم والضرايب ضيما ومذلة لا تحتلها النفوس
الابية الا اذا استهونت عن القتال والتلف وان عصبيتهم حينئذ
ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبته لا تدفع
عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له
الانقياد للذل والمذلة عايقة كما قدمناه ومنه في الصحيح
قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة

المحمرات في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذل هذا الى ما يصحح ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيز من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان الرجل حدث فكذب ووعد فأخلف (فاذا) رايت القبيل بالمغارم في ربة من الذل فلا تطمعن لها بمالك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناثة بالمغرب كانوا شاوية يهودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استثبتت (1) لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا مقالة شهربراز (2) ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصفوى معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بها تحبون ولا تذلوننا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كافي

(1) Man. C. استثبتت. D. استثبتت.

(2) Man. C. شهربراز. D. شهرنزار.

فصل فى ان من علامات الملك التنافس فى الخلال الحميدة وبالعكس

لها كان الملك طبيعياً للانسان لها فيه من طبيعة الاجتهاع
كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلل الخير من خلل الشر
باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان البشر انها جاءه من
قبل القوى الحيوانية التى فيه واما من حيث هو انسان فهو
الى الخير وخاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من
حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن
خلل الخير فيه وهى التى تناسب السياسة والملك اذ
الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان السجد له اصل
ينبنى عليه وتتحقق به حقيقته وهو العصبية والعشير وفرع
يتم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية العصبية
فهو غاية لغروعها ومتسماتها وهى الخلال لان وجوده دون
متسماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عربانا بين
الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير احتمال الخلال
الحميدة نقصا فى اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل
الملك الذى هو غاية لكل سجد ونهاية لكل حسب وايضا
فالسياسة والملك هو كفالة للخلاق وخلافة لله فى العباد
فى الاحكام واحكام الله فى خالقه وعباده انما هى بالخير

ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدره سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واوتست مند خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واوضح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا الى اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والاهم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والنفوس عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على المهارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في عون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجاني عن الغدر

والكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خالق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات والسراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من بين ايديهم ويتبدل بد سواهم ليكون نعيها عليهم في سلب ما كان الله قد اتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتتبعه في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال الكمال الذي تتنافس فيه القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبية والعشائر ليس يناهضهم في الشرف ويجاذبهم جبل العشير

والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم الكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء مهن ليس له عصبية تتقي ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتحصن القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتالد وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايد واکرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كما في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للحاجة اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغرباء من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تاذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايت قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا سرّ له

فصل في انه اذا كانت الامة وحشيّة كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد
الطوائف لقدرتهم على محاربة الامة سواهم ولانهم يتنزلون من
الاهلين منزلة المفتوس من الحيوانات العجم وحولاء مثل العرب
وزناتة ومن في معانهم من الاكراد والتركمان واهل اللثام من
صنهاجة وايضا فحولاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه
ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على
السواء فلهذا لا يقتصرون على ماكنة قترهم وما جاورة من
البلاد ولا يقفون عند حدود افقهم بل يطفرون (1) الى الاقاليم
البعيدة ويتغلبون على الامة النائية وانظر ما يحكي في
ذلك عن عمر رضى الله عنه لما بويج وقام يحترض الناس
على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة
ولا يقوى عليه اهل الا بذلك ابن الطراء المهاجرون عن موعد
الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان
يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
واعتر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة
وحسير كيف كانوا يخطون فيما نقل من اليمن الى المغرب
مرة وإلى الهند والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب

(1) Man. A. et B. يطفرون. D.

من الأمم وكذا حال الهلثيين بالمغرب لما نزعوا إلى الملك
ظفروا من الأقاليم الأولى ومجالاتهم منه في جوار السودان إلى
الأقاليم الرابع والخامس في ممالك الأندلس من غير واسطة
وهذا شأن هذه الأمم الوحشية فلذلك تكون دولتهم أوسع
نطاقا وأبعد من مراكزها نهاية والله مقدر الليل والنهار

فصل في أن الملك إذا ذهب عن بعض الشعوب من
أمة فلا بد من عودته إلى شعب آخر منها ما دامت
لهم العصبيّة

والسبب في ذلك أن الملك إنما حصل لهم بعد سورة
الغلب والأذعان لهم من سائر الأمم سواهم فيتبعين منهم
البياشرون للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك
لجميعهم لها هم عايد من الكثرة التي يضيق عنها نطاق
المزاحمة وللغيرة التي تجدد أنوف كثير من المتطاولين للرتبة
فاذا تعين أولئك القاييمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا
في بحر الترف والخصب واستعبدوا أخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين
بعدوا عن الأمر وكبجوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة
التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف
وأسبابه فاذا استولت على الأوليين الأيام وأباد حضراهم الهرم

وطحنتهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارضى من
النعيم من حدهم واشتفت غريزة (1) الترف من مائهم وبلغوا
غايتهم من طبيعة التمدن الانسانى والتغلب السياسى
كدود القرزينسج ثم يفنى بهركزنسيجد فى الانعكاس

وكانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر
محفوطة وشارتهم فى الغلب معلومة فتسمو آمالهم الى الملك
الذى كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم
وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر
وبصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقى ايضا منتبذا عنه
من عشائير ائمتهم فلا يزال الملك ملجأ فى الامة الى ان
تنكسر سورة العصبية منها او تفنى ساير عشائيرها سنة الله
فى الحيوه الدنيا والآخرة عند رتك للمتقين واعتبر هذا بما
وقع فى الاسم لما انقرض ملك عاد قام من بعدهم اخوانهم
من نمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم اخوانهم
من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير ايضا ومن
بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس
انقرض امر الكينية فيهلك من بعدهم الساسانية حتى
تاذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب

1) Man. B. عزيزة. C. عريزة. it. D.

لما انقرض امر مغراوة وكتامة الهلوك الاول منهم رجع الى
عنهاجة ثم الملتئين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقى
من شعوب زنازة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل
هذا كله انما يكون بالعصبية وهى متفاوتة فى الاجيال
والملك يخلقه الشرف ويذهبه كما سنذكره بعد فاذا انقرضت
دولة فانها يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم
التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع
العصبيات وذلك انما يوجد فى النسب القريب منهم
لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب
التي هى فيه او بعد حتى اذا وقع فى العالم تبديل كبير
من تحويل ملّة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته
فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذى تآذن
الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع له حين غلبوا على
الاسم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا
مكبوحين عنده احقابا

فصل فى ان المغلوب مولع ابدا بالاقداء بالغالب فى شعاره
وزيّه ونحلته وسائر احواله وعوايده

والسبب فى ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها
وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بها وقرعنها من تعظيمه

او لما تغالط بد من ان انتيادها ليس لغلب طبيعي انيا هو
لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادا
فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاعتداء او لما تراء والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس
بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلت من العوايد والمذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك
ترى المغلوب يتشبه ابا بالغالِب في ملبسه ومركبه وسلاحه
في اتخاذها واشكالها بل وفي ساير احواله وانظر ذلك
في الابناء مع اباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايبا وما
ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
كيف يغلب على اهله زى الحامية وجند السلطان في
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى اند اذا كانت امّة تجار
اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا الشبه
والاعتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع اسم
الجلالفة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم
والكثير من عوايدهم واحوالهم حتى في رسم الثمانييل في
الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك
الناظر بعين الحكمة اند علامة الاستيلاء والامر لله وتامل في
هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من يابده اذ الملك
غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه

اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بعلماهم والله العليم الحكيم

فصل فى ان الامة اذا غلبت وصارت فى ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء

والسبب فيه والله اعلم ما يحصل فى النفوس من التكاسل
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقتصر الامل ويضعف والتناسل والاعتمار انما هو من
حدة الامل وما يحدث عند من النشاط فى القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعوا اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص
عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين
لكل متغلب طمعة لكل آكل وسوء كانوا حصلوا على غايتهم
من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سرائر وهو ان
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى جعل له
والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل
حتى عن شبع بطنه ورتى كبده وهذا موجود فى اخلاق
الاناسى ولقد يقال مثله للحيوانات المفترسة وانها لا تسافد
اذا كانت فى ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المملوك
امرء عليه فى تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء

والبقا لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت
 قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب
 بقى منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى من
 وراء المداين فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة
 وثلاثون الفا رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب
 وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وذرخوا كان لم يكونوا
 ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكه
 الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان
 اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يذعن للرق
 في الغالب اسم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من
 عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في
 رتبة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك
 بالمشرق والمعالوجا من السجلات والافرنجة بالاندلس فان
 العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما
 يؤملون من السجاء والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وحيث
 ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفترون
 الى منتجعهم بالقر ولا يذهبون الى المزاحفة (1) والمحاربة الا اذا

(1) مزاحمة. D. مزاحمة. B. مزاحفة. A. Man.

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة عن عيبتهم وفسادهم لانهم لا يستنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهى نهب لهم وطعمة لاكلهم يرذدون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض غيرانهم والله قادر على خلقه

فصل فى ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب فى ذلك انهم امة وحشيّة باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذ لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العاديّة كلها عندهم الرحلة والتنقل وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومنافٍ له فالحجر مثلا حاجتهم اليه لنصبه ائمانى للتدور فينقلونه من المبانى ويخربونها عليه ويعدون له لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

الستف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء
الذى هو اصل العمران هذا فى حالهم على العموم وايضا
فطبيعتهم انتهاب ما فى ايدي الناس وان رزقهم فى
ظلال رماحهم وليس عندهم فى اخذ اموال الناس حد ينتهون
اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون
انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب او الملك
بطلت السياسة فى حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا
فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم
لا يرون لها قيمة ولا قسما من الاجر والشئ والاعمال كما
سندكرة هى اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال
وصارت مجانا ضعفت الامال فى المكاسب وانقبضت الايدي
عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم
ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد ودفاع
بعضهم عن بعض انما همتهم (1) ما ياخذونه من اموال الناس نهبا
او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما
بعده من تسديد احوالهم والنظر فى مصالحهم وقهر بعضهم
عن اعراض المفاسد وربما فرضوا العقوبات فى الاموال حرصا
على تحصيل الفائدة والحباية ولاستكثار منها كما هو
شانهم وذلك ليس بدغى فى دفع المفاسد وزجر المتعرض

(1) Man. A. et B. همهم. C.

لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال العزم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعيران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الحماية والاحكام فيفسد العمران وينستقضى قال الاعرابى الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانهم واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتوسروا بها لثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقوا بها وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمراننا يشهد بذلك آثار العمران فيه

من العالم وتمثيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)

دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين

على الجملة

والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغاظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
في الرياسة فقل ما تجتمع احوالهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين الیذهب للغاظة والانفة الوازع عن التماسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
ويأخذهم بمحمدٍها ويوافق كلمتهم لاطهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبرانها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعاناة المنتهى لقبول الخير ببقايد على الفطرة الاولى وبعده
عيا ينطبع في النفس من قبيح العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man. B et D. صيغة. C. صنعة.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بدواة من ساير الامم وابتعد
مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلؤل وحبوبها لاعتيادهم
الشطف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبته فيكون
فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضى
ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة
والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على الهفاسد في الاموال حرصا
على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك
وازا وربما يكون باعثا بحسب الاغراض الباعثة على الهفاسد
واستهانة ما يعطى من ماله في جانب عرضه فتنمو الهفاسد
بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى
مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران

ويخرب سريعا شأن الفوضى كما قدّمناه فبعدت طباع العرب
لذلك كله عن سياسة الملك وإنما يصيرون اليها بعد
انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة (1) دينية تمحو ذلك منهم
وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس
بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة
لما شيّد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية
لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ
ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم لما راي المسلمين
يجتمعون للصلاة يقول اكل غير كبدي يعلم الكلاب الآداب
ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا
الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى فقرهم وجهلوا شأن عصبيتهم
مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحّشوا
كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا اند للخلفاء وهم
من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة واستحار رسيها انقطع الامر
جملة من ايديهم وغاب علب العجم دونهم واقاموا بادية في
قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم
انهم كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد من الامم
في الخليفة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود
والعيلقة وحدير والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مصر في

(1) صفة. C. صيغة. Man. B. et D.

الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم عهد بالسياسة لما
نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى
اليغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته الا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله خير الوارثين

فصل فى ان البوادي من القبائل والعصايب مغلوبون
لاهل الامصار

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر
والامصار لان الامور الضرورية فى العمران ليس كلها موجودا
لاهل البدو وانما يوجد لديهم وفى مواطنهم امور الفلاح
وموادها معدومة ومعظمها الصنایع فلا يوجد لديهم بالكلية من
تجار وخياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفلاح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة
لديهم وانما بايدىهم اعوانها من مغل الزراعة واعيان الحيوان
او فضلاته البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل
الامصار فيعوضونهم عند بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى
الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم فى الحاجى
والكفالى فهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى بطبيعة
وجودهم فيها داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء

على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ومتصرفون في
مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان
كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك
وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيده من رياسة ونوع
استبداد من بعض اهلده على الباقيين والا انتقض عمرانده وذلك
الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا
ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون اليه من
الضرورات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تبت
قدرته على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له
فريق منهم يغالب به الباقيين فينظر الاخيرين الى طاعته
بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربها لا يسعهم مفارقة
تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل النواحي والجهات
معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرهم فلا يجد
هولاء ما جاء الا طاعة المصر واهلده فهم بالضرورة مغلوبون
لاهل الامصار والله القاهر فوق عباده لا رب غيره ولا معبود
سواه

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين) وعلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض فى ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل فى ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قررنا فى الفصل الاول ان المغالبة
والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة
والندامى واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك
منصب شريف ماذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية
والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا
وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة
وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع
الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور
بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدول منذ
اولها وطال امد مرباهم فى الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد
جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب
الدولة قد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء
عن العصبية فى تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من
اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس
فى نسيان هذه العصبية وانرها لطول الامد واستغنائهم فى الغالب

عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلصا من العصايب والله
قادر على ما يشاء

فصل في اند اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى
عن العصبية

والسبب في ذلك ان الدول العائمة في اولها يصعب على
النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للخرابة وان
الناس لم يالثوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه
واحدا بعد اخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت
النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة
الرياسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس
معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا
حينئذ في امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من
الد لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا مر ما يوضع الكلام في الامانة آخر
الكلام في العقائد الايمانية كاند من جملة عقودها ويكـون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما
بالدوالي والمصطنعين الذين نشؤا في ظل العصبية (1) وغيرها واما
بالعصايب الخارجيين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل

(1) غيرهما. A. B. D. Man.

هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالى العجم والشرك والديلم والساجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتنافس ظل الدولة فلم يكن تعدوا اعمال بغدادا حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصارت الخلايف فى حكمهم ثم انقرض امرهم وملك الساجوقية من بعدهم فصاروا فى حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف اخر الطغر فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ الماية الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقاعنة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور افرىقية وربما انتزى بتلك الثغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية فى المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بنى امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان فى ولايته وسمح بانفذه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا شاراته وامنوا من ينقض ذلك عليهم او بغيره لان الاندلس ليست بدار

عصايب ولا قبائل كما سنذكره واستمرّ لهم ذلك كما
قال ابن شرف

مما يزيدنى فى ارض اندلس اسما معتصم فيها ومعتصد
القاب مملكة فى غير موضعها كالمزجى يحكى انتفاخا صورة الاسد

فاستظهروا على امرهم بالهوالى والمصطنعين والطرء على
الاندلس من ارض العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم
اقتداء بالدولة فى آخر امرها فى الاستظهار بهم حين ضعفت
عصبية العرب استبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول
عظيمة استبد كل واحد فيها بجانب من الاندلس وحظ كبير من
الملك على نسبة الدولة التى اقتسموها ولم يزلوا فى سلطانهم
ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من
لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم وسحوا آثارهم ولم يقدر
على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون
تمهيد الدولة وحمايتها من اولها (وقد ظن الطرطوشى ان
حامية (1) الدول باطلاقهم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة
ذكر ذلك فى كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه
لا يتناول تاسيس الدول العامة فى اولها وانما هو مخصوص
بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك فى النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدول عند هزمها

(1) حاشية D. حماية Man. A. et B.

وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالهوالى والصنایع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادركت دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بنى امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان فى ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبية شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثماية من السنين وهلاكهم ولم ير الا ساطانا مستبدا بالملك عن عشايرة قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا يناع فيد ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشى القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى انه قد تحدث لبعض اهل النصاب الملكى
دولة تستغنى عن العصبية

وذلك انه اذا كان لعصبيته غلب كبير على الامم والاجيال وفى نفوس القاييين بامرهم من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخراج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتلوا عليه وقاموا بامرهم وظاهره على شأنه وضوا بتهميد

دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد اعيانه ولا يطعمون في مشاركته في شى من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلو راموا معد او دوند لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدي آل العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولاء لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقاموا بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاروية ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشيّدوا دولتهم ومهدوا بعصايتهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم ينزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيديين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلّة وهؤلاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مذعنون لماكهم وانما كانوا ينافسون في الرتبة ضدّهم حاجة تسليما لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقريش ومصر على ساير الامم فلم ينزل الملك في اعقابهم الى

انقراض دولة العرب بأسرها والله يحكمكم لا معقب
لحكمه

فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها
الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما
يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب
وتاليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقتم ما في الارض جميعا ما آلت بين قلوبهم وسرّه
ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا
حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفتم الى الحق
ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها
فذهب التنافس وقيل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد
واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدول كما نبيّن
لك بعد

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة
على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدّمناه ان الصبغة الدينية تذهب
بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة

الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شئ لان الوجهة واحدة واليطلب متساو عند جميعهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فان اغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمنا وهذا كما وقع للعرب في صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحيدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير مما يقاومهم في العدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلنا فلم يقف لهم شئ واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فيغلب الدولة من كان تحت يدها من العصايب المكافية لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بضعافة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها او اشد بدواة واعتبر هذا في

الموحدين مع زنائة لما كان زنائة ابدا من المصامدة واشد
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا
صبغتها وتضاعف قوة عصبيتهم بها فغالبا على زنائة اولا
واستتبعوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة اشد منهم
فلما حالوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زنائة
من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعه والله غالب على
امره

فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بد
له من العصبية وفي الحديث كما مر ما بعث الله نبيا
الا في منفعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى
الناس بخرق العوايد فيما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له
العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي
شيخ المتصوفة وصاحب كتاب خلع العليلين في التصوف
ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين
قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا بشغل لبتونة بما
دمعهم من امر الموحدين ولم يكن هناك عصايب ولا قبائل
يدفعونه عن شانده فلم يلبث حتى استولى الموحدون على
المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم بايعهم من معقله

بحسن اركش وامكنهم من ثغرة وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين (ومن) هذا الباب احوال الثوار القايمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعيين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم واليتلبسون بهم من الغوغاء والدهما ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهلك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من ورايها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصايب والعشائر وهم المويّدون من الله لو شاء لا يدهم بالكون كله لكنه انما اجرى الامور بحكمته على مستقر العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدر ان تعوقد العوايق وينقطع

به الهلاك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانتة والانحلاص له
والصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد
حين وقعت فتنة طاهر وقتل الاميين وابطاء المامون بخراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلى بن موسى الرضى من آل
الحسين فكشف بنو العباس وجه التكبير (1) عليه وتداعوا للقيام
وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الدعارة بها
من الشطار والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا
السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية
في الاسواق واستعدا اهلها الحكام فلم يعدوهم فتواصر اهل
الدين والصالح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الدعارة وغلبهم
واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل (ثم قام من بعده رجل
اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصارى
ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا في عنقه ودعا الى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وستة نبيه

(1) Man. D. التكبير.

فاتبعد كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف (1) المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار وقال لد خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكى اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان وذلك سنة احدى ومايتين وجهز ابراهيم بن المهدي اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب ونجا بدما نفسه (ثم) اقتداه بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون فى اقامته من العصبية ولا يشعرون بدغبة امرهم ومال احوالهم والذى يحتاج اليه فى امرهولا اما المداواة ان كانوا من اهل الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا واما اذاعة (2) السخرياء منهم وعدهم فى جملة الصناعين (3) (وقد) ينتسب بعضهم الى الفاطمى المنتظر اما بانه هو او داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمى ولا ما هو واكثر المنتحلين لمثل هذا نجدهم موسوسين او مجانين او ملبسين (4). يطلبون بمثل هذا الدعوى رياسة امتلاءت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشئ من اسبابها

1) Man. A. et B. اعنى.

(2) Man. C. اذاعة.

(3) Man. A. et C. الصغاعين. D.

(4) Man. C. ملبسين. D.

العاديّه فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما
يؤملونه من ذلك ولا ييحتسبون ما ينالهم من الهلكة فيسرع
اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لاول هذه الماية خرج بالسوس رجل من المتصوفة
يدعى التويرى عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر
هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبسا على العامة
هنالك بما ملاء قلوبهم من الحدثنان بانتظاره وان من
ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهاقت عليه طوايف من
عامّة البربر تهاقت الفراش ثم خشى رؤساهم اتساع نطاق
الفتنة فدس اليد كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوى من
قتله فى فراشه (وكذلك) خرج فى غمارة لاول هذه الماية
ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى واتبع
نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى
بادس من امصارهم فدخاها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من
ظهور دعوته ومضى فى الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير
والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية فى مثلها واما ان
كان التلبيس فاحرى ان لا يتم له امر وان يبوء بآئمه وذلك
جزء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان
لا تزيد عليها

والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القايمين بها
المتهدين لها لا بد من توزيعهم حصصا على الممالك والشعور
التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت
العصائب كلهم على الشعور والممالك فلا بد من نفاذ
عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا للدولة
وتحما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد
ذلك زيادة على ما بيدها بقى دون حامية وكان موضعها
لانتهاز الفرصة من العدو والسجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيد من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما
كانت العصابة موفورة ولم ينفذ عددهم فى توزيع الحصص
على الشعور والنواحي بقى فى الدولة قوة على تناول ما وراء
الغاية حتى ينتسح نطاقها الى غايتها والعلّة الطبيعىّة فى
ذلك ان قوة العصبية هى من ساير القوى الطبيعىّة وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشأنها ذلك فى فعلها
والدولة فى مركزها اشدّ مما تكون فى الطرف والنطاق واذا
انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وقصرت عما

وراءه شأن الأشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدواير والمنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان يتاذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تصححل لوقيتها فان المركز كالقلب الذى ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف (وانظر) هذا فى الدولة الفارسية فان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقى بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغالبيهم المسلمون على الشام تحيزوا الى مراكزهم بالقسطنطينية ولم يضربهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان تاذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة والافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والشعور ونزلوها حامية ونفذ عددهم فى تلك التوزيعات اقتصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

تلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تآذن الله بانقراضها
وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة
القيامين بها في القلّة والكثرة عند نفاذ عددهم بالتوزيع
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على
نسبة القايامين بها في القلّة والكثرة

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واحل
العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها
ويقتسمون عليها فما كان من الدول العامة قبيلها واحل
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطانا وكان ملكها
اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لها الف الف الله
كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك
آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرين (1)
الف من مصر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم
منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي
الاسم من الملك لم يكن دونه حتى ولا وزير فاستبيح حتى
فارس والروم احل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم
والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس

(1) Man. C. et D. عشرة آلاف.

وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك
 باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة (ثم) انظر بعد
 ذلك دولة سنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما
 كان قبيل كتامة القاييين بدولة العبيديين اكثر من سنهاجة
 ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فهاكوا افريقية والمغرب
 والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما
 كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك
 الموحدين لتصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم
 (ثم) اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بنى
 مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم
 اكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع
 نطاقا وكان لهم عليها الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد
 بنى مرين لاول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف وان عدد بنى عبد
 الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرغد وكثرة التابع كشرت من
 اعدادهم وهي على هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول
 الملك يكون اتساع الدولة وقوتها (واما) طول امدها ايضا
 فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج
 الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج
 تابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هي بكثرة العدد
 ووفرة كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص

انما يبدا الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المنتبدون بالاندلس ولم ينتقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الشجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معد المعز امر افريقية لبلكين بن زيري سنة ثمان وخمسين وثلاثماية الى حين استيلاء الموحيدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحيدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة القايمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصايب قل
ان تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاعواء وان وراء كل راي منها وهمى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتقاص على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحمت يدها تظن في نفسها

منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ
 اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من
 البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول
 الذى كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الفرنج شيئا وعادوا
 بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثنان من
 المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة
 والخروج واخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي
 زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنى عشر مرة ولم تستقر كلمة
 الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا
 معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقية مفرقة
 لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب والقبائل
 الحامل لهم على عدم الازعان والانقياد ولم يكن العراق
 لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها
 من فارس والروم والكافة دهاء (1) اهل مدن وامصار فلما غلبهم
 المسلمون على الامر وانتزعوها من ايديهم لم يبق ممانع ولا
 مشاقق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم
 باديّة واهل عصايب وعشاير وكلها هلكت قبيلة عادت
 الاخرى مكانها والى دينها من الخلف والردة فطال امر
 العرب فى تهديد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك

(1) Man.A. et B. وهما.

كان الأمر بالشام لعهد بنى إسرائيل كان فيد من قبائل فلسطين وكنعان وبنى عيصو وبنى مدين وبنى لوط وادوم والارمن والعمالقة واكريكش (1) والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا في العصبية فصعب على بنى إسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلثوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موثد ساير ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر امرهم عند الجلا والله غالب على امره وبعبكس هذا ايضا الاوطان الخلوّة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وادعا لقلّة الهرج والانتقاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن فى مصر والشام لهذا العهد اذ هى نخلو من القبائل والعصبية كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر فى غاية الدعة والرسوخ لقلّة الخوارج واهل العصايب انما هو سلطان وريّة ودولتها قائمة بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد ويستقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسى من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن احمر سلطانها

1. البرنطس. Man. D.

لم تكن لاول دولتهم بقوة ولا كانت لها كثرة انما كانوا
اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا من
ذلك النمل وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة
العربية منهم وملكها البربر من لمتونة والموحدين سيموا
ملكوتهم وثقلت وطاعتها عليهم فاشربت القلوب
بعضاهم ونكراهم وامكن الموحدون السادة في آخر الدولة
كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار بهم على
شأنهم من تملك حضرة مراكش فاجتمع من كان بقى بها
من اهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافى
بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشيء ورسوخا في
الجندية مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مرذنيش فقام ابن
هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد واخرجوهم
واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سها ابن الاحمر لالامر
وخالف ابن هود في دعوته فدعا هولابن ابي حفص صاحب
افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله بعصابة قليلة من
قربانته كانوا يسمونهم الرؤساء ولم يحتج لكثر منها لقاء
العصائب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظفروا بعد
ذلك على الطاغية بمن يجيز اليد البحر من اعيان زنانة
فصاروا معه عصابة على الشاغرة والرباط ثم سها لصاحب

المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس وصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تأتلف امره ورسخ والفتد النفوس وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظن انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلة العصايب والتبايل فيد يستغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوقل في الترف وايثار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلان المجد كما قدمناد انما هو بالعصبية والعصبية متألفة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخر كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضع ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بد يكون واحد منها غالبا على الاخر ويغلبه عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبية لا بد ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجتمعها وتوحيدها

وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته بجميعها واذا تعين له ذلك (ومن) الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والافتة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويحجى خلق التاله الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فيجدع حينئذ انوف العصبيات ويكبح شكايدهم عن ان يسما الى مشاركته فى التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم فى الامر ناقة ولا جيلا فينفرد بذلك السجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم للثانى او الثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه فى الدول سنة الله فى عباده (واما) التوغل فى الترف فلان الاممة اذا تغلبت وملكت ما بايدى اهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكسر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم فى عوايدهم واحوالهم

ويعير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفاحرون في ذلك ويتفاحرون فيده غيرهم من الاسم في اكل الطيب ولبس الابيق وركوب الفاره ويناغى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيده الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدول ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها ستة الله في خلقه (واما) ايثار الدعة والسكون فلان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انتضى السعى اليها

عجبت لسعى الدهريين وبينها فلما انتضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من الهباني والمساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا وبالنون ذلك ويورثون من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتأذن الله بامرهم

فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد
بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم

وبيانه من وجوه الاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما
قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصاة وكان سعيهم له
واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذنب عن الحوزة
اسوة في طموحها وقوة شكايها ومرماهم الى العز جميع فهم
يستطيعون الموت في بناء مجدهم ويوترون الهلكة على
فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيهم وكبح من
اعتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن العز (1) وفشل
ريحهم وريسوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثانى
على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان
لهم على الحماية والهعونة لا يجرى في عقولهم سواه وقل ان
يسأجر احد نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة
ونحضا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف والهرم
لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعة الملك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم
وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير
منهم يهلك والترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك

(1) Man. A. et B. الغزو.

في احيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسّهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنایع دولتهم فيضعفون هم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خالهم ويزيح عنهم والحمية مقدارها معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من الهكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الحمية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحمية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحمية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحمية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العصايب (1) والقبائل ويتأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقتهم وايضا فالترف مفسد للخلاق بما يحصل

(1) العصايب. Man. A. et B.

في النفس من الشر والسفسفة وعوايدها كما يأتي في فصل
الحضارة فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على
الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك
في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعع احوالها
وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضى الدعة كما ذكرناه
وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة
وجبلت شأن العوايد كلها وايلافها فتربا اجيالهم الحادثة في حضارة (1)
العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون
عوايد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود
الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر (2) فلا يفرق بينهم
وبين السوقة من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعف
حمايتهم ويذهب بأسهم وينخصد شوكتهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون
يتلوثون (3) بعوايد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينساحون عنها شيئا فشيئا

(1) Man. A. et B. غصادة.

(3) Man. D. يتلوثون.

(2) Man. D. هواية القفر.

وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدولة التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالشرف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى يتأذن الله فيها بامرء وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك الهالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشطف من ابناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم وبترك اهل الدولة المتعودين للشرف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كالأشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمين

مائة وعشرون سنة وهى سنة القمر الكبرى عند المنجمين
 ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا
 وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرانات مائة تامّة
 وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلّة
 القرانات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الهلّة ما بين
 الستين الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر
 الطبيعى الذى هو مائة وعشرين الا فى الصور النادرة وعلى
 الاوضاع الغربية من الفلك كما وقع فى شأن نوح عليه
 الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول
 ايضا وان كان يختلف بحسب القرانات الا ان الدولة فى
 الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد
 من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء
 الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
 ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويوتده
 ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان
 المتصود بالاربعين فيد فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل اخر لم
 يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل
 التى هى عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة فى
 الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزلوا على
 خلق البداوة وحشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة

والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم سرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتكسر سورة العصبية بعض الشيء ويونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم كثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وتراميهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غاية بما تنكوه من النعيم وعصارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسبون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والنزى وركوب الخيل وحسن الثقافة بيوتهم بها وهم في اكثر اجبين من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقتها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مرّ فى ان المجد والحسب انما هو فى اربعة آباء وقد اثبتناك فيه ببرهان طبيعى ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمله فلن يعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مرّ ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد الى ستر الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرربت فى عدتهم وكانت السنين الماضية منذ اولهم محصلة لديك

فعدّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الابداء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمشله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدر الليل والنهار

فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيّة للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدّة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بدواة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفد واتساع الاحوال والحضارة انما هي تفتن في الترف واحكام الصنایع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والهبانى والفرش والآنية وسائر عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنایع في استجاداته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعّم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون (ومثل) هذا

وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد فى شىء من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم المرفق فكانوا يحسبونه رقاعا وعشروا على الكافور فى خزائن كسرى فاستعملوه فى عجينهم مساحا وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم فى مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم الماهرة فى امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفتن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتن فى احواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف فى الاحوال واستجادة الطاعم المشارب والملابس والمبانى والاساحة والفرش والانية والغنا وساير المعاون والخرتى وكذا احوالهم فى ايام المباهاة والولايم وليالى الاعراس فاتوا من ذلك وراء الغاية (وانظر) ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما فى اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه فى خطبتها الى داره بغم الصالح وركب اليها فى السفين وما انفق فى املاكها وما نحلها المامون وانفق فى عرسها تقف من ذلك على العجب (فمنه) ان الحسن ابن سهل نشر يوم الاملاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المامون فنشر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة على

الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما آذاه اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدينير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انشق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك (ومنه) ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلاثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت وقال المامون حين رآه قاتل الله ابا نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباً در على ارض من الذهب

واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدّة عام كامل ثلث مرّات في كل يوم وفنى الحطب لليتذ واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدّة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله (وكذلك) عرس المامون بن ذى النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من

البدواة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقائمين على صنایعه فى غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم فى اختان ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولايم الفرس وقال له اخبرنى باعظم صنيع شهدته فقال نعم ايها الامير شهدت بعض مراربة كسرى قد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على اخونه الفضة اربعا على كل واحد ويحمله اربع وصايف ويجلس عليه اربع من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المايذة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت (ومن هذا الباب) اعطية بنى امية وجوايزهم فانما كان اكثرها الابل احذا بمذاهب العرب وبداتهم ثم كانت الجوايز فى دولة بنى العباس والعبيديين ومن بعدهم ما علمت من احوال المال وتخوت الشياب واعداد الخيل بهراكيها وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبة بافريقية وبنى طغج بمصر وشأن لمتونة مع ملوك الطوائف بالاندلس واليوحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحديين وحلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى امية وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى امية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحديين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة

بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك الساجوقية ثم الى
الترك بمصر موالى بنى ايوب والى التتار بالعراقين وعلى
قدر عظم الدولة يكون شأنها فى الحضارة اذ امور الحضارة
من توابع الشرف والترف من توابع الثروة والنعمة والشروة
والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة
فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه تجده
صحىحا فى العمران والدول والله وأرث الأرض ومن عليها

فصل فى ان الترف يزيد الدولة فى أولها قوة الى قوتها

والسبب فى ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك
والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة
واستكثروا ايضا من الموالى والصنایع وربيت اجيالهم فى جو
ذلك النعيم والرغد فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى
قوتهم بسبب كثرة العصايب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب
الجيل الاول والثانى وانخذت الدولة فى الهرم لم يستقل
اولئك الصنایع والموالى بانفسهم فى تأسيس الدولة وتمهيد
ملكها لاتهم ليس لهم من الامر شىء انما كانوا عيالا على
اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاعل لم يستقل الفرع بالرسوم
فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة
(واعتبر) هذا بما وقع فى الدولة العربية فى الاسلام كان عدد

العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا او ما يقاربها من مصر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنایع بلغ ذلك العدد الى اضعافه (يقال) ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يسعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذ اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند السحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب نحائة ايام المامون¹ للانفاق عليهم وكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرغد والنعيم الذى حصل للدولة وربى فيه اجيالهم ولا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

فصل فى اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها فى
البداءة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنتقل فى اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكسب القايمون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لهزاج الحال الذى هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو

في الغالب خمسة (الاول) طور الظفر وغلب المدافع واليهانح
والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها
فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب
المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد
دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها
الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها (الطور الثاني) طور الاستبداد
على قومه والانفراد دونهم بالملك وكنهم عن التطاول
للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور
معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنایع والاستكثار
من ذلك لجدع انوف اهل عصبته وعشيرته اليقاسيين له
في نسبة الضاربيين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم
عن الامر ويصدتهم عن موارد ويردهم على اعقابهم ان يخلصوا
اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من
مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون
في طلب الامر واشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان
ظهورهم على مدافعهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع
الاقارب ولا يظاهرة على مدافعهم الا الاقل من الابعاد
فيركب صعبا من الامر (الطور الثالث) طور الفراغ والدعة
لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من
تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في

الجبابة وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها
وتشييد الهياكل الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة
والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الاسم ووجوه
القبائل وبث المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنايعه
وحاشيته في احوالهم بالمال والسجاء واعتراض (١) جنوده وادرار
ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر
ذلك عليهم في ملابسهم وزيتهم وشكتهم ايام الزينة فيباهى
بهم الدول المسالمة ويهرب الدول المحاربة وهذا الطور آخر
اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم في هذه الاطوار
كلها مستقلون بارايهم بانون لعزهم موضعون الطرق لمن
بعدهم (الطور الرابع) طور التوسع والسلمة ويكون صاحب
الدولة في هذا قانعا بما بنا اولوه سلما لانظاره من الملوك
واقباله مقلدا للماضين من سلفه يتبع آثارهم حذو النعل بالنعل
ويقتفى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج
عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بها بنوا من مجده
(الطور الخامس) طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة
في هذا الطور متلفا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات
والملاذ والكرم على بطانتها وفي مجالسها واصطناع اخدان
السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون

(١) Man A. et B. اعراض.

بحملها ولا يعرفون ما ياتون وما يذرون منها مستفسدا لكبار
الاولياء من قومه وصنایع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا
عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق اعطيانهم فى شهوانه
وحجب عنهم وجه مباشرته وتثقله فيكون مخربا لها كان
سلفه يوتسون وهادما لما كانوا بينون وفى هذا الطور تحصل
فى الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن
الذى لا يكاد يخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان
تقرض كما نبيته فى الاحوال التى نسردها والله خير الرازقين

فصل فى ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها

والسبب فى ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التى
بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك سببى
الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة
فى اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على
العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب
كثيرة الممالك والرعايا كل الفعلة كثيرين جدا وحشروا من
آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا
ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران عنها وانظر
بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعترم
الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه

العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تفنن در دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقنطرة التى على واديهها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القنطرة الراكبة عليها وآنار شرشال بالهغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآنار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انها كانت بالهتسدام وباجتياح الفعلة وكثرة الايدى عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تتوهمه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والآنار ولقد ولى القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وشمود والعمالقة والكنعانيين فى ذلك اخبارا عريقة فى الكذب من اغربها ما يحكون من عوج بن عناق رجل من العمالقة (1) الذين قاتلهم بنو اسرئيل فى الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه فى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان

(1) Man.A. et B. الكنعانيين.

للسهس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان
الحر هو الضو وان الضو فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا جاوزت مطارج الاشعة المنعكسة
فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحب
وانما الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط
مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكروه
من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل
عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجثمانهم لذلك
العهد قريب من هياكلنا تشهد لذلك ابواب بيت
المقدس فانها وان خربت وجددت لم تنزل المحافظة على
اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج
وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلظتهم في هذا
انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتباء
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة
فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس
الامر كذلك (وقد) زعم المسعودى ونقله من الفلاسفة
مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التي هي جبلة
الاجسام لما براء الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال

تلك الطبيعة فان طرء الموت انما هو بالانحلال القوي الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية شأنه تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم ينزل يتناقص لتقصان المادة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا ينزل يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجد له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين ابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن كديار تمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا عغارا وابوابا صيقة وقد اشار النبي على الله عليه الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به واحريق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قرناه (ومن) آثار الدول ايضا حالها في العراصة والولايم كما ذكرناه في وليمة بوران وصنيع الحجاج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله (ومن) آثارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان الهرم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبيهم للناس والهرم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واخبر ذلك بجوايز ابن ذى يزن لوفد قريش كيف

اعطاهم من ارطال الذهب والفضة والاعبد والوصايف عشرا
عشرا ومن كرش الغنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله
لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت
استبداد فارس وانما حملاه على ذلك حمة نفسه بما كان
لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في
العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيين بافريقية ايضا
اذا اجازوا الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم
المال احمالا والكساء تخوتا مهلوة والحملان جنايب (1)
عديدة (وفى) تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
(وكذلك) كان عطاء البرامكة وجوايزهم ونفقاتهم وكانوا اذا
اكسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر
لا العطاء الذى يستنفده يوم او بعض يوم واحبارهم فى
ذلك كثيرة مسطورة وهى كلها على نسبة الدول جارية
(وهذا) جوهر الصقلبي الكاتب قايد جيش العبيديين لما
ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهى اليوم دولة الى مثل هذا (وكذلك) وجد
بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى
بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع النواحي ونقلته
من كتاب جراب الدولة (غلات) السواد سبعة وعشرون

(1) Man. A. et B. حقايب.

الف الف درهم مكررة مرتين وسبعماية الف درهم وثمانون
الف درهم (ابواب) المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم
مرتين وثمان مائة الف درهم مرة ومن الحلال النجراتية مايتا
حلة (1) ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا (كسكر)
احد عشر الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة
(كوردجلة) عشرون الف الف درهم مرتين وثمان مائة الف
درهم مرة (الاهواز) خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن
السكر ثلاثون الف رطل (فارس) سبعة وعشرون الف الف
درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب (2)
الاسود عشرون الف رطل (كرمان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين ومايتا الف درهم مرة ومن المتاع اليباني خمسمية
ثوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكهون الف رطل
(مكران) اربعماية الف درهم مرة (السند) وما يليه احد عشر
الف الف درهم وخمسمية الف درهم مرة ومن العود الهندي
ماية وخمسون رطلا (سجستان) اربعة آلاف الف درهم مرتين
ومن الثياب المعتبة ثلثماية ثوب ومن الغانيد عشرون الف
رطل (خراسان) ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن
نقر الغضنة الفا نقرة (3) ومن البراذين اربعة آلاف دابة ومن

(1) Le m. A. et le m. B. ajoutent ثنتان. (2) Man. A. et B. ajoutent اثنتان.

(2) Man. A. et B. الزيت.

الرقيق الف رأس ومن الشياب سبعة وعشرون الف ثوب
ومن الاهلياج ثلاثة آلاف رطل (جرجان) اثنا عشر الف الف
درهم مرتين ومن الابريسم الف شقة (قوس) الف الف درهم
مرتين وخمسمائة الف ومن نقر النقة الف (طبرستان)
والرويان ونهاوند ستة آلاف الف درهم مرتين وثلاثمائة الف
ومن القرش الطبرية ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ثمانتان
ومن الشياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثمائة ومن
الجمامات ثلاثمائة (الري) اثنا عشر الف الف درهم مرتين
ومن العسل عشرون الف رطل (همدان) احد عشر الف
الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم مرة ومن رب
الرومانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل (مابين)
البصرة والكوفة عشرة آلاف الف درهم وسبعماية الف درهم
(ماسبدان) والربان اربعة آلاف الف درهم مرتين (شهرزور)
ستة آلاف الف درهم مرتين (الموصل) وما يليها اربعة
وعشرون الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون الف رطل (اذربيجان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين (الجزيرة) وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلاثون
الف الف درهم مرتين (الكرج) ثلاثمائة الف درهم مرة
(كيلان) خمسة آلاف الف درهم مرتين ومن الرقيق الف
رأس ومن العسل اثنا عشر الف رطل ومن الهزاة عشرة ومن

الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف درهم مرتين
ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم خمسمائة وثمانون
رطلا ومن المايح (1) السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الطريح
عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ثنتان ومن البزاة
ثلاثون (قسرين) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
ومن الربيب ألف حمل (دمشق) أربعمائة ألف دينار وعشرون
ألف دينار (الأردن) ستة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة
ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل
(مصر) ألف دينار اثنان مرتين وتسعمائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار (برقة) ألف ألف درهم مرتين (أفريقية)
ثلاثة عشر ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون
(اليمن) ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع
(الحجاز) ثلثمائة ألف دينار (وأما الأندلس) فالذي ذكره
الثقات من مورخيهما أن الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك
بنى أمية المتلقب بلقب الخلافة ترك في بيوت أمواله
عند الوفاة خمسة آلاف دينار مكررة مرتين يكون جبلتها
بالتناظر خمسمائة قطار (ورأيت) في بعض تواريخ الرشيد أن
المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قطار من
دنانير الذهب وخمسمائة قطار في كل سنة (وأما دولة

(1) Man. A. المالح. man. D. المساح.

العبيديين) فرايت في تاريخ ابن خلكان عند ما ذكر
 لأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي الهستبة على خلفائهم
 بمصر انه لما قتل وجد في خزانته ستمائة الف الف
 دينار مكررة مرتين ومائتان وخمسون اردبا من الدراهم وما
 يناسب ذلك من ذخاير الفصوص واللآلى والاقيشة والامتعة
 والمراكب والحمولة (واما) هذه الدول الحادثة التي ادركناها
 فاعظمها دولة الترك بمصر وكان استفحالها ايام الناصر
 محمد بن قلاوون منهم وغلّب عليه لاول دولته الاميران
 بيبرس وسالار ثم خلعه بيبرس واستبدت بكرسيه وسالار
 رديف له فلما انتزع الناصر المالك من يده ونكب بعد
 مدّة رديفه سالار واستصفي ذخيره فوقف على جريدة
 احصاها ومنها نقلت من الياقوت البرهمناني والباخش
 اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص
 الماس وعين الهرّ ثلثمائة قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة
 رطلان ومن اللؤلؤ المدور من زنة مثقال الى وزن حبة الف
 ومائة وخمسون حبة ومن الذهب العين الف الف دينار
 مكررة مرتين واربعماية الف مرة وفسقية مملوءة بالذهب
 عبيبا واكياس مملوءة ذهبا استخرجت من بين حايطين
 ولم يعلم عدتها ومن الدراهم الفا الف اثنان مكررة مرتين
 واحد وسبعون الفا ومن الحلى المصاغ اربعة قناطير الى ما

يناسب ذلك من الاقمشة والامتعة والمراكب والظهر والغلال
والسايمة والماليك والجوارى والعقار (وبعدها) دولة بنى
مريين بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة فى خزانة
ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون بن البواق ان
مخلف السلطان ابي سعيد ببیت ماله سبعاية قطنار
ونيف من دنانير الذهب وفى موجودة مما سوى ذلك ما
يناسبه وكان السلطان ابي الحسن ابنه من بعده اكثر من
ذلك (ولما) استولى على تلمسان وجد فى ذخاير سلطانها
ابى تاشفين من ملوك بنى عبد الواد ثلثماية قطار ونيف
من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى ما يناسب ذلك
مما سواه (واما) ملوك افريقية الموحدين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قائده وانا بک عساكره
محمد بن الحكيم فاستصفى منه اربعين قطارا من دنانير
الذهب ومد من الفصوص واللالى ونهب من فرش بيوته
قريب من ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتيلكات
(وحضرت) بعصر ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق وقد
نكب استدارة الامير محمود وصادرة فاحبرنى متولى
مصادرتة ان مبلغ ما استصفى منه من الذهب الف الف
دينار مكررة مرتين وستماية الف الف دينار مرة واما ما سوى
ذلك من الاقمشة والمراكب والانعام والغلال والظهر فعلى

نسبة ذلك (فاعتبر) ذلك في نسبة الدول بعضها الى بعض ولا تنكرون ما ليس ببعهود عندك ولا في عصرت شى من امثاله فتضيق حوصلتك عن ملتقط الممكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى امية والعبيديين وقايسنا الصحيح من ذلك والذي لا نشك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت فى اصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الاصل فى القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال فى غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يالحق بالمستفيض واليتوانر وفيها المعايير والمشاهد من آثار البناء وغيره فنحذ (1) من الاحوال المنقولة مراتب الدول فى قوتها او ضعفها وعنخامتها وضعفها واعتبر ذلك بما نقصد عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك اند ورد على المغرب لعهد السلطان ابى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة

(1) يتخذ. D. فتح. Man. A. et B.

طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما راي من العجائب بهالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من احواله بما يستغرب السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرغ لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتتاجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن واريت انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

بما انك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سأل عن الاحمان التي كان يعتدى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفاها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه فيقول اين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسها الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفار وهذا كثيرا ما يعترى الناس في الاخبار كما يعتر بهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيبنا على نفسه ومسيّرا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا اصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في (1) نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زد لي علما

(1) Man. C. et D. عن.

فصل فى استظهار صاحب الدولة على قومه واهل
عصبته بالموالى والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم
عصابته وظهر اوجه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته
ومنهم يتقد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاءه فى الامر ومساهموه فى ساير
مهماته هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور
الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه
بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج فى
مدافعهم عن الامر وصدتهم عن المشاركة الى اولياء اخرين
من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب عليه من سايرهم واخص به قربا واصطناعا واولى
ايشارا وجاها لما انهم يستتيتون دونه فى مدافعة قومه عن
الامر الذى كان لهم والرتبة التى الفوها فى مشاركتهم
فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بيزيد التكرمة
والايشار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويتقدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه
ويكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم
حينئذ اولياء الاقربون ونصحاوه المخلصون وذلك حينئذ

موذن باهتصام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب أهل
الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة الساطان فيضطغنون عليه
ويترقبون به الدواير ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعتاب
الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بنى امية
كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال
العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن
زياد بن ابي سفيان والحجاج ابن يوسف والمهلب بن
ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابى هبيرة وموسى
ابن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن
سيار وامثالهم من رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد
بالمجد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة
للعجم والصنابع من البرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وبنى طاهر ثم بنى بويه وموالى الترك مثل بغا ووصيف
واتامش وباكيات وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من
موالى العجم فتصير الدولة لغير من مهدها والعز لغير من
اجتلبه سنة الله في عباده

فصل فى احوال الموالى والهصطنعين فى الدول

علم ان المصطنعين فى الدول يتفاوتون فى الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم فى الالتحام بصاحبها والسبب فى ذلك ان المقصود فى العصبية من الهدافة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر فى ذوى الارحام والقربى والتخاذل فى الاجانب والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهى والمعنى كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة وطول الممارسة والصحة بالمرء والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعمة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر فى الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وان لم يكن نسبا فتمرات النسب موجودة فان كانت الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتها اوشج وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة فى حالهم فلا يتييز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوى قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد

عن الجوالى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تميّز الرتب وتفاوتها فتتيز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثانى ان الاصطناع قبل الهالك يبعد اهله عن الدولة بطول الزمن ويخفى شأن تلك اللحمة ويظنّ بها فى الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى فى معرفته الاكثر فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اشدّ التحاماً به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة فى آخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ باوليتهم واشراف (I) الدولة على الانقراض فيكونون منحطين فى مهاوى الضعة وانما يحيل

1. مشرفة. Man. C. et D.

صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليائهم
الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعتر بهم في انفسهم من العزة
على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله
واهل نسبه لتاكّد الاحمية منذ العصور المتطاولة بالمربى
والاتصال بابائه وسلف قومده ولانتظام مع كبراء اهل بيته
فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها
صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد
استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
ويبقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في
اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين
واما هؤلاء المحذون فخدم واعوان والله ولي المؤمنين

فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل
القبائين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عند وتداوله
بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب
على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر
ولاية صبي صغير او مضغف من اهل المنبت (1) يترشح
للولاية بعد ابيه او يترشح ذويد وخوله ويونس منه العجز

(1) Man. D. البيت.

عن القيام بالملك فيقوم به كافلده من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله ويورى بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسيمه فى مراعيها متى امكده وبنسيه النظر فى الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انها هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التمويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحمل والعقد والامر والنهى ومباشرة الاحوال الهلوكية وتفقدتها من النظر فى الجيش واليال والشغور انما هو للوزير ويسلم له فى ذلك الى ان تستحكم له عبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويورثه عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبنى بويه والترك وكافور الاحشيدى وغيرهم بالمشرق والناصر ابن ابى عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المتغلب المغلب لشانه فيحاول على الخروج من رتبة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب عليه اما بقتل او بدفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك فى النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت فى تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد فى الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين فى نعيده قد

نسوا عهد الرجولية والفوا اخلاق الدايات ولاظار وربوا عليها
فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انها
همهم في (1) القنوع بالابهة والتفتن في اللذات وانواع الترف وهذا
التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك
على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضرورى
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منها الا فى الاقل
النادر والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه فى
اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة
بعصبية قومه وعصبية التى استتبعتهم حتى استحكمت
له ولقومه صبغة الملك والغلب وهى لم تنزل باقية وبها
انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب
عصبية من قبيل الملك او الموالى والصنایع فعصبية مندرجة
فى عصبية اهل الملك وتابعة لها وليس لها صبغة فى الملك
وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع
ثمراته من الامر والنهى والحل والعقد والابرام والنقض يوهم
بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ فى

(1) Man. A. et B. همهم القنوع.

ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته والقابيه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذى ضربه السلطان واولوه على انفسهم من القبيل مذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشيء من ذلك لنفسه غلبه اهل العصبية وقبيل الملك وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة في ذلك تحملهم على التسليم له والانتقاد فيهلك لاول وهامة وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقع بما قنع ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام ابن محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين وهلاك المويدي خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

فصل في حقيقة الملك واعنانه

الملك منصب طبيعي للانسان لانا قد بيتنا ان البشر

لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويبانعد الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضى الى المقاتلة وهي تودى الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفضى ذلك الى انقطاع وهو مما خصه البررى تعالى بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم ينزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكّم ولا بدّ في ذلك من العصبية لما قدّمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف يتوجه نحوه الطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصبية كما مرّ والعصبية متفاوتة وكل عصبية فلها تحكّم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرتها وليس الملك لكل عصبية وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعد الرعية ويجبى الاموال ويبعث البعث ويحمى الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فهن قصرت بد

عصبية عن بعضها مثل حماية الثغور وجباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير
من ملوك البربر في دولة الاغالبة بالقيروان وملوك العجم
صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبية ايضا من
لاستعلاء على جميع العصبية والضرب على ساير الايدي
وكان فوقه حكم غيره فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته
وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم
دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق
اعنى يوجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون
بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك
العجم في دولة بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع
الاسكندر وقوم اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والده
القاهر فوق عباده

فصل في ان ارفاف الحمد مضر بالملك ومفسد له
في الاكثر

اعلم ان مصالحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسه
من حسن شكله او ملاحظة وجهه او عظم جسمانه او اتساع

علمه او جودة خطه او ثقب ذنه انما مصاحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهى نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القايم بامورهم عليهم فالسلطان من لرعية والرعية من لها سلطان والصفة التى له من حيث اضافته اليهم هى التى تسمى الملكة وهى كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم فان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكاً لهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان اليك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم واخلاقهم وربما خذلوه فى مواطن الحرب والمدافع ففسدت الحماية بفساد النيات وربها اجتمعوا قتله لذلك فتنفسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا ففسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستهانوا بونه فى محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب (واما) توابع

حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بما تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس فاكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل واقل ما في اليقظ انه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها بالهجة فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضغنكم (ومن) هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكاء وماخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال عزلتني يا امير المؤمنين اعجز ام لخيانة فقال له عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد ابن ابي سفيان وعمرو بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الهلكة وحمل الوجود على ما ليس في طبيعته كما ياتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في لجمود والظرفان مذمومان من كل صنفة انسانية والمحمود هو التوسط كما في

الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والسجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية وبهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومُشَيِّطٌ وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء

فصل فى معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق مسجحة بمن تحت يده من الخلق فى احوال دنياهم لحمله اياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم من اغراضه وشهوانه ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصية المفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من (1) مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله فى الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله سبحانه وتعالى بشارع يقرها ويشرعها كانت سياسة دينية

(1) Man A. اختلقت الدولة فى B. اختلقت.

نافعة في الحياة الدنيا والآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله تعالى يقول افسحبتهم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم اليفضى بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرايع تحمليهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الهلك الذي هو طبيعيتي للاجتماع الانساني فاجرتة على منهج الدين ليكون الكل محسوبا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو في مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عايدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعدالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل

الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك طبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جانب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيها نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل في اختلاف الأمة في حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمى خلافة وامامة والقايم به خليفة واماما وسمّاه المتأخرون سلطانا حين فشا التعدد فيده واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والافتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه

بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ولان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب واما الحاضر فلا (ثم) ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابي بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذى وقع فاتما هو قضاء بحكم العقل فيد قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم متفردين ومن ضرورة الاجتماع التنزاع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظ الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فسادها وان احدى مقدماتها ان الوازع انما يكون بشر من

الله تسلّم له الكافة تسلّم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان
الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر الشوكة ولو لم يكن شرع
كما في اسم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه
الدعوة او نقول يكفى في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم
الظلم عليه بحكم العقل فادّعاوهم ان ارتفاع النزاع انما يكون
بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الروساء اهل الشوكة او
بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينتهض دليلهم العقلي
المبنى على هذه المقدمة فدلّ على ان مدرك وجوبه انما
هو بالشرع وهو الاجماع الذى قدّمناه وقد شدّ بعض الناس
فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب
عند هؤلاء امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء
محبوبون بالاجماع والذى حملهم على هذا الذهب انما هو
الفرار عن الملك ومذاهبد من الاستطالة والتغلب والاستمتاع
بالدنيا لما راوا الشريعة ممثلة بذم ذلك والنعي على اهل
ومرغبة في رفضه (واعلم) ان الشرع لم يذم الملك لذاته
ولا حظر القيام به وانما ذم اليخاسد الناشئة عند من القهر
والظلم والتمتع بالذات ولا شك في ان هذه مفسد محظورة

وهي من توابعه كما اتنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذنب عند واوجب بازايبها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذن انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لداعية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيئا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنيين معا وعليه جمهور العلماء وقوفا مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك فى صحيح مسلم فى كتاب الامارة منه وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو فى البلد الواحد او فى حال تقاربهما

وأما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز
نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين
نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين
ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من
آراء الاندلسيين والمغاربة الجنوح الى ذلك فقد كان العلماء
بالاندلس متواقرين وبايعوا لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن
منهم وابناءه بامير المؤمنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى
وكذا الموحدون بعدهم بالمغرب وقد ردّ بعضهم ذلك
بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه
الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اقعد بهعرفة الاجماع
نعم ردّ على الامام الهازرى والنووى وقوفا مع ظواهر الاحاديث
كما قلناه وربما احتجّ لذلك بعض المتأخرين بدليل التنازع
الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله
لفسدنا ولا ينهض الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان
دالتها عقلية نبهنا الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا
باعتقاده بدليل عقلى فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب
الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم
الاستدلال بها الا ان يقرّها شرعية بزيادة مقدمة اخرى
وهى ان التعدد ينشأ عنه الفساد ونحن ممنوعون مما يجبر اليه
وبصير الاستدلال حينئذ شرعى والله اعلم (واما) شروط هذا

المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي (1) والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه اما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في ساير المناصب التي هي شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفايها بالبدع الاعتقادية خدق واما الكفاية فهو ان يكون جرياً على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير الهصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الاعضاء في العيل كفقده اليدين والرجلين والانثيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقدان احدى

(1) Man. B. et C. الرأي. A. المرأى.

هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال (ويلاحظ) بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب ياحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا ياحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره ولا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة (واما) النسب القرشي فلاجهاع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحضجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فتحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في قريش وامثال هذه الادلة كثير الا ان لها ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبها انفتحت الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة وتغلب عليهم

الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لوليته او لما داخلتنى فيه الطقة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاة حاصلة بسالم من قريش وهي الفايذة في اشتراط النسب ولما استعظم امر الخلافة وراى شروطها كأنها منقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولاة المفيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا الفايذة في النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولاة وكان ذلك حرصا من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تاحقه به لايبة ولا عليه فيه عهدة (ومن) القاييلين بنفى اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادركت عليه عصبية قريش من الشلاشي والاضحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراى الخوارج لما راى عليه حال

الخلفاء لعهدده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على امره لانه اذا ذهب الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا الهنصب وهو خلاف الاجماع (ولنتكلم) الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصالحة في اشتراط النسب هي المقصودة في مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب الهنصب فتسكن اليد الملة واهلها وينتظم جبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا ائف مضر واصالهم واهل الغلب منهم وكان لهم على ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب

يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بدخالتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردّهم عن الخلاف ولا يحيلهم على الكره فتشترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتّفاقهم ورفع النزاع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعضا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كقبائل حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام اليلة واتفاق (1) الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطيت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو

(1) اتقان. Man.A. et B.

لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يختص الاحكام بجبل ولا عصر ولا امة علينا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردها العلة البشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية على من معها بعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعتم ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشبية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يختص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه في القيام بامور عبادة ليجملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شأن النساء وانهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شئ وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر

أمة أو جيل إلا من غلب عليهم وقل أن يكون الأمر الشرعي مخالفاً للأمر الوجودي والله تعالى أعلم

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

أعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأنباغ ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بخصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه وبعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جليّ وخفيّ فالجليّ مثل قوله من كنت مولاه فعلى مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهبذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقتضاكم على ولا معنى للإمامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد بساوى الامر الواجبة طاعتهم من الله

بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واليراد احكم
والتصا ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون
غيره ومنها قوله من يبايعني على روجه وهو وصي وولي
هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على (ومن) الخفي
عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة
براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم
اوحى اليه ليبلغه رجل عنكم او من قومك فبعث عليا
ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا
فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر فقد
قدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعهرو بن العاص
اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين علي للخلافة
دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن
تأويلهم (ثم) منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على
تعيين علي وتشخيصه وكذلك ينتقل منه الى من بعده
وهؤلاء الامامية ويتبرون من الشيخين حين لم يقدموا عليا
ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص وبغضون في امامتهم
ولا نلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود
عندنا وعندهم (ومنهم) من يقول ان هذه الادلة انها اقتضت
تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث
لم يضعوا الوصف موضعهم وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرون من

الشيخين ولا يغمصون في امامتها مع قولهم بان عليا افضل
منها لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل (ثم
اختلفت) هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي (فمنهم)
من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقاتلتهم
باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذاهبيهم
(ومنهم) من ساقها الى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة
وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا
ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب
الذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان
يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام
فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوهما زيد العابدين اماما لانه لم
يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه
مذاهب المعتزلة واخذة اياها عن اصل بن عطا ولما ناظر
الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهم ما
ولا يتبرأ منها رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سمو
رافضة (ومنهم) من ساقها بعد علي او ابنيد السبطين على
اختلافهم في ذلك الى اخيها محمد بن الحنفية ثم الى
ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاة وبين هذه
الطوائف اختلافات تركناها اختصارا (وفيهم) طوائف يسمون

الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايان فى القول بالايمّة هولاء
لايمّة اما على انه بشر اتصف بصفات الالهية وان الاله
حل فى ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب
النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على
رضى الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط
محمد بن الحنفية المختار بن ابى عبيد ليا بلغه مثل
ذلك عند فصرح بلغه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر
الصادق بمن بلغه مثل ذلك عند (ومنهم) من يقول ان
كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام
اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ (ومن هولاء
الغلاة) من يقف عند واحد من الايمّة لا يتجاوزها الى غيره
بحسب من تعين لذلك عندهم وهولاء الواقفية فبعضهم
يقول هو حتى لم يميت الا انه غايب عن اعين الناس
ويستشهدون لذلك بقضية الخضر قيل مثل ذلك فى
على رضى الله عنه وانه فى السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وقالوا مثله فى محمد ابن الحنفية وانه فى جبل
رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الايمّة من قريش	ولاة الحق اربعة سوا
على والثلاثة من بنيه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمن وبتر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الجيش يتقدمه الولا
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ايتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى ويلقبونه المهدي دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيبلاء الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع فى كتاب الترمذى فى المهدي وهم الى الآن ينتظرونه ويستونونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيفتفون باسسه ويدعون له للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفصون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد (وبعض) هؤلاء الواقفة يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بها وقع فى القران الكريم من قصة اهل الكهف والذى مر على قرية وقتل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت فى طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هؤلاء السيد الحميرى ومن شعره فى ذلك

وعلمه المواصل بالخصب	اذا ما المرء شاب له قذال
فقم يا صاح نبت على الشباب	فقد ذهب بشاشته واودى
الى احد الى يوم الاياب	فليس بعائد ما فات منه
الى دنياهم قبل الحساب	الى يوم يؤب الناس فيه
وما انا فى الشور بدى ارنيا	ادين بيان ذلك ديسن حقى
حيوا من بعد درس فى الشراب	كذاتك الله اخبر عن اناس

وقد كفانا مؤنثة هؤلاء الغلاة ايّمة الشيعة فانهم لا يقولون بها
ويبطلون احتجاجاتهم عليها (فاما الكيسانية) فساقوا الامامة
من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء
الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على
ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم
لما مات بارض الشراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد
بن على بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه
ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن
الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله
ابى جعفر الملقب بالهضور وانتقلت فى ولده بالنص
والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية
القايمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربها
يعضدون ذلك بان حقهم فى هذا الامر يصل اليهم من
العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبة
العمومية (I) (واما الزيدية) فساقوا الامامة على مذاههم فيها وانها
باختيار ايّمة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة على ثم
ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم
ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج

(I) Man C. بعصبة. D. بعصبة العمومة.

بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية
بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل
بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز
وتلقب بالمهدي وجاءت عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد
بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن
علي فخرج اليهم المنصور في عساكره او قياده فهزم
 وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك
كله وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون منهم الى ان
الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن
القاسم بن علي بن علي بن عمر وعبر هو اخو زيد بن علي
فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى
المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من
الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي
حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
الامامة في عقبه واليه انتسب داعي الزنج كما نذكره في
اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن
عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هناك
وقام بامر ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان
من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في

اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
 الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن
 محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن السبط
 واخوه محمد بن زيد (ثم) قام بهذه الدعوة في الديلم
 الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن ابن
 علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي
 فكانت لبنيده في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في
 اخبارهم (واما الامامية) فساقوا الامامة من علي الوصي الى
 ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه
 علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه
 جعفر الصادق ومن هنا افرقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر
 من الائمة وقولهم بغيبتد الى آخر الزمن كما مر (واما
 الاسماعلية) فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنس من ابيد جعفر
 الصادق وفايدة النس عليه عندهم وان كان قد مات قبل
 ابيد انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى
 ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين لان الامام عندهم
 قد لا تكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة

للحجة على الخلق وإذا كانت لد شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد مجد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه مجد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبید الله المهدي الذي ظهر داعيته أبو عبد الله الشيعي في كتامة وتابعه الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة إلى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا الباطنية نسبة إلى قولهم بالامام الباطن أي المستور ويسمون أيضا الياحدة لها في ضمن مقالاتهم من الأحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن ابن مجد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الطغر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (وأما الأنتي عشرية) وربها خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة أخيه الأكبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد إليه الامامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه مجد التقى ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن

العسكري ثم ابنه مجد المهدي المنتظر الذي قدّمنا ذكره
وفى كل واحد من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير لا ان
هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعته فعليه بكتب
المال والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

فصل فى انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعّية للعصبيّة ليس وقوعه عنها
باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل
وان الشرايع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ
فيه من العصبيّة اذ المطالبة لا تتمّ الا بها كما قدّمناه
فالعصبيّة ضروريّة للملّة وبوجودها يتمّ امر الله منها وفى
الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه ثم وجدنا
الشارع قد ذمّ العصبيّة وندب الى اطراحها وتركها فنقال
ان الله اذهب عنكم غيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء انتم بنو
آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ووجدناه ايضا قد ذمّ الملك واهله ونعى على اهله احوالهم
من الاستمتاع بالخلاف والاسراف فى غير القصد والتسكّب
عن صراط الله وانما حضّ على الالفّة فى الدين وحذّر من
الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع

مطية للأخرة ومن فقد الهطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلعه من اصله وتعطيل القوى التي نشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المتعاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فحجرتة الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فحجرتة الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان والاغراض الذميمة فاذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في حقه وانما المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله على الصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع (1) وقال لمن تنفكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت في الجاهلية وان (2) يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان

1. الشرع. Man. D.

2. Ibid. الا.

ذلك سجان من افعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصبية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه ليا فيه من التغلب بالباطل وتصريف الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله وسلامه عليه ربّ هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والملك (ولما) لقي معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيد من العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية قال يا امير المؤمنين انا في ثغر تجاه العدو وبنا الى مباحاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطيه لها احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يمتنع هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرص على خروجه منها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب

الباطل والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله تعالى فسكت وهكذا شأن الصحابة فى رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله على الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضى الله عنه على الصلاة اذ هى اهم امور الدين وارتضاء الناس للخلافة وهى حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجبر للملك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعا سنن صاحبه وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عير فاتبع اثره وقاتل الامم فغلبهم واذن للعرب فى انتزاع ما بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت الى عثمان ثم الى على والكل متبرون من الملك منكميون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عضاضة الاسلام وبدعوة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها لا من حيث دينهم الذى يدعومهم الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بدواتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفد الذى الفوه فلم تكن امة اسغب (1) عيشا من مضر لما كانوا

(1) Man. D. اشعث.

بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من
الارياض وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربعة
واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصمها ولقد كانوا كثيرا ما
ياكلون العتارب والخنافس ويفخرون باكل العلهز وهو وبر
الابل يموهونه بالحجارة فى الدم ويطبخونه وقريب من هذا
حال قريش فى مطاعهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت
عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم زحفوا الى اسم فارس والروم وطلبوا ما
كتب الله لهم من الارض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم
واستباحوا دنياهم فزحرت بحمار الرفد لديهم حتى كان الفارس
الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب
او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذة الحصر وهم مع
ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضى الله عنه يرقع
ثوبه بالجلد وكان على ما يقول يا صفراء ويا بيضاء غرى
غيرى وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم
يعهد للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم
بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم
ما كانت لاحد من اهل العالم (قال) المسعودى فى ايام
عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند
خازنه خمسون ومائة الف دينار والى الف درهم وقيمة

ضياعد بوادي القرى وحينين وغيرهما مايتا الف دينار وخالن
ابلا وخیلا كثيرة (وبلغ) الثمن الواحد من متروك الزبير
بعد وفاته خمسين الف دينار وخالن الف فرس والف امة
(وكانت) غلة طاحنة من العراق الف دينار كل يوم ومن
ناحية الشراة اكثر من ذلك (وكان) على مربط عبد الرحمن
ابن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الآف من الغنم
وبلغ الربع من متروك بعد وفاته اربع وثمانين الف (وخالن)
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خالف من الاموال والضياح بباية الف دينار (وبنى) الزبير داره
بالبصرة وكذلك بنى بهصر والكوفة والاسكندرية (وكذلك)
بنى طاحنة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنهاها بالبحص
والاجر والساج (وبنى) سعد بن ابى وقاص داره بالعقيق
ورفع سیکها واوسع فضاها وجعل على اعلاها شرفات (وبنى)
المقداد داره بالمدينة وجعلها مجتصة الظاهر والباطن (وخالن)
يعلى بن منبة خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته
ثلثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودى فكانت مكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعا عليهم فى دينهم اذ هى
اموال حلال لانها غنائم وفىء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف
انما كانوا على قصد فى احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك
بفادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانها يرجع الى ما

أشرفنا اليد من الأسراف والخروج به عن القصد وإذا كان حالهم
 قصداً ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار
 عوناً لهم على طريق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت
 البدأة والغضاضة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي
 هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان
 حكم ذلك الملك عندهم حكم الرفه والاستكثار من الأموال
 فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن
 مقاعد الديانة ومذاهب الحق (ولما) وقعت الفتنة بين
 على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق
 والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لا يثار
 باطل أو لاستشعار حقد كما يتوهمه متوهم أو ينزع إليه ماحد
 وإنما اختلف اجتهادهم في الحق ونصاف كل واحد
 نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وإن كان
 المصيب علياً فلم يكن معاوية قايماً فيها بقصد الباطل وإنما
 قصد الحق وانحطاً والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم
 اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستيثار الواحد به ولم
 يمكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر
 طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم
 يكن على طريقة معاوية في اقتضاء الحق من اتباعهم
 فاعصموا عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معاوية على

غير تلك الطريقة وخالقهم في الانفراد بالامر لوقع فسي
افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليها اهمّ عليه من امر ليس
وراءه كبير مخالفة (وقد) كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
راى ابا القاسم بن محمد بن ابى بكر لو كان لى من الامر
شئ لوليت الخلالة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكته كان
يخشى من بنى امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه
فلا يقدر ان يحول الامر عنهم ليلا تقع الفرقة وهذا كله انما
حمل عليه منازع الهلك التي هي مقتضى العصبية
فالهلك اذا حصل وفرغنا ان الواحد انفرده به وصرفه في
مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه وقد
انفرد سليمان وابوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى
اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية
الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانوا بنو امية لم
يرضوا تسليم الامر لهن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه
مع ان ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب احد في ذلك
ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما
كان عليه من الفسق حاش لله لمعاوية من ذلك وكذلك
كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذنبهم
في الملك مذهب اهل البطالة والبغي انما كانوا متحريين

لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو اهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والافتداء وما علم السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الهوطا بعيل عبد الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وفضله معروف ثم تدرج الامر في ولده عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز ونزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بيمان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم فاعطوا الملك والتزوا حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتاذن الله بحربهم وانتزع الامر من ايدي العرب جهلة وامكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى

المسعودى مثله فى احوال بنى امية عن ابى جعفر المنصور
وقد حضر عدومته وذكروا بنى امية (فقال) اما عبد الملك
فكان جبارا لا يبالى بما صنع واما سليمان فكان حده بطنه
وفرجه واما عمر فكان اعور بين عريان وكان رجل القوم
هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لها مهد لهم من السلطان
يحوظونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تستهم معالى
الامور ورفضهم اذانيها حتى افضى الامر الى ابناءهم المترفين
فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى
الله جهلا باستدراجه وامننا لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة
واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله
العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة (ثم) استحضر عبد الله
بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل ارضه
فارا امام بنى العباس قال اقدت مليا ثم انانى ملكهم
فقعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قبية فقلت
ما منعك عن التعود على ثيابنا قال انى ملك وحق لكل
ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله ثم قال لى اسم
تسربون الخمس وهى محرمة عليكم فى كتابكم قلت فعل
ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطون الزرع بدوابكم
والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك
عبيدنا واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب

والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك
وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا فاطرق نيكت بيده في الارض ويقول عبيدنا
وانباعنا واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الى وقال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيمم ما
عند نهيتهم وظلمتم فيبا ملكتم فسلبكم الله العز والبسم
الذل بذنوبكم ولله نقيمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خايف ان
يحل بكم العذاب انتم ببلدي فينالني معكم وانا الضيافة
ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور
واطرق فمقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك
وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه
وهو الدين فكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى
هلاكهم وحدهم دون الكافة (فهذا) عثمان لما حصر في الدار
جاءه الحسن والحسين وعبد اللد بن عمر وابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عند فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة للفرقة وحفظا للالفة التي بها حفظ الكلمة
ولو ادى الى هلاكه (وهذا) على اشار عليه المغيرة لاول ولايته
باستبقاء الزبير ومعاوية وطاححة على اعمالهم حتى يجتمع
الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من
امرء وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش

الذى ينافيه الاسلام وحدى عليه البغيرة من الغداة فقال
اشرت عليك بالامس بما اشرت ثم عدت الى نظرى
فعلت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيها رايته
انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششتنى اليوم ولكن منغى ميا اشرت به زايد (1) الحق وهكذا
كانت احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايتم كيف صار الامر الى الملك وبقيت معانى الخلافة
من تحرى الدين ومذاهب والجرى على منهج الحق ولم يظهر
التغير الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا
وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم
ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا
بحتا وجبرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعمالت فى
اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات والملاذ وهذا كما
كان الامر لخلف بنى عبد الملك ولهم جاء بعد المعتصم
والتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية
العرب والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها
ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وانرها بذهاب عصبية العرب

(1) زيد. B. زايد. A. Man. (1)

وفناء جياهم وتلاشى احوالهم وبقي الامر ملكا بحتا كما كان
الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة
تبركا والملك بجميع القابذ ومناحيذ لهم وليس للخليفة منه
شئ وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة
مع العبيديين ومغراوة وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى امية
بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد
وجدت بدون الملك اولا ثم التبتت معانيها واختلطت
ثم انفرد الملك حيث افرقت عصبيتها من عصبية الخلافة
والله مقدر الليل والنهار

فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد
اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين
لا ينزعه في شئ من ذلك ويطيعه فيها يكلفه به من الامر
على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده
جعلوا يدهم في يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع
والمشترى فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة
بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو
الماد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
بيعة العقبه وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة
الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستخلفون على

هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسُمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين المكره انكرها الولادة عليه وراوها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى الله عنه (واما) البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الزجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتدال الهائمين للرياسة وصون المنصب الملوكي الا في الاقل مهن يقصد التواضع من الهلوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من وعينه فافهم معنى البيعة في العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لها يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعاله مع الملوك واللد القوي العزيز

فصل في ولاية العهد

اعلم انا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لها فيها من

المصالحة وان حقيقتها النظر في مصالح الامة لدينهم
ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياتهم
وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماتهم ويقوم لهم من يتولى
امورهم كما كان هو يتولاها ويشقون بنظره لهم في ذلك
كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع
باجتماع الامة على جوازه وانعقاده اذا وقع فعهد ابو بكر الى
عمر بمحضر الصحابة واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة
عمر رضى الله عنهم اجمعين وكذلك عهد عمر في الشورى
الى الستة من بقية العشرة وجعل لهم ان يختاروا للمسلمين
فقوض ذلك بعضهم الى بعض حتى افضى الى عبد
الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين
على عثمان وعلى واثر عثمان بالبيعة على ذلك ليوافقته
اياهم على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعنون اجتهاده
فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والهلاء من الصحابة
حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره واحد منهم فدل على انهم
متفقون على صحة هذا العهد عارفون! يبشروعيته والاجتماع
حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى
ابيه وابنه لانه مأمون على النظر لهم في حياتهم فاحرى ان
لا يتحمل فيها تبعة بعد ميانه خلافا لهم قال باتهامه في
الولد والوالد ولمن خصص التهمة في الولد دون الوالد فانه

بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفى الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معاوية الى ايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس وانفاق اهوايهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن انه اولى بها وعدل الى المنضول عن الخاصل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه اهم عند الشارع ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحابته مانعة ميا سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عند دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تاخذوه في الحق هوادة وليس معاوية ممن تاخذوه العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على توارد عن الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من

بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى امية والسفّاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابناءهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة فى ذلك فشانهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكّلوا كل احد مهن يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو قد عاهد الى غير من ترتضيه العصابة لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضى الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مشى وانا اليوم والى على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعبد ابراهيم بن المهدي وظهر من

الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاودة فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والتبايل والعصبيات وتختلف باختلافها الصالح ولكل منها حكم يخصه لظفا من الله بعبادة واما ان يكون القصد بالتمهد حفظ التراث على الالبناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يختص به من يشاء فينبغي ان تحسن النية فيد ما امكن خوفا من العتب بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيد من يشاء من عبادة (وعرض) هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاولى منها ما حدث في يزيد من الشفق ايام خلافته فايتاك ان تظن ببعووية رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل عن ذلك وافضل بل قد كان يعدله ايام حياته فى سماع الغناء ونهاه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبيهم فيد مختلفة ولما حدث فى يزيد ما حدث من الشفق اختلف الصحابة يومئذ فى شأنه فمنهم من راي الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن اتبعهما فى ذلك ومنهم من اباه لما فيد من ائارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء بد لان شوكة يزيد يومئذ هى عصبية بنى

امية وجههور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية
مضر اجمع فهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم
فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شأن جههور المسلمين والكل مجتهدون
ولا نكير على احد من الفريقين فهتأصدهم في البر وتحري
الحق معروفة وفتنا الله للاقتداء بهم والثاني هو شأن العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعيه الشيعة من وصيته
لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس
اكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على
انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل
في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني
ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي
صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضران موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي
صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شأنهما في العهد فابى
علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطيع فيها آخر
الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد
لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من

اركان الايمان كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من
 الصالح العامة المغوّضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان
 الايمان لكان شأنها شأن الصلاة وليكان يستخلف فيها كما
 استخلف ابا بكر في الصلاة وليكان يشتهر كما اشتهر امر
 الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لديننا افلا نرضاه لديننا دليل على ان الوصية به لم تقع ويدل
 ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهتما
 كما هو اليوم وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق
 في مجارى العادة لم يكن يؤسّد بذلك الاعتبار لان امر
 الدين والاسلام كان كلد بخوارق العادة من تاليف القلوب
 عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي
 كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لصرعهم وتردد
 خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة يتلى
 عليهم فلم يحتاج الى مراعاة العصبية لها شمل الناس من
 صبغة الانقياد والاذعان وما يستفترهم من تتابع هذه المعجزات
 المخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجبوا
 لها ودهشوا من تتابعها فكان امر الخلافة والملك والعهد
 والعصبية وسائر هذه الانواع مندرجا في ذلك العباب كما
 وقع فلما انحسر ذلك الهدد بذهاب تلك المعجزات

ثم بقاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت آثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيها ينشاء عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهتمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية ازمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية (1) والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضى الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور اللالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشاء الاجتياح والتوافق الكفيل بهقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشاء عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعبرة والمجتهدون اذا اختلفوا عن الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ولم يصادفه فهو مخطى فان جهته لا تتعين باجتماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة

(1) Man. A. et B. الجماعة.

ولا يتعين المخطئ منها والتأيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطاء والتأيم وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هي واقعة على مع معاوية ومع الزبير وطاحنة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك (واما واقعة على) فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مفرقين فى الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع (1) ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة من مظعون وابى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى تكون شورى بين المسلمين فيمن يولوند وظنوا بعلى هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتل لا فى المهالات (2) عليه فحاش لله ولقد كان معاوية اذا صرح بلامته انما

(1) Man. A. et B. تابع.

(2) Man. A. المحالاة. B. المهالة.

يوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى
على ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجماع (1)
من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم
وسوطن الصحابة وارجاء الامر في المطالبة بدم عثمان الى
اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك ورأى
الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل
والعقد بالآفاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق
اهل الحل والعقد ولا تلزم لعقد من تولاه من غيرهم او من
القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم
عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر و
بن العاص وام المؤمنين عايشة والزبير وابنه عبد الله وطاحه
وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن
جديج ومن كان على رايهم من الصحابة الذين اختلفوا عن
بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من
بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين
وتصويب رايه فيما ذهب اليه وتعيين الخطاء في جهة
معاوية ومن كان على رايه وخصوصا طاحه والزبير
لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع
التأيم عن كل واحد من الفريقين كالشأن في المجتهدين

(1) Man. C. et D. باجماع.

وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولى
 اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله
 عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذى نفسى بيده
 لا يموتن احد من هولاء وقلبه نقى الا ادخله الله الجنة يشير
 الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يتعن عندك ريب
 فى عدالة احد منهم ولا قدح بشئ من ذلك فهم من علمت
 وافعالهم واقوالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ
 منها عند اهل السنة لا قولاً للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم
 يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرح عليه واذا نظرت
 بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف فى
 شأن عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت
 فتنة ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
 وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة
 والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب قد نزلوا هذه
 الامصار حفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه
 وسلم ولا هذبتهم سيره وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
 فيهم فى السجالية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن
 سكينه الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى
 ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقف وحذيل
 واهل الحجاز ويشرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا

من ذلك وغصوا به لها يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم
وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن ايل
وعبد القيس من ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وقبائل
تميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغص من قريش
والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك
بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز عن
السرية والعدول في القسم عن السوية (1) وفشت القالة (2)
بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه
وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف الخبر بعث
ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا
على الامراء شيئا ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما
علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشناعات
تكثر والاشاعات تنمو ورمى الوليد ابن عقبة وهو على
الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان
وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال
وشكوا الى علي وعائشة والزبير وطاححة وعزل لهم عثمان
بعض العمال فلم ينقطع بذلك السنتم بل وفد سعيد بن
العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه
معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من

(1) Man. A. et B. التسوية.

(2) Man. A. et B. القائلة.

الصحابة بالمدينة ونقيوا عليه امتناعه من العزل فابى
 الا ان يكون عن جرحة ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من
 افعاله وهو متيسر بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجتمع
 قوم من الغوغا وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من
 عثمان وهم يضربون خلاف ذلك من قتله وفيهم من
 البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك على وعائشة
 والزبير وطاحه وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان
 الى رأيهم فيها وعزل لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم
 رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه فى يد
 حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك
 فقالوا مكنتنا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال
 عثمان ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم
 بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الثمنه
 فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتئين بامر الدين
 ولا يصيغون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا
 والله مطالع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خيرا
 لما شهدت بد احوالهم ومقالات الصادق فيهم (واما الحسين)
 فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره ودعت
 شيعة اهل البيت بالكوفة الحسين ان ياتيهم فيقوموا بامرهم
 فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسق

لا سيّما على من له القدرة على ذلك وظنّها من نفسه
 باهليّته وشوكته فاما الاهليّة فكانت كما ظنّ وزيادة واما
 الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في
 قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف
 انما كانت في بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر
 الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل
 الناس من الذمّول بالخوارق وامر الوحي وتردّد الملائكة لنصر
 المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهليّة
 ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق
 المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوايد فعادت العصبية
 كما كانت ولبن كانت واصبحت مضر اطوع لبني امية
 من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لذلك
 غلط الحسين الا انه في امر دنياوي لا يصيرة الغلط فيه
 واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه
 القدرة على ذلك ولقد عدله ابن عباس وابن الزبير وابن
 عمر وابن الحنفية اخوة وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
 غلظه في ذلك ولم يرجع عيا هو بسبيله لما اراده الله (واما)
 غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد

بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد
وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشاء عنه من الهرج والدماء
فاقصروا عن ذلك ولم يبايعوا الحسين ولا انكروا عليه
ولا اثموا لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك
الغلط ان تقول بتأيم هؤلاء لمخالفة الحسين وقعودهم عن
نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج
عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء
على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد
وانس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم
ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه
انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه
وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله
لما كان عن اجتهاد وان كان هو على صواب اجتهاد ويكون
ذلك كما يحمد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب
النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن
اجتهاد هؤلاء وان كان خلافة عن اجتهادهم وانما انفراد بقتاله
يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز
هؤلاء الخروج عليه فافعله عندهم نافذة صحيحة واعلم انه
انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من
شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسائلنا فلا

يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته الموكدة
لفسقه والحسين فيها شهيد مشاب وهو على حق واجتهاد
والصحابه الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد
غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في
كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط الامام
العادل في قتال اهل الآراء (واما ابن الزبير) فانه راي في
خروجه ما راه الحسين وظنّ كما ظنّ وغلطه في امر
الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية في جاهلية
ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء في جهة مخالفه كما كان
في جهة معاوية مع علي لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك
قضى لنا به ولم نجده هاهنا واما يزيد فعين خطاؤه فسقه
وعبد الهالك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة
وناهيك في عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن
عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معد بالحجاز
مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير
لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون مجولون
على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهما والقتل
الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجري على قواعد الفقه

وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلفى من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة القدر فمن الذى يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرنى ثم الذى يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يغشوا الكذب فجعل الخيرية وهو العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فاياك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شىء مما وقع منهم والنس لهم مذاهب الحق وطرفه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قتلوا ولا قتلوا الا فى سبيل جهاد واطهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدى كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكم الله فى خلقه واكرانه

فصل فى الخطط الدينية الخلفية

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذى هو مامور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى

رعايته مصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا ان هذا
العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد
ان اعملت وقدّمنا ان الملك وسطوته كافي في حصول
هذه المصالح نعم انها تكون اكمل اذا كانت بالاحكام
الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج
تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد
اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة
ووظائف تابعة تتعين خططا وتوزع على رجال الدولة
وظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي
تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه
بسلطانه (واما) المنصب الخلافي وان كان الملك يندرج
تحتة بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص
بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين (فلنذكر)
الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الهلوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقضاء
والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرج تحت الامامة الكبرى
التي هي الخلافة وكانها لام الكبير والاصل الجامع وهذه
كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها
في سائر احوال الملة الدينية والديوية وتنفيذ احكام الشرع
فيها على العموم (فاما امامة الصلاة) فهي ارفع هذه الخطط

كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
 الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن
 ابى بكر رضى الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
 في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله على الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لدينا فلولا ان الصلاة ارفع من السياسة
 لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في
 المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات
 المشهودة (1) واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست
 للصلوات العامة (واما) المساجد العظيمة فامرها راجع الى
 الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض
 فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيد
 والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق
 الاولى والاستحسان ولثلا يفتات (2) الرعايا عليه بشئ من النظر
 في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من
 يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده
 واجبا (واما) المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع
 الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام
 هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه
 وبسبوطه في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا

(1) مشهورة. Man. A. et B.

(2) يفتاوت. Man. D.

نطول بذكره (وقد) كان الخلفاء الاولون لا يقلدونهم لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الأيذان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك بباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان حال الدولة الاموية من بعدهم استيثارا بها واستعظاما لرتبتها (يحكى) عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي الا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تاخيرها فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديانهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم (واما الفتيا) فللخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس والمدرّس الانتصاب لتعليم العلم وبشده والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ايمتها كما مرّ

فلا بد من استيذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون لكل احد من المفتيين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه من التصدي لما ليس له باهل فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد وفي الاثر اجراؤكم على الفتوى اجراؤكم على جرائم جهنم فالسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجبده الصالحة من اجازة او رد (واما القضاء) فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضاء في شئ الى سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضى الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاء وهي مستوفاة فيـد (اما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفذ بحق لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطبيع شرفك في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على

من ادعى واليمين على من انكر والصلاح جايز بين المسلمين
الا صلحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعنك قضاء قضيته
امس فراجعته اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان
ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
التمادي في الباطل الفهم فيما تاجاج في صدرك مما
ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس
الامور بنظايرها واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا
ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت
القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى
المسلمون عدول بعضهم في بعض الا مجلودا في حد او
مجريا عليه شهادة زور او ظنينا (1) في ولاء او نسب فان الله
سبحانه عفى عن الايمان ودرء بالبينات واياك والقلق
والضجر والتأقف بالخصوم فان استقرار الحق في موطن
الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى
كتاب عمر واتما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما
يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من
الجهاد والفتوحات وستد الثغور وحماية البيضة ولم يكن
ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية به فاستخفوا امر
القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به

(1) Man. A. et C. ظنيا. D. صينيا.

تخفيفا عن انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلّدونه اهل
عصبيتهم بالنسب او الولاء ولا يقلّدونه لمن بعد عنهم في
ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب
الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية لان القاضي انما
كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع
لهم بعد ذلك امور اخرى على التدرّج بحسب اشتغال
الخلفاء والهلوكت بالسياسة الكبرى واستقرّ منصب القضاء
آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء
بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المسجون
عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي
وصايا المسلمين وواقفهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء
على راي من يراه والنظر في مصالح الطرقات والابنية
وتصفّح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم
بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها
من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته (وقد) كان الخلفاء من قبل
يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة
من سطوة السلطنة ونسفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم
رهبة يقمع المظالم من الخصمين ويزجر المتعدّي وكان يبيحى
ما عجز القضاء او غيرهم عن امضائه ويكون نظره في
البيئات والتعزير واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم

الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصالح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضى وكان الخلفاء الاولون
يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدى من بنى العباس وربما
كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل على رضى الله عنه مع
قاضيده ابي ادريس الخولانى وكما فعله المامون ليحيى ابن
اكتم والمعتمد لابن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضى
قيادة الجهاد فى عساكر الصوايف وكان يحيى ابن
اكتم يخرج ايام المامون بالصايفة الى ارض الروم
وكذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من
بنى امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظائف
انما تكون للخلفاء او من يجعلون ذلك له من وزير
مفوض او سلطان متغلب (وكان) ايضا النظر فى الجرائم
واقامة الحدود مختصا فى الدولة العباسية والاموية بالاندلس
والعبيدية بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهى
وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة
فى الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل
ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة فى محلها ويحكمه فى
القود والتصاص ويقيم التعزير والتاديب فى حق من لم
ينته الى الجريمة ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين فى الدول

التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجع الى
السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت
وظيفة الشرطة قسامين منها وظيفة التهم على الجرائم واقامة
حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب
لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة
دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة
باسم الشرطة وبقى قسم التعازير واقامة الحدود فى الجرائم
الثابتة شرعا فجمع للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من
توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك
وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما
كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا
لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم
بالحلف او الرق او بالاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه
فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وظهرها وصار الامر
كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطة الدينية بعيدة عنه
بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم
خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من اسم
الترك والبربر فازدادت هذه الخطة الخلافية بعدا عنهم
بمنحائها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان
الشريعة دينهم والنبي على الله عليه وسلم منهم واحكامه

وشرايعه نحلتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك
 انما يولونها جانبا من التعظيم لما دانوا بالملة فقط فصاروا
 يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول
 الخلفاء السالفة وكان اولئك المتأهلون بما اخذهم ترف
 الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها
 والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن
 انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكية من بعد
 الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل
 الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بانسابهم
 وما هم عليه من الحضارة فاحققهم من الاحتقار ما يباحق
 الحضر المنغمسين في الترف والدعة البعدا عن عصبية
 الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في
 الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشريعة لها
 انهم الحاملون للاحكام المقتون بها ولم يكن ايتارهم في
 الدولة حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجمل
 بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم
 يكن لهم فيها من الحل والعقد شئ وان حضوره فحضور
 رسمى لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هو لاهل
 القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل ولا عقد لديه اللهم
 اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنعم والله

الموفق (وربما) يظنّ بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الهلوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجرى على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في مولاء لا تقتضى لهم بشئ من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لاعصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اى معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم شوراها فيما يعلمه من الاحكام فموجودة في الاستفتاء خاصة واما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الهلوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكرامهم ولا يتصفون

الا بالاقْل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضي الله عنهم
واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة اتصافا بها
وتحقيقا (1) بهذاهبها فمن حملها اتصافا وتحقيقا (2) دون
نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع
له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء
التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء
على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد
احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث
صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب
اقوال ينصها علينا في كفييات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء
عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (العدالة)
وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه وحقيقة هذه
الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم
وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتابا في
السجلات يحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر
معاملاتهم وانما قلنا عن اذن القاضي لان الناس قد اختلطوا
وخفي التعديل والجرح الا على القاضي فكانه انما ياذن
لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس امورهم ومعاملاتهم
وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من

(1) Man. C. تحققا.

(2) Man. تحققا.

الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة الاحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كأئهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه وإذا تعين هولاء لهذه الوظيفة عمّت الفائدة بهم في تعديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس فيها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي يتبئين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله سبحانه اعلم (الحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على
القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين
فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات
ويعززر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة
في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع
الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم
على اهل المباني المتعينة للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من
ضررها على السابلة والضرب على ايدي المتعلمين بالمكاتب
وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف
حكيمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل
الى علمه من ذلك ويرفع اليد وليس له ايضا الحكم في
الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في الهياش
وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل الهماطلين
على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة
ولا نفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها القضاء لعمومها وسهولة
اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها
على ذلك ان تكون خادمة له نصب القضاء وقد كانت
في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب
والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولى فيها
باختياره ثم لها انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار

نظرة عاما في امور السياسة فاندرجت في وظائف الهلك وانفردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فتوضع على الدينار او الدرهم بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر (1) ومذهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا اتفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم ويستقدونها بهماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تدخل في عيوم ولاية القضاء ثم انفردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة (هذا) آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف

(1) Man. A et B. النظر.

ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم عليها في مكانها بعد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه في غالب السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال وقد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة فقد اندرجت (1) رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في ساير الدول لهذا العهد والله مصرف الامور بحكمه

فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بوبع ابو بكر رضى الله عنه كان الصحابة وسائر المسلمين يستنونه خليفة رسول الله ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بوبع لعمر رضى الله عنه بعهدة اليه كانوا يدعونه خليفة رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه يتزايد فيما بعد دايبا الى ان ينتهي الى التهجئة ويذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى

(1) Man. A. et B. اندرست.

به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد ابن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ وانفق ان بعض الصحابة نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول اين امير المومنين وسمعتها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبحت والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه به وذهب لقباً له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سيرة لا يشاركهم فيها احد سواهم ساير دولة بنى امية (ثم) ان الشيعة خصوا علياً رضى الله عنه باسم الامام نعتاً له بالامامة التى هى اخت الخلافة وتعريضاً بمذهبهم فى انه احق بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولئن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمي بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا

يدعون ايتتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعاء له
وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه
السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون
لايئة من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله
المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابى القسم من
بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المؤمنين
وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه
ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا
اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز
والشام والعراق والمواطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة
واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب
اخر للخلفاء يتييز به بعضهم عن بعض لها فى امير المؤمنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا
لاسائهم الاعلام عن امتهاها فى السنة السوقة وصونا لها عن
الابتدال فتلقبوا بالسفاح والنصور والهادى والمهدى والرشيد
الى آخر الدولة واقتفى اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية
ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجرى مع
العضاضنة والسذاجة لان العروبية ومنازعتها لم تفارق حينئذ
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما
بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما عملوه من انفسهم من

التصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز أصل العرب والهلّة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم إنما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بنى العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم وهو الناصر بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لأول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيشتهم فى الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسيل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسمى بامير الهمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهبا لئن عند ولم يكن لابائه وسلف قومه واستهتر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجتمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنابع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنى امية واقتسموه واقترب امر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق فى الاختصاص باللقاب بعد ان تسدوا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بالقباب تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد

الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون ايضا يخصصون بها امراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلفاء قنعوا بهذه الالقباب وتجاؤوا عن القاب الخلافة ادبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون من اعاجم المشرق حتى قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى استحلال الالقباب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة الى القاب كانوا يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين (واما ملوك الطوائف بالاندلس) فاقسموا القاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والهظفر وامثالها كما قال ابن شرف يعنى عليهم ذلك

مما يزمه نى في ارض اندلس اسما معتد فيها ومعتصد
القاب مملكة في غير موضعها كالهز يحكى انتفاخا صورة لاسد

وقد مر ذكرها (واما صنهاجة) فاقترضوا على الالقباب التي كان خلفاء العبيديين يلقبونهم بها للتنويه مثل نصير الدولة

وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادلوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعد الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شأن مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الألقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاينة (ولما) محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخير والافتداء نزعته حمته الى الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخطب المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطالبان توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة له على المغرب واستشعار زعيمهم في لبوسه ورايته وخطبه فيد بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقباً ويقال انه كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من استحصال الدين واتباع السنة (وجاء المهدي) على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التاويل لطواهر الشريعة وما يؤل اليه ذلك كما هو معروف من مذاهب الاشعرية وسبى اتباعه

الموحددين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم وادف بالمعصوم اشارة الى مذهبه في عصمة الامام وتنزه عنده اتباعه عن امير المؤمنين اخذا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولها فيها من مشاركة الاغهار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب ثم انتحل عبد المؤمن ولى عهده اللقب بامير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بنى عبد المؤمن وآل ابي حفص بافريقية من بعدهم استيثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم اليهودى من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم (ولها) انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسداجمة واتباع لمتنوسة في استحلال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبنى عبد المؤمن اولا ولبنى ابي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا في منازع الهالك وتسييسها لمذاهب وسياته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الامة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الامة لا بد من قائم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيد للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم وينزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والامة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعاً لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعاً وكرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجد الشوكة من القايمين بها اليها معا (واما) ما سوى الامة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً الا في الاهداف فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالغرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية بها فيها من الطالب للملك بالطبع كما قدمناه لانهم مكثفون بالتغلب على الاسم كما في الامة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقى بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليها نحو اربعماية سنة لا يعتنون بشيء من امر الملك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان القايم به

بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيده ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم في الدين وابعده عن شغب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحسنت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله ببيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله وسلامه عليه فحاربتهم امم الفلسطينيين والكنعانيين والارمن (1) واذوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو اربعماية سنة ولم يكن لهم صولة الملك وخبجر بنو اسرائيل من مغالبة الاسم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم في تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الاسم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد

(1) Man. B. الارم.

سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة وكبرى ملكهم عبطية وقد خربت من لدن بخت نصر والاخرى بالقدس لبنى يهوذا وبنى يامين ثم غلبهم بخت نصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اول الاسباط العشرة في عبطية ثم ثانيا بنى يهوذا ببيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب مسجدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم للكهنونية (1) فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنونية (2) الذين كانوا فيهم من بنى حشيناى وقاتلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهار بلسى حشيناى وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وافحشوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس

(1) الكهنة. Man. C. et D.

(2) الكهنة. Man. C. et D.

واجلوسهم عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثانى
 للمسجد ويسميه اليهود الجاوة الكبرى فلم يقيم لهم بعدها
 ملك لتقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك فى ملكة
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس المسمى بالكوهن
 وكان المسيح صلوات الله وسلامه عليه لما جاءهم بما جاء
 به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يده الخوارق العجيبة من ابراء المعنوه واحياء الموتى واجتمع
 عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه
 وكانوا اثنى عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى
 ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفى مدة
 هيردوس ملك اليهود التى انتزع الملك من بنى حشمنائى
 اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم
 ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم فى قتله ووقع
 ما تلاه القران من امره وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم
 الى بلاد الروم داعين الى دين النصرانية (وكان بطرس كبيرهم
 فنزل برومة دار ملك القياصرة (ثم كتبوا الانجيل الذى
 انزل على عيسى صلوات الله عليه فى نسخ اربع على
 اختلاف رواياتهم فكتب متا انجيله فى بيت المقدس
 بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطينى
 وكتب لوقا منهم انجيله باللطينى لبعض اكابر الروم وكتب

يوحنا بن زبدي انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحوارتين وغالبها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا (واجتمع) الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الهلة النصرانية وحيروها بيد اقليدس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القصة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بريا يوميين وكتاب اليعاقبيين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يوشع بن شارح وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب القناليقون سبع رسائل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليدس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالبسيس (I) وفيه روبا يوحنا بن زبدي

(واختلف) شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمرّوا عليها (وكان) صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من اسم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نايب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع (وكان) بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اربوس (وكان) مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قسما على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من الهومنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس (ثم) لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين وانفق ثلثماية وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه

الامانة وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك
القايم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسمة كما
قرره حنايا تلميذ مرقس وابطل ذلك الراى وانما يقدم عن
ملاء واختيار من ائمة المومنين وروسائهم فبقى الامر ثم اختلفوا
بعد ذلك في قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره
ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل
فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك
بالاب تعظيما له فصار الاقسمة يدعون الاسقف فيما ناب عن
البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة
يقال اخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك
عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه
كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليده الى الآن (ثم
اختلف النصارى في دينهم بعد ذلك وفيها يعتقدون في المسيح
وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على
صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى
ان استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقتهم ولا يلتفتون الى غيرها
وهم الهلكية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نستخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على السجيلة معروفة وكلها

كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يسبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال إنما هو الإسلام أو الجزية أو القتل (ثم) اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم الهسبي بالبابا على رأى الهلكية ورومة للأفرنجية وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بهصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيتهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينيون عنه فى اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بساين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة من مذاهب البابا عند الأفرنجية انه يحضهم على الانقياد لهلك واحد يرجعون اليه فى اختلافهم واجتماعهم تخرجنا من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبية التى لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسميونه الانبرطور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمتين ويباشره بوضع التاج على راسه للتبرك فيسمى التتوج ولعله معنى لفظة الانبرطور هذا ما يخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين اللذان هما البابا والكوهن والذ يضل من يشاء ويهدى من يشاء

1. m Q

ʿAbd al-Rahimāu ibn Muḥammad, called
Ibn Khaldūn

(مقدمة ابن خلدون)

PROLÉGOMÈNES D'EBN-KHALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE,

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER. — DEUXIÈME PARTIE.

ORIGINAL TITLÉ = MUKADDIMA



PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
RUE DU CLOÎTRE SAINT-BENOÎT, 7.

M DCCC LVIII.

مقدّمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN.

DEUXIÈME PARTIE.

فصل فى مراتب الملك والسلطان والقابها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khal'doun.

اعلم ان السلطان فى نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا فلا بد
له من الاستعانة بابناء جنسه واذا كان يستعين بهم فى
ضرورة معاشه وسائر مؤنه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاذ
الله فى خلقه وعباده وهو محتاج الى حياية الكافة من عدوهم
بالمدافعة عنهم والى كفى عدوان بعضهم عن بعض فى انفسهم
بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكفى العدوان عنهم فى اموالهم
حتى باصلاح سابلتهم والى حيايتهم على مصالحهم وما تعدّهم
به البلوى فى معاشهم ومعاملاتهم من تفقّد الهيايش والمكائيل

TOME I. — II^e partie.

1

لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه
فالأحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها
في سائر وجوهها لعدم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال
العباد فالفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدهما
استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان او تفويضا منها وهو
معنى الوزارة عندهم كما ياتي في حدود نظره في الأحكام
والاموال وسائر السياسات مطلقا او مقيدا وفي موجبات
العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان
وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من
وزارة او جباية او ولاية لا بد للفقيه من النظر في جميع
ذلك لما قدمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعية في
الملك الاسلامي على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في
وظائف الملك والسلطان ورتبه انما هو بمتنصتي طبيعة العيران
ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض
كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية
مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل
كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام
الفتهاء فان اردت استيعابها فعليك بباطعتها هنالك وانما
تكلفنا (1) في الوظائف الخلافية وافردناها لتمييز بينها وبين

(1) Man. B. تكلفنا.

الوظائف السلطانية فقط لا لنحقق (1) احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا فاننا انما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق (الوزارة) وهي ام الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة اما من الموازرة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره وانقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدّمنا في اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة انحاء لانها اما ان تكون في امور حياية الكافة واسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان والزمان وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في امور جبايته للمال وانفاقه وضبط ذلك من جبيع وجوهه ان يكون بيضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والحباية وهو اليسبي بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان تكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عند ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن سبته وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجه فلا تعدو احواله

(1) لتحقيق D. لتحقيق A. et B. تحقيق

هذه الاربعة بوجه وكل خطّة او رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها ترجع الا ان الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامّة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف الذي هو يقتضى مباشرة السلطان دايمًا او مشاركته في كل صنف من احوال ملكه واما ما كان خاصًا ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغراو ولاية جباية خاصة او النظر في امر خاص كحسبة الطعام او النظر في السكّة فان هذه كلها نظر في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعًا لاهل النظر العام وتكون رتبته مرسّسة لاوثك وما زال الامر في الدول قبل الاسلام هذا حتى اذا جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعي من المعاونة بالراى والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان على الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهتماته العامّة والخاصة ويختصّ مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقيصر والنجاشى يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لخط الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر وعلى وعثمان مع غير واما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان التوم كانوا عربا

أقبيين لا يحسنون الكتاب ولا الحساب فكانوا يستعملون
 فى الحساب أهل الكتاب أو أفرادا من موالى العجم ممن
 يجيده وكان قليلا فيهم وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لأن
 اللامية كانت صفتهم التى امتازوا بها وكذا حال المخاطبات
 وتنفيد الأمور لم يكن عندهم رتبة خاصة للامية التى فيهم
 والأمانة العامة فى كتمان القول وتاديتد ولم تحرج السياسة
 الى اختياره لأن الخلافة إنما هى دين وليست من السياسة
 الملكية فى شئ وإيضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد
 للخليفة أحسنها لأن الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بأبلغ
 العبارات ولم يبق إلا الخط فكان الخليفة يستنيب فى
 كتابه متى عن له من يحسنه وأما مدافعة ذوى الحاجات
 عن أبوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت
 الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقائد كان أول
 شئ بدئ به فى الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور
 لما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم
 كما وقع بعمر وعلى وبعواوية وعيرو بن العاص وغيرهم مع
 ما فى فتوح من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن
 المهمات فأتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب
 وقد جاء أن عبد الملك ليا ولى حاجبه قال له وليستك
 حجابة بابى إلا عن ثلاثة اليهودن للصلاة فإنه داعى الله

وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد (ثم) استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين فى امور القبائل والعصايب واستيلاهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان فى الهولى والذمتين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطه على ساير اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومد ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذى هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا ساير دولة بنى امية فكان النظر للوزير عامًا فى احوال التفويض والمفاوضات وساير امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر فى ديوان الجند وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شان الوزير وصار اليد النيابة فى انفاذ الحل والعقد وتعيينت مرتبته فى الدولة وضت لها الوجوه ونصعت الرقاب وجعل له النظر فى ديوان الحسبان لما تحتاه اليه خطته من قسم الاعطيات فى الجند فاحتاج الى النظر فى جمعه وتفريقه واصيف اليه النظر فيد ثم جعل له النظر فى القلم والترسيل لاصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لها كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل النحاتم لسجلات السلطان ليحفظها من

الذباغ والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطّتي
السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى
جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عند من المرانب السلطانية كلها
الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستكفاه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن
الاستبداد على الخلفاء (1) وتعاور فيها استبداد الوزراء مرة
والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة
الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وتجري على
حاليها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ
وعى حال ما يكون السلطان قايما على نفسه والوزير كالوكيل
فى تنفيذ احكامه والى وزارة تفويض وعى حال ما يكون
الوزير مستبدا عليه وقد فوض اليه الخليفة جميع امور خلافته
وجعلها نظره واجتهاده وجرى حينئذ الخلاف فى العقد
لوزيرين معا بوزارة التفويض مثل ما جرى من العنصر لاسامين
سعا وقد تقدم فى الاحكام الخلافية ثم استمر الاستبداد
بصار الامر لبلوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن
لولاك المتغلبين ان ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من
مشاركة الوزراء فى اللقب لانهم حول لهم فسموا بالامارة

(1) Man. C. et D. السلطان

والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او بالسلطان الى ما يحل به الخليفة من القاب كما نراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصار صناعة يتحلها بعض الناس فامتدحت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليس تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير (واختص) اسم الامير بصاحب الحروب والجنود وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما نيابة او استبدادا واستمر الامر على هذا (ثم) جاءت دولة الشرك اخرها بمصر فراوا الوزارة قد ابتدلت بترفع اولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك معتق بنظر الامير فصارت مروسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجنود يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحباية (واما دولة بنى امية بالاندلس فابقوا اسم الوزير (1) في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا الحسبان المال وزيرا والترسل

(1) Man. A. et B. الوزارة.

وزيرا وللنظر فى حوائج المتظلمين وزيرا وللنظر فى احوال
اهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش
منصدة لهم وينفذون امر السلطان هنالك كل فيما جعل له
وافراد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم
بباشرة السلطان فى كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم
فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على ساير الرتب حتى صار
ملوك الطوائف يتسجلون لقبها فأكبرهم يومئذ يسمى
الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة بافرى بقرية والقيروان)
وكان للثائمين بها رسوخ فى البداوة فاغفلوا امر هذه الخطط
اولا وتسخيخ اسمائها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا
الى تقليد الدولتين قبلهم فى وضع اسمائها كما نراه فى اخبار
دولتهم ولما جاءت دولة الوجوديين من بعد ذلك اغفلت
الامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال الاسماء واللقاب
وكان اسم الوزير فى مدلوله ثم انبعوا دولة الامويين وقلدها
فى مذاهب السلطان واصاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان
فى مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند
الحدود فى تحييتهم وخطابهم وآداب الشئ تلتزم فى الكون
بين يديد ورفعوا خطة الحجابة عند ما شاؤا ولم يزل الشأن
ذلك الى هذا العهد (واما فى دولة الترك بالپشرق فيسبون

هذا الذى يقف بالناس على حدود آداب فى اللقاء والتحية فى مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين يديده يسهونه الدوادر ويضيفون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البرد المتصرفين فى حاجات السلطان بالقاسية وفى الحضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والدمتمولى الامور (والحجابه) قد قدمننا ان هذا اللقب كان مخصوصا فى الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفتحهم لهم على قدره وفى مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا لسائر ايام بنى العباس والى هذا العهد ففى عصر مرؤسة اصحاب الخططة العليا المسمى بالنايب واما فى دولة بنى امية بالاندلس فكانت الحجابه لمن يحجب السلطان عن الخاضعة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت فى دولتهم رفيعه غاية كما تراه فى اخبارهم كابن حدير وغيره من حجابهم ثم لها جاء الاستبداد على الدولة اختص الاستبداد باسم الحجابه لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناءه كذلك ولما بدوا فى مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكان يعدونه شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتحال القاب الملك واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذى الوزارتين يعنون به السيف والقلم

ويدلون بالحجاجة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة
وبذى الوزارتين على جهده لخطتى السيف والقلم ثم لم يكن
فى دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للبدواة التى كانت
فيهم ورتبها يوجد فى دولة العبيديين بمصر عند استغلاظهما
وحضارتها الا انه قليل ولما جاءت دولة الموحدين لم تستكن
فيها الحضارة الداعية الى انتحال اللقب وتمييز الخطط
وتعيينها بالاسماء الاخرى فلم يكن عندهم من الرتب
الا الوزير فكانوا اولاً يختصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف
المشارك للسلطان فى خاص امره كابن عطية وعبد السلام
الكومى وكان له مع ذلك النظر فى الحساب والاشغال
الهلية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من
الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفاً
فى دولتهم يومئذ (واما) بنو ابي حفص بافريقية فكانت الرياسة
فى دولتهم اولاً والتقدم لوزير الراى والمشورة وكان يختص
باسم شيخ الموحدين وكان له النظر فى الولايات والعزل
وقود العساكر والحروب واختص الحساب والديوان برتبة
اخرى سمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق
فى الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب
على التفريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص
عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار

لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين في داره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجربها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في الهطابيح والاسطبلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصّوه باسم الحاجب وربما اضافوا له كتاب العلامة على السجلات اذا اتفق ان يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السنين والحرب ثم الراي والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حافدد السلطان ابو العباس على نفسه وازهد آثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة الجباية التي كانت سلما اليد وباشرا موزة كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر في ذلك لهذا العهد (واما) دول زناتة بالمغرب واعظمها دولة بنى مرين فيلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسايل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت من

المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق وأما باب
السلطان وحجب عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها
بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادة المتصرفين بباب
السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته
وحفظ المعتقلين في سجونهم والعريف عليهم في ذلك
فالباب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة
راجع اليه فكان وزارة صغرى (وأما) دولة بنى عبد الواد
فلا اثر عندهم لشيء من هذه الألقاب ولا تمييز الخطط لبدائة
دولتهم وقصورها وإنما يختصون باسم الحاجب في بعض
الأحوال منغذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة
بنى ابي حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجلات كما
كان فيها حاصلهم على ذلك تقليد الدولة كما كانوا في
بيعتها وقايدين بدعوتها منذ اول امرهم (وأما) اهل الاندلس
لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان
وساير الامور المالية يسوئونه بالوكيل وأما الوزير فكان الوزير لا انه
قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على
السجلات كلها فليس هناك خطه للعلامة كما لغيرهم من
الدول وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم
موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم الترك ينفذ الاحكام
بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم

تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنايب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويثبتها وينفذ اموره ومراسيه كما بنفذ اليراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان والحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجنود عند الترافع اليهم واجبار من لا يتقاد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم تصريفها في الايفاقات السلطانية او الجبايات المقدرة ولد مع ذلك التولية والعزل في ساير العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوايدهم ان يكون هذا الوزير من صفى القبط القايمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابنائهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو

ديوان الاعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على

اعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخروج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم فى اباناتها والرجوع فى ذلك الى القوانين التى يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهد بتفاصيل ذلك فى الدخل والخروج مبنى على جزء كبير من الحسابان لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العتال والمباشرين لها ويقال ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون مع انفسهم كانوا يحادثون فقال ديوانه اى مجانيين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقبل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتعنتين للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشيطان بالفارسية وسمى الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم فى فهم الامور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما ياتى بعده وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر فى ساير هذه الاعمال وقد يفرد كل صنف منها بناظر كما يفرد فى بعض الدول النظر فى العساكر واقطاعاتهم

وحسبان اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصطاح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في اعطاف الملك وفتون التمهيد واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر رضى الله عنه يقال بسبب مال اتى به ابو هريرة من البحرين استكثروه وتعبوا في قسمه فسيوا الى احصاء الاموال وعبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رابت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما راه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف منهم اخل (1) بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فائت لهم ديوانا وسال عمر عن اسم الديوان ففسر له ولما اجمع على ذلك امر عقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتديا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهرى عن سعيد ابن المسيب ان ذلك كان فى المحرم سنة عشرين واما ديوان الخراج والجبايات) فبقى بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل

(1) Man. C. et D. اخل.

ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب
الدواوين من اهل العهد من الفريقين فلما جاء عبد الملك
بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غصاصة
البداءة الى رونق الحضارة ومن سذاجة الامية الى حذق
الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب
والحساب فامر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن
لعهده ان ينقل ديوان الشام الى العربية فاكمله لسنة من
يوم ابتداءه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال
لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها
الد عنكم (واما ديوان العراق) فامر الحجاج كاتبه صالح بن
عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولحق ذلك عن
زادان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زادان في حرب
عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه
وامره ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم
لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول
لده در صالح ما اعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه
الوظيفة في دولة بني العباس مضافة الى ما كان له النظر
فيده كما كان شان بنى برمك وبنى سهل بن نوبخت
وغيرهم من وزراء تلك الدولة فاما ما يتعلق بهذه الوظيفة من
لاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل

والخراج او تمييز النواحي بالصالح والغنوة وفي تقليد هذه الوظيفة مهم يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فامر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهى مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذى نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هى ثالثة اركان له لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لهن غاب عند فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان فى امر السيف وامر القلم وامر المال فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة الملك وكذلك كان الامر فى دولة بنى امية بالاندلس والطوايف بعدهم واما فى دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين مستقل بالنظر فى استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفى مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان ربها يليها فى الجهات غير الموحدين ممن يحسنها ولسيا استبد بنو ابي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل فى ذلك بالاندلس مثل بنى سعيد اصحاب التلعة جوار غرناطة المعروفين بنى ابي الحسين فاستكفوا بهم فى ذلك وجعلوا النظر لهم فى الاشغال كما كان لهم بالاندلس واولوا

فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسبان
والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلظ امر الحاجب
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم
وصار صاحبه مرؤسا للحاجب واصبح من جملة الجباة
وذهبت تلك الرياسة التي كانت له في الدولة واما في
دولة بنى مرين لهذا العهد فحسبان الخرج والعطاء مجموع
لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها
ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان او الوزير
ونخطه معتبر في صحة الحساب في العطاء والخراج هذه اصول
الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة
النظر ومباشرة للسلطان واما هذه الرتبة في دولة الترك
فمتنوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش
وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال
لان النظر في الاموال عندهم يتشعب الى رتب كثيرة لانفساح
دولتهم وعظيم سلطانهم واتساع الاموال والجبائيات عن ان
يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية (1)
مبالغة فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو
مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان واهل عصبيتهم

(1) Man. A. الكتاب. B. الكتابة.

وارباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويبتعد
جهده في متابعتها ويسمى عندهم استاذ الدار وهو احد الامراء
الاكابر في الدولة من الجند وارباب السيوف وتتبع هذه
الخطة عندهم خطط اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسبان
مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر
لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه او سهمانه من
اموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من اموال المسلمين
العامة التي لنظره وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان كان
الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه وناظر
الخاص ايضا تحت يد الخازن لاموال السلطان من مما يكد
المسمى خازن دار لاختصاص وظيفته بمال السلطان الخاص
به هذا مسمى هذه الخطة في دولة الترك بالمشرق بعد ما
قدمنا من امرها بالمغرب والله مصروف الامور لا رب غيره

ديوان الرسايل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك بطبيعته لاستغناء كثير
من الدول عنها راسا كما في الدول العريقة في البدو التي
لم ياخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنایع وإنما اكد
الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي
والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يودى كنه

الحاجة بابلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من اهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وامراء الصحابة بالشام والعراق لعظيم امانتهم وخلص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت) عند بنى العباس ربيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقا ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يعمس في طين احمر مذاق بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته اولا واخرا على حسب الاختيار في سجلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكاتب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع في آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار امرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لما سلف من امرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابته ذلك بخط يضعه ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فياتهر الكاتب له ويضع

العلامة المعنادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا بامرہ قايما على نفسه في رسم الامر للكاتب ليضع علامته (ومن خطط الكتابة التوقيع) وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكاما والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان يصدر كذلك واما ان يحدوا الكتاب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيع (وقد) كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى القصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلاغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفتونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول واعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد وان ينتخير من ارفع طبقات الناس واهل الهروة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس السلاوك ومقاعده احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل ومع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف

لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصبية فيختص السلطان اهل عصبية بخط دولته وسائر رتبة فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فاما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه الطبقة لما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا ان يكون يد اخر من اهل العصبية عالية على يده ويكون نظره منصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالشرق فان رياسة الكتابة عندهم وان كانت لصاحب الانشاء الا انه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدويدار تعويل السلطان ووثوقه به واستنামته في غالب احواله اليه وتعويله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وغير ذلك من توابعها (واما) الشروط المعبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي هذه اما بعد) حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اخيافا (1) وان كانوا

في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب
المحاولات الى اسباب معايشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم
معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والسرورة
والعلم والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها
وينصايحكم يصاح الله للخلاق سلطانهم ويعمر بلدانهم
لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كافٍ لاكم فموقعكم من
الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها
يبصرون والستهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها
يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع
عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات
كلها احوج الى اجتياح خلال الخير المحمودة وخصال الفضل
المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في
هذا الكتاب من صفتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج
منه صاحب الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما
في موضع الحلم فهما في موضع الحكم ومقداما في موضع
الاقدام ومحسبا في موضع الاجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف
كثوما للاسرار وفيما عند الشدايد عالما بما ياتي من النوازل
يضع الامور مواضعها والطوارق اماكنها قد نظر في كل فن
من فنون العلم فاحكمه فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما
يكتفي به يعرف بعريزة عقله وحسن اديه وفضل تجربته ما

يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدره فيعدّ لكل امر عدته وعتاده وبهوى لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقّهوا في السدين وابدؤا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثم العربية فانها ثغاف السنتكم ثم اجدوا الحظّ فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسوموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطالع سنيها اودنيها وسفساف الامور ومحارها فانها مدلّة للرقاب مفسدة للكتاب ونزّهوا صناعتكم عن الدنائات واربوا بانفسكم عن السعاية والنيمة (1) وما فيد اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عزّ وجلّ في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البق باهل الفصل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى ترجع اليه حاله ويشوب اليه امره وان اقعده احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط

(1) Man. C. النهمة.

منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدا فلا يصفها
الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فيحملها هو من دونه
وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغيير الحال فان العيب
اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه
لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من
نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له
من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره
وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويقصد ذلك بفعله عند
الحاجة اليه ولا يضطر الى ما لديه فاستشعروا ذلك
وقتكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحرمات
والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعيت الشبهة هذه لمن
وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم
او صير اليه من امر خلق الله وعياله امرا فليراقب ربه عز وجل
وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا والمظلوم منصفا
فان الخلق عيال الله واحببهم اليه ارفعهم بعيله ثم ليكن
بالعدل حاكما ولا اشراف مكرما وللثقى موفرا وللبلاد
عامرا وللرعية متألّفا وعن اذاعم متحلّفا وليكن في مجلسه
بتواضعا حليبا وفي سجلات خواجه واستقصاء حثوقه رفيقا
واذا صحب احدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرس
حسنها وقبّحها اعانه على ما يوافق من الحسن واحتمال

أصرفه عيّا يهواه من القبيح بالظف حيلة واجمل وسيلة
وقد علمتم ان سايس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها
القيس معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجمها اذا ركبها
وان كانت شبيوبا اتقاها من قبل يديها وان خاف منها
شرودا توقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا قيع برفق
هواها في طرقها وان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها
وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس
وعاملهم وخدمهم وداخلهم والكاتب بفضل ادبه وشريف
صنعتة ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناطر
ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته
وتقويم اوده من سايس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف
صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب
عليها فارتقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من
الروية والفكر تامنوا باذن الله ممن صحبتوه النبوة والاستئصال
والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة
والشفقة ان شاء الله تعالى ولا يجاوزن الرجل منكم في همة
مجلسد وملبسد ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه (1) وخدمه وغير
ذلك من فنون امره قدر حثت فانكم مع ما فضلكم الله بد
من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير

(1) ثيابه Man. D.

وحفظة لا تحتمل منكم افعال التصيير والتبذير واستعينوا على عفافكم بالتصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا مآل السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعتبران الفخر وبذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب وللأمور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على موتى اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير او صحها محجة واصدقها حجة واحدها عاقبة واعلموا ان للتبذير آفة متلثة وهو الوصفى الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليتصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقته وليوجز فى ابتدائه وجوابه ولياجز بهجامع حججه فان ذلك مصالحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداداه بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المتر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذى برز من جليل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كافي وذلك على من تأمله غير خافى ولا يقتل احد منكم انه ابصر بالأمور واحمل لعبء (1) التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته

(1) Man. A et B. لعبث.

فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من روى بالعجب وراء ظهره وراى ان صاحبه اعقل منه واحمد فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برايه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العيل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلدلك جعلته آخرة وتميمته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه فى اسعاده وارشاده فان ذلك اليه ويديه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (الشرطة) ويسمى صاحبها لهذا العهد بالفريقية الحاكم وفى دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفى دولة الترت الوالى وهى وظيفة مروسة لصاحب السيف فى الدولة وحكمه نافذ فى صاحبها بعض الاحيان وكان اصل وضعها فى الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم فى حال استبرائها اولاً ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض فى الجرائم لانظر للشرع كالا فى استيفاء حدودها وللسياسة النظر فى استبراء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرابين لما توجب المصاحبة

العامّة فى ذلك فكان الذى يقوم بهذا الاستبراء وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضى يسمى صاحب الشرطة ورتبوا جعلوا اليه النظر فى الدماء والحدود باطلاق وافردوها من نظر القاضى وتوهوا بهذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصّة من مواليتهم ولم تكن عامّة التنفيذ فى طبقات الناس انما كان حكيه فى الدهماء واهل الريب والضرب على يد الدعار والفجرة ثم عظمت نباحتها فى دولة بنى امية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصّة والدعماء وجعل له الحكم على ذوى المراتب السلطانيّة والضرب على ايديهم فى الظلمات وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامّة ونصب لصاحب الكبرى كرسى بباب دار السلطان ورجل يتبوون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا فى تصريفه وكانت ولايتها للكاثر من رجال الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابه واما فى دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التثويه وان لم يجعلوها عامّة وكان لا يليها الا رجال الموحدين وكبراهم ولم يكن لهم التحكم على اهل المراتب السلطانيّة ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن ولاية رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما فى

دولة بنى مرين لهذا العهد بالمغرب فولايتها فى بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفى دولة الترك بالمشرق فى رجالات الترك واعقاب اهلا الدولة قبلهم من الكرد يتخبرونهم لها فى القطرين بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء فى الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم اسباب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعهم مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية الصالح العامة فى المدينة والده متلب الليل والنهار لا اله الا هو

قيادة الاساطيل

وحى من مراتب الدولة وخططها فى ملك المغرب وافريقية ومروسة لصاحب السيف وتحت حكمه فى كثير من الاحوال ويسى صاحبها فى عرفهم باسم الملند بتفخيم اللام منتقلا من لغة الافرنجة فاند اسمها فى اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه الرتبة بملك افريقية والمغرب لانها جيبها على عنق البحر الرومى من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى اسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومى والبحر الشامى نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسين هذا البحر وسواحل

من عدوتيه يعانون من احواله ما لا تعانيه امة من امم البحار وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من ايديهم امرها وكان لهم بها المدن المحافلة مثل قرطاجنة وسبيلنة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفايد معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاوعز حينئذ بين المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفجة بن هرونم الازدي سيد بجيلة لما اغزاه عمان فبلغه فانكر عليه وعنفه اند ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعداؤه والسبب في

ذلك ان العرب لبدأوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في الثقلب على اعادة مرثوا عليه واحكموا الدربة بثقافته فاما استقر الملك للعرب وشخ سلطانهم وصارت امم العجم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوائية في حاجاتهم البحرية اما وتكررت (1) ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فشرهوا الى السجها فيد وانشوا السفن والشوانى وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من اسم الكفر واختصوا بذلك من مياكهم وتغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى صنفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن العبان عامل افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم السجها ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتنيا وفتح قوصرة ايضا فى ايامه بعد ان كان معاوية ابن خديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يده وفتحت على يد ابن الاغلب وقايدده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك

(1) Man. C. تقررت.

اساطيل افريقية والانديلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهما في سبيل الغننة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس الى ايام عبد الرحمن الناصر الى مايتى مركب او نحوها واسطول افريقية كذلك نحوه او قريبا منه (وكان) قايد الاساطيل بالاندلس ابن وماحس ومرفاها للحط والاقلاع بجاية والمريسة وكانت اساطيلها مجتعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورأس يدبر امر جريته بالريح او بالمجازف وامر ارسايه في مرفائه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفاءها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلا طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجهتهم وينتظر اياهم بالفتح والغنمة وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم في شئ من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكو سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنرقة ويابسة وسردانية وصقلية

وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والفرنج وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فنقلب بالظفر والغنيمة (وافتح) مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في اساطيله سنة خمس واربعماية وارتجعها الصاري لوقتها والمسلمون خلال ذلك كد قد تغلبوا على الاكثر من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم فيه جائية وذاجبة والعساكر الاسلاميّة تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشماليّة فتوقع بملوك الفرنج وتشنخ في ممالكهم كما وقع في ايام بنى ابي الحسين ملوك صقلية الثائنين فيها بدعوة العبيديين وانحازت اسم النصرانية باساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء لاسد بفرسته وقد ملات الاكثر من بسيط هذا البحر عدّة وعديدا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تسبح للنصرانية فيد الواح حتى اذا ادركت الدولة العبيديّة والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مدّ الصاري ايديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان

وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس ونوا عليها كنيسة لظهر دينهم وعبادتهم وغلبوا بنى خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزى ثم ملكوا المهديّة مقرّ ملك العبيديّين من يد اعقاب بلكين بن زيبرى وكانت لهم فى الماية الخامسة الكثرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل فى دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعنوا بشئ من امرد لهذا العهد بعد ان كان لهم به فى الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحدّ كما هو معروف فى اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربى من هذا البحر لذلك العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدوّ ولا كانت لهم به كثرة فكان قايد الاسطول لعهد لمتونة بنو ميمون رساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد الهومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى الهاية من بلاد العدوتين جيعا ولما استفحلت دولة اليهودين فى الماية السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قايد اساطيلهم احمد الصقلى اعلمه من صدغيان الموطنين (1) بجزيرة جربة من سدوبكش (2) اسره النصارى من

(1) الموطنين. Man. D.

سدوبكش. D. سدوبكش. Man. C.

سواحلها ورعى عندهم واستخاضه صاحب صقلية واستكفاه
ثم هلك وولى ابنه فاستخطه ببعض النزعات وحشى على
نفسه فالحق بتونس ونزل على السيد بها من بنى عبد
المومن واجاز الى مراكش فتلقيه الخليفة يوسف القسرى بن
عبد المومن بالهجرة والكرامة واجزل له الصلة وقلده امراساطيله
فجلى فى جهاد امم النصرانية وكانت له آثار ومقامات
مذكورة فى دولة الموحدين وانتهت اساطيل المسلمين على
عهده فى الكثرة والاستجادة ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد
فيما عهدناه (ولما) قام صلاح الدين يوسف بن ايوب ملك
مصر والشام لعده باسترجاع غور الشام من يد الامم النصرانية
وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تتابعت
اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة
لبيت المقدس الذى كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد
والاقوات ولم تقاوسهم اساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم
فى ذلك الجانب الشرقى من البحر وتعدد اساطيلهم
فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هنالك
كما اشرنا اليه قبل فاوفد صلاح الدين على يعقوب المنصور
سلطان المغرب لعده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن
منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر وكان ملكها من
ايدىهم وابقى عليهم فى دولته فبعث عبد الكريم هذا منهم

الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتحول فى البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرادهم من امداد النصرانية بثغور الشام واصحبه كتابه اليه فى ذلك من انشاء الفاضل البيسانى يقول فى افتتاحه فتح الله لحضرة سيدنا ابواب المناجح والميامن حسبا نقله العباد الاصبهانى فى كتاب الفتح القدسى فنقم عليهم المنصور تجافيهم عن خطابه بامير المؤمنين واسرها فى نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفى هذا اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية فى الجانب الشرقى من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده بشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدول ولما هلك يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجوا المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التى بالجانب الغربى من البحر الرومى قويت ويحهم فى بسيط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيد اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابى الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيله كانت عند مراده للجهاد فى مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة

المسلمين في الاساطيل لضعف الدول ونسيان عوائد البحر
بكثرة العوايد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع
النصارى فيد الى دينهم المعروف من الدربة فيه والهران
عليه والبصر باحواله وغلب الامم في لجة وعلى اعواده وصار
المسلمون فيد كالاغانب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية
لهم الهران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة
من الدول تستجيش لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض
مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدول المغربية محفوظة
والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لما
عساه تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد
البحرية والمسلمون يستهونون الرياح على الكفر واحله فمن
المشتهر بين اهل المغرب عن كتب الحدثنان انه لا بد
للمسلمين من الكثرة على النصارية وافتتاح ما وراء البحر
من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله وليّ
المؤمنين

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين
بها على امره الا ان الحاجة الى السيف في اول الدولة ما

دام اهلها في تمهيد امرهم اشد من الحاجة الى القلم اذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيوف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقال اهلها بيا ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بارباب السيوف ويقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيدها فتكون للسيوف مزية في الحاليتين على القلم ويكون ارباب السيوف حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء عن السيوف لانه قد تنهد امره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو اليعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع غيودها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فيكون ارباب الاقلام في هذه الحالة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه حينئذ آلة التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتنقيف اطرافه واللباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ داخل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السلطان

حذرين على انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب
به ابو مسلم للمصور حين امره بالقدوم اما بعد فانه مما
حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت
الدهماء سنة الله في عباده

فصل في اشارات الهلك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان اشارات واحوالا تقتضيها الالبهة والبذخ
فيختص بها ويتييز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر
الروساء في دولة فنذكر ما هو مشتهر منها ببلغ المعرفة
وفوق كل ذي علم عليم (آلة) فمن اشارات الهلك اتخاذ
آلة من نشر الآلوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق
والقرون وقد ذكرنا ارسطو في الكتاب المنسوب اليه في
السياسة ان السرف في ذلك ارباب العدو في الحرب فان
الاصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر
وجداني في مواطن الحروب يجده كل احد من نفسه
وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح
ببعض الاعتبارات واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند
سماع النغم او الاصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك
فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستमित
في ذلك الوجد الذي هو فيه وهذا موجود حتى في

الحيوانات العجم فانفعال الابل بالحداء والخيل بالصفير والصريخ كما علمت ويزيد ذلك تأكيدا اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغنا وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا الغنى ولاجل ذلك يتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقارية لا طبلا ولا بوقا فيمدق اليعتقون بالسلطان في موكبه بالآتهم ويعتقون فيحركون نفوس الشجعان بطربهم الى الاستماتة ولقد راينا في حروب العرب المنشد يتغنى امام الموكب بالشعر ويظرب فتجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى محال الحروب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء تازصواكايت (1) واصله كده فرح يحدث في النفس فتنبعث عند الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم واما تكثير الرايات وتلوينها واطالها فالقصد به التهويل لا اكثر وربما يحدث في النفوس من التهويل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله الخلاق العليم (ثم) ان الهلوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمن مكثر ومقلل بحسب اتساع الدولة

1. Man. C. فارصواكايت

وعظمها (فاما) الرايات فانها شعار الحروب مذ عهد الخليفة
ولم تنزل لاسم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء (واما قرع
الطبول) والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة
متجافين عنه تنزهوا عن غلظة الهلك ورفضوا لاحواله واحتقاروا
لابتهته التي ليست من الحق في شئ حتى اذا انقلبت
الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولبسهم الموالي
من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك
ينسحلونده من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسونه
اتخاذ الآلة فاتخذوها واذنوا لعمالهم في اتخاذها تنويها
بالمالك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر او قائد
الجيش يعتقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواء
ويخرج الى بعده او عيله من دار الخليفة او داره في موكب
من اصحاب الرايات والآلة فلا تميز بين موكب العامل
والخليفة الا بكثرة الآلية او قلمها او بما اختص به الخليفة
من اللوان لرايته كالسواد في رايات بنى العباس فان
راياتهم كانت سودا حزنا على شهدائهم من بنى هاشم ونعيا
على بنى امية في قتلهم ولذلك سمو السوداء (ولما)
افترق امر الهاشميين وخرج الطالبون على العباسيين في
كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا

الريات بيضا وسموا المبيضة لذلك سائر ايام العبيديين
ومن خرج من الطالبين في ذلك العهد بالمشرق كالداعي
بطبرستان وداعي صعدة او من دعى الى بدعة الرافضة من
غيرهم كالقرامطة (ولها) نزع المامون عن لبس السواد وشعاره
في دولته عدل الى لون الخضرة فجعل راياته خضرا واما
الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين
لما خرج العزيز نزار الى فتح الشام خمسمية من البنود
وخمسمية من الابواق (واما) ملوك البربر بالمغرب من
صنهاجة وغيرهم فلم يختصوا بلون واحد بل وشعوا بالذهب
واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستيروا على الاذن فيها
لعمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من
زنانة فقصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها
على من سواه من عماله وجعلوها موكبا خاصا يتبع اثر
السلطان في مسيره يسمى الساقفة وهم فيه بين مكثر
ومقلل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم من يقتصر
على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين
وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين
كما هو عند زنانة وقد بلغت ايام السلطان ابي الحسن فيما
ادر كناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير
منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولاة والعمال

والتّوَاد في اتّخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك (واما) دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيستخذون اولا راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر ويسمونها الجاليس (1) والجترو مع العسكر على عيومه ثم على راس السلطان راية اخرى تسمى العصابة والشطنة وهي شعار السلطان عندهم ثم تتعدّد الرايات ويسمونها الساجق واحدا سنجق وهو الراية بلسانهم واما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويسمونها لكل امير او قائد عسكران يتخذ من ذلك ما شاء الا العصابة فانه خاص بالسلطان (واما) الجلالقة لهذا العهد من امم الافرنجة بالاندلس فاكثر شأنهم اتّخاذ الالوية القليلة ذاتية في الجوّ صعدا ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن حروبهم هكذا بلغنا عنهم وعن ورائهم من ملوك العجم وفي خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ايات للعالمين (السرير) واما السرير والنبير والتخت والكرسى وهو اعواد منصوبة او ارائك منصدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن اهل مجلسه ان يساويهم في الصعيد (2) ولم ينزل ذلك من سنن الملك قبل الاسلام وفي دول العجم

(1) Man. C. et D. الشالش. Man. B. الجاليس. (2) Man. A. et B. الصعد.

وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب (وكان) لسليمان بن داود صلوات الله وسلامه عليه سرير من عاج مغشى بالذهب الا انه لا تاخذ به الدول الا بعد الاستئجال والتزلف شأن الابتهة كلها كما قلناه واما في اول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليه (واول) من اتخذه في الاسلام معاوية واستاذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الابتهة ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيه البتوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهم امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بها اعتقد معهم من الذمة واطراحا لابهة الملك (ثم) كان بعد ذلك لبنى العباس والعبديين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والنبابر والتخوت ما عفا عن الاكاسرة والقياصرة والله متلب الليل والنهار (السكّة) وهي الختم على الدنانير والدراهم التعامل بها بين الناس بطابع حديد تنقش فيه صور او كليات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير او الدراهم فيخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين

يصطاح عليه فيكون التعامل بها عددا وإن تقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهى الحديدية المتخذة لذلك ثم نقل الى اثرها وهى النقوش المائلة على الدنانير والدرهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر فى استيفاء حاجاته وشروطه وهى الوظيفة فصار علما عليها فى عرف الدول وهى وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من البهرج بين الناس فى النقود عند المعاملات ويثقون فى سلامتها من الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة (وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدما او تمثال حصن او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر امرهم (ولها جاء الاسلام اغفل ذلك لسذاجة الدين وبدادة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودرهمهم بين ايديهم يردونها فى معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش الغش فى الدنانير والدرهم لغتة الدولة عن ذلك وامر عبد الهلك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وابو الزناد فضرب الدرهم وميز المغشوش من الخالص وذلك سنة اربع وسبعين وقال المدائنى سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها فى سائر

النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد
(ثم) ولى ابن هبيرة العراق ايام يزيد بن عبد الملك
فجود السكة ثم بالغ خالد القسرى فى نجويدها ثم يوسف
بن عمر بعده وقيل اول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب
بن الزبير فى العراق سنة سبعين بامر اخيه عبد الله لما
ولى بالحجاز وكتب عليها فى احد الوجهين بركة وفى
الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها
باسم الله الحجاج وقدروا وزنها على ما كانت استقرت ايام
عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه فى اول الاسلام ستة دنانير
والمشقال وزنه درهم وثلاثة اسباع الدرهم فيكون عشرة دراهم
بسبعة مثاقيل وكان السبب فى ذلك ان اوزان الدراهم
ايام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المشقال
عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى
تقديره فى الزكاة اخذ الوسط من الثلاثة وذلك اربعة
عشر قيراطا فكان المشقال درهما وثلاثة اسباع درهم وقيل ان
الدراهم كان منها البغلى بشمانية دنانق والطبرى اربعة دنانق
والمغربى ثلاثة دنانق واليمنى دنانق فامر عمر رضى الله عنه
ان ينظر الاغلب فى التعامل فكان البغلى والطبرى وهما
اثنا عشر دنانقا فكان الدرهم ستة دنانق وان زدت ثلاثة
اسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة اعشار المشقال كان درهما

فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين عن الغش فعين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضى الله عنه واتخذ طابع الحديد ونقش فيه كلمات لا صوراً لان العرب كان الكلام والبلاغة اقرب مناحيهم واطهرها مع ان الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس الى ايام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهيلاً وتحميداً وصلاته على النبي وآله صلى الله عليه وسلم وفي الوجه الثانى التاريخ واسم الخليفة هكذا ايام العباسيين والعباسيين والامويين واما صنماجة فلم يتخذوا سكة الا آخر الامر اتخذها المنصور صاحب بجاية ذكر ذلك ابن حنبل في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدراهم مربعة الشكل وان يرسم في دايرة الدينار شكل مربع في وسطه ويسمى من احد الجانبين تهيلاً وتحميداً ومن الجانب الاخر كتب في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد وقد كان المهدي فيما نقل ينعى قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعتة بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون فى ملاحظتهم

عن دولته (واما) اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة
وانما يتعاملون بالدنانير والدرهم وزنا بالصنجات المقدرة بعادة
منها ويطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة
واسم السلطان كما يفعلها اهل المغرب ذلك تقدير العزيز
العليم (تنبيه) ولنختم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم
والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما وذلك ان الدرهم والدينار
مختلفا السكة في المقادير واليوازين بالآفاق والامصار وسائر
الاصيال والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام
بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرها فلا بد لها عنده
من حقيقة ومقدار يتعين في تقديره وازادته وتجرى عليهما
احكام دون غير الشرعي منهما فاعلم ان الاجماع منعقد
منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي
هو الذي يزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والواقية
منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن
المثقال من الذهب الخالص ثنتان وسبعون حبة من الشعير
الوسط فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسون حبة وخميسا
حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم الجاهلي
كان بينهم على انواع اجودها الطبري وهو ثمانية دوانق
والبغلي وهو اربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما ستة دوانق
وكانوا بها يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية

خمسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك واجماع الناس بعده كما نقلناه ذكر ذلك الخطابي في كتاب معالم السنن والماوردي في كتاب الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين لما يلزم منه ان يكون الدرهم والدينار الشرعيان مجهولين في عصر الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بها في الزكاة والانكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر يجريان الاحكام يومئذ بها يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وان كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي المتقرر في مقدارهما ووزنها حتى استعملت الدولة الاسلامية وعظمت احوالها ودعى الحال الى تشخيصهما في المئذار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدين وقارن ذلك ايام عبد الملك فمخصص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهب ونقش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقشت عليها سكتة وتلاشى وجودها وهذا هو الحق الذي لا مسجيد عند ثم بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدولة على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في ذلك الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور مقاديرهما

الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل افق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية (واما وزن الدينار بنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم خالف ذلك وزعم انه اربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه وهما او غاظا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا خلاف فيها والله خلق كل شئ فقدره تقديرا (الخاتم) واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر ف قيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فانخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينقش احد مثله وقال وتختتم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس وكانت كثيرة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم لذلك عثمان وتظير منه وضع

اخر على مثاله وفي كيفية نقش ذلك الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر بلغت آخره وختمت القران كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتمة الامر ويطلق على السداد الذي تسد به الاواني والدنان ويقال فيد ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسّر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه في شرايبهم ريح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك وهو اطيب عرفا وذوقا من الطين والقار المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على ائرها الناشئ عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشته فيه كلمات او اشكال ثم غمس في مذاق من طين او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي ائرها الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشبع فانه يسبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقد نقرأ من الجهة اليسرى ان كان النقش على الاستقامة من الينى وقد نقرأ من الجهة الينى ان كان النقش من

الجهة اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط في الصنف عما كان في النقش من يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغيسه في المداد والطين ووضعده على الصنف فتنقش الكلمات فيه ويكون هذا في معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذها كان الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامة وهو من دونها ملغى ليس بتام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح باسم السلطان او الامير او صاحب الكتاب من كان او شئ من نعوذ به يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذها ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى خاتما تشبيها له بائر الخاتم الاصبعي في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يعث به للخصوم اى علامته وحطه التي ينفذ بها احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اى علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفر او يستبدل به من الفضل اخيه فقال لابيها يحيى يا ابت اتى اردت ان احول الخاتم من يمينى الى شىالى فكفى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد بصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبرى ان معاوية ارسل الى الحسن عند مراوضته اياه فى الصالح

صحيفة بيضاء ختم على أسفلها وكتب اليد ان اشترط نسي هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخط او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لئين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الخزم من الكتاب اذا خزم وعلى المودعات وهو من السداد كما مروى في الوجهين آثار للخاتم فيطلق عليه خاتم واول من احدث الختم على الكتب اى العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد فى الكوفة بباية الف ففتح الكتاب وصيرت المائة مائتين ورفع زياد حسابه فانكرها معاوية وطلب بها عيرا وحبسده حتى قضاها عند اخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبرى وقال اخره وخزم الكتب ولم تكن نخزم اى جعل لها السداد وديوان الخاتم عبارة عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلاطان والختم عليها اما بالعلامة او بالخزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس مولد الكتاب كما ذكرناه فى ديوان الاعمال والخزم للكتب يكون اما بدسر الورق كما فى عرف كتاب المغرب واما باصق راس الصحيفة على ما نطوى عليه من الكتاب كما فى عرف اهل المشرق وقد يجعل مكان الدسر او اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه

فاهل المغرب يجعلون على الدرر قطعة من الشمع يختتمون عليها بخاتم نقش فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في الشمع وكان في الشرق في الدولة القديمة يختتم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مذاق من الطين معد لذلك صبغده احمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين معروفا في الدولة العباسية بطين الختم وكان يجلب من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او النقش للسداد او الختم على الكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لهن اليد الترسل وديوان الكتاب في الدول ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجيدون عوذه من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزررد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والتصيب في الدولة العباسية والبهلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمته (الطراز) ومن ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول ان ترتسم اسماهم او علامات تختص بهم في طرز اوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج او الابريسم نعتبر كتابه خطها في نسج الثوب الحاميا وسدوا بخيط الذهب او يخالف لون الثوب من

الخياط الملوّنة من غير الذهب على ما يحكمه الصنّاع في تقدير ذلك ووضعها في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوّنة معلّمة بذلك الطراز قصدا للتبويه بلا بسبها من السلطان فمن دونه او التّبويه بمن يختصه السلطان بلبوسه اذا قصد تشرينه بذلك او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او اشكال وصور معيّنة لذلك ثم اغتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات اخرى تجرى مجرى الفأل او السجحات وكان ذلك في الدولتين من انبه الامور وافخم الاحوال وكانت الدور المعدّة لنسج اتوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصنّاع والآلة والحماكة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل الاتهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق (ثم لما ضاق نطاق الدول عن التزج والتفتن فيد بضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول بطالت هذه الوظيفة والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة (ولها) جاءت دولة الموحدين

بالمغرب بعد بنى امية اول الماية السادسة فلم ياخذوا بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسداجة التي لقتوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لبس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدركت منها اعقابهم آخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النباهة (واما) لهذا العهد فادركنا بالمغرب فى الدولة المرينية لغفوانها وشموخها رسما جليلا لقتوه من دولة ابن الاحمر معاصروهم بالاندلس واتبع هو فى ذلك دول الطوائف فاتى منه بالحممة شاهدة بالاثر (واما) دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطراز بحرز اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع فى دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تتطلبه الدولة من ذلك عند صنائه من الحرير ومن الذهب النخالص ويسمونه الزركش لفظة اعجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه وبعده الصانع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللابقة بها والد مقدر الليل والنهار وهو خير الوارثين لا الذ غيره (النساطيط والسياج اعلم ان من شارات الملك وتنفرد اتخاذ الانبىة والنساطيط والغازات من ثياب الكتان والصوف والقطن يجدل الكتان والقطن يباهى بها فى الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير

وصغير على نسبة الدولة فى الشرة واليسار وانما يكون الامر فى اول الدولة فى بيوتهم التى جرت عادتهم باتخاذها قبيل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بنى امية انما يسكنون بيوتهم التى كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تنزل العرب لذلك العهد بادينن الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وساء حللهم واحيائهم من الامل والولدان كما هو شأن العرب لهذا العهد فكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى كشأن العرب (ولذلك) ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقدة لحششر الناس على اثره ان يقيموا اذا ظعن (ونقل) انه استعمل فى ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زنباع وقضته فى احراق فساطيط روح وخيامه لاول ولايته حين وجدهم مقيمين فى يوم رحيل عبد الملك قصد مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامن بوادر السفهاء من احيائهم بنا له من العصبية الحائلة دون ذلك ولهذا احتصد عبد الملك بشل هذه الرتبة نقمة بغائه فيها بعصبيته وصرامته (فلما) تفتتت الدولة العربية فى مذاهب الحضارة والبدع ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من سكنى الخيام

الى سكنى القصور ومن ظهر الخقف الى ظهر الحافر اتخذوا
 للسكنى فى اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا
 مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القور والمستطيلة والمربعة
 ويختلفون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير او
 القائد للعساكر على فساطيطه وفازانه من بينهم سياجا من
 الكتان يسمى فى المغرب باللسان البربرى الذى هو لسان
 اهله افراك بالكاف التى بين القاف والكاف
 ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره واما فى
 المشرق فيتخذها كل امير وان كان دون السلطان ثم جنت
 الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخفف
 لذلك ظهرهم وتقارب السياج بين منازل العسكر
 واجتمع الجيش والساطان فى معسكر واحد يحصره البصر
 فى بسيطه زحرا ايقنا لاختلاف الوانه واستمر الحال على
 ذلك فى مذاهب الدول فى بذخها وترفها وكذا كانت
 دولة الموحدين وزناتة التى اظلمنا كان سفرهم اول امرهم
 فى بيوت سكانهم قبل الهلك من الخيام والقياطن
 حتى اذا اخذت الدولة فى مذاهب الترف وسكنى القصور
 عادوا الى اتخاذ الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق
 ما ارادوه وهو من الترف بىمكان الا ان العساكر بد تصير
 عرضة للبيات لاجتماعهم فى مكان واحد تسلمهم فيه

الصيحة ولختتمهم من الازل والولد الذي تكون الاستماتة
دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ اخر كما نذكره والله
القوى العزيز

اليقصورة للضلاة والدعاء في الخطبة

وعما من الامور الخلافية ومن اشارات الملك الاسلامي ولم
تعرف في غير دول الاسلام فاما البيت اليقصورة لصلاة
السلطان تتخذ سياجا على السحراب فتحوزه وما يليه فاول
من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي
والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها مروان بن الحكم
حين طعنه البياني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت
سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلوة وهي انما
نحدث عند حصول الترف في الدولة والاستسجمال شأن
احوال الاتية كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية
كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا
بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف
(واما المغرب) فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم
خلفاء العبيديين ثم ولانهم على المغرب من صنهاجة بنو
باديس بالقيروان وبنو حباد بالقلعة (ثم) ملك الموحدون
سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

البداءة التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة وانحذت بحظها من الترف وجاء يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده (واما الدعاء) على المنابر في الخطبة فكان الشأن اولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بانفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاء عن اصحابه واول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنى جامعہ بصر وكتب اليه عمر رضى الله عنه اما بعد انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين او ما يكتفيك ان تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لها كسرتة فلما حدثت الابهة وحدث في الخلفاء الدانع من الخطبة والصلاة واستنابوا فيهما فكان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاء له بسما جعل الله مصالحة العالم فيد وكان تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان واول من دعا للخليفة في الخطبة ابن عباس دعا لعلى رضى الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا الحق وانصل العمل على ذلك فييا بعد وكان الخليفة يفرد بذلك فلما جاء

الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيرا ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد او يسمو اليه وكثيرا ما يغفل الياهدون من اهل الدول هذا الرسم عند ما تكون في اسلوب الغضاصة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الايهاام والاجيال لمن ولي امور المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك ان الدعاء على الاجيال انما يتناول العباسي تقليديا في ذلك لما سلف من الامر ولا يحفلون بيا وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه يحكى ان يغيراسن بن ريان ماهد دولة بنى عبد الواد لها غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن ابي حفص على تلمسان ثم بدا له في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغيراسن ذكر اعداءهم يذكر من عليها من شاوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بنى مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بنونس من بنى ابي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض ايام عن الجمعة فقيل له لم لم يحضر هذا الرسول لخلو الخطبة من ذكر سلطان فاذن في

الدعاء له وكان ذلك سببا لاحتدهم بدعوته وهكذا شأن الدول في بدايتها وتمكنها في الغضاضة والبدواة فاذا انتبهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستتموا شيأة الحضارة ومعانى البذخ والابهة انتحلوا جميع هذه السمات وتفننوا فيها وتجاوزوا الى غايتها وانفوا من المشاركة فيها وجزعوا من اقتقادها وخلو دولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شئ رقيب

فصل فى الحروب ومذاهب الامم فى ترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهما اهل عصبية فاذا تدامسوا لذلك وتوافق الطائفتان احديهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعى فى البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام فى الاكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضبا لله ولدينه واما غضبا للملك سعى فى وتمهيده فالاول اكثر ما يجرى بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثانى وهو العدوان اكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا ارزاقهم فى

رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه
 آذنه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة
 ولا ملك وانما همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما
 في ايديهم والثالث هو الهستي في الشريعة بالجهاد والرابع
 هي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها
 فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان الاولان منها
 حروب بغى وفتنة والصنفان الاخران حروب جهاد وعدل
 (وصنفه) الحروب الواقعة بين اهل الخليقة منذ اول وجودهم
 على نوعين نوع بالزحف صغوا ونوع بالكفر والفر (واما) الذي
 بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما
 الذي بالكفر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب
 وقتال الزحف او ثق واشد من قتال الكفر والفر وذلك ان
 قتال الزحف ترتب فيد الصفوف وتسوى كما تسوى القداح
 او صفوف الصلاة ويبشرون بصفوفهم الى العدو قدما فذلك
 انبت عند المصاع واصدق في القتال وارهب للعدو لانه
 كالحايطة الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التزليل
 ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانوا بنيان
 مرصوص اي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديد المؤمن
 للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا ومن هناك يظهر لك
 حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فان

المقصود بالصق في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن ولي العدو ظهره فقد انحل بالهصاف وباء باثم الهزيمة كأنه جرّها على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعدّيها الى الدين بخرق سياجه فعدّ من الكبائر ويظهر من هذه الأدلة ان قتال الزحف اثر عند الشارع وأما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا ياجئون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد (ثم) ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر اقساما لاند لها كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من توافعهم فيما بينهم لاجل التكرار والجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا وبضمتين المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسمى هذا الترتيب النعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي المالك عسكرا منفردا بصفوفه متبيرا بقائده ورايته

يسمونه المقدمة ثم عسكر اخر من ناحية اليمين عن موصف
الملك يسمونه المينة ثم عسكر اخر من ناحية الشمال
يسمونه الميسرة ثم اخر من وراء العسكر يسمونه الساقة ويقف
الملك واعصابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمون موفند
القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدأ واحد
للبرص او على مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل
عسكرين منها او كيف ما اعطاه حال العساكر في القلعة
والكثرة فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة وانظر ذلك
في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين وكيف كانت العساكر لعهد
عبد الملك يتخلف عن رحيله لبعده المدى في التعبئة
فاحتج الى من يسوقها من خلفه وعين لذلك الحاج بن
يوسن كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان
في الدولة الاموية بالاندلس ايضا كثير منه وهو مجهول فيما
لدينا لانا انما ادركنا دولا قليلة العساكر لا تنتهي في مجال
الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين معا
تجمعهم لدينا حلة او مدينة ويعرف كل منهم قرنه وبناديد
في حومة الحرب باسسه ولقيد فاستغنى عن تلك التعبئة
(فصل) ومن مذاهب اهل الكر والقر في الحروب ضرب
الصفاء وراء عساكرهم من الجهادات والحيوانات العجم
فتحذونها ما جاء للخيالة في كرمهم وفرهم يطلون به ثبات

المقاتلة ليكون اذوم للحرب واقرب الى الغلب وقد يفعله
اهل الزحف ايضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم
اهل الزحف يتخذون القبلة في الحروب ويحملون عليها
ابراجا من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح
والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كانها الحصون
فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من
ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم
على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوها
ونفحوها بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على
اعقابها الى مرابطها بالمداين فمحق معسكر فارس لذلك
وانهزموا في اليوم الرابع (واما) الروم وملوك القوط بالاندلس
بل واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة وينصبون
للهاك سريره في حومة الحرب ويحق به من خدمه وحاشيته
وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دوند وترفع الرايات في
اركان السرير ويحرق به سياج اخر من الرماة والرجالة فيعظم
هيكل السرير ويصير فية للمقاتلة وماجاء للكر والفر ومعل
ذلك الفرس ايام القادسية وكان رستم جالسا فيها على سرير
نصبه لجلوسه حتى اختلت صفوف فارس وخالطه العرب
في سريره ذلك فتحوّل عنه الى الفراء وقتل (واما) اهل
الكر والفر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة فيصقون

لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل طعائهم فيكون فئمة لهم ويستونه المجبودة (I) وليس امة من الامم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه اوثق من الجولة وامن من الغرة والهزيمة وهو امر مشاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجيلة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للانتقال والنساطيط يجعلونها ساقطة من خلفهم ولا تغنى غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم مستشعرة للفرار فى المواقف وكان الحرب اول الاسلام كله زحفا وان كان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك اول لاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بهل قتالهم الثانى انهم كانوا مستهينين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستمانة اقرب (اول) من ابطال الصف فى الحرب وصار الى التعبية كراديس مروان بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والخيبى بعده قال الطبرى لما ذكر قتل الخيبى فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكرى ويلقب ابا الدلقا وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وابطل الصف من يومئذ انتهى فتوسى قتال الزحف بابطال الصف ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما

(I) Man. C. مجبودة. D. مجبودة.

داخل الدولة من الترف وذلك انها حين ما كانت بدوية
وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء
والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك
والقوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقر نسوا
لذلك عهد الابل والطعائن وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا
النساء فى الاسفار وحملهم الملك والتعرف على اتخاذ
الفساطيط والახبية فاقصروا على الظهر الحامل للانتقال
والآنية وكان ذلك صنفهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء
لان لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الامل والمال
فيخفق الصبر من اجل ذلك وتفرقهم الهيجات وتخمر
صنوفهم (فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العسكر
وتاكده فى قتال الكر والقر عمار ملوك المغرب يستخدمون
طوائف من الفرنج فى جندهم واختصوا بذلك لان قتال
اهل وطنهم كله بالكر والقر والسلطان يتأكد فى حقه ضرب
المصاف ليكون رداً للمقاتلة امامه فلا بد وان يكون اهل
ذلك الصف من قوم متعودين للشباب فى الزحف
والاجفلا على طريقة اهل الكر والقر فانهم السلطان والعسكر
بانجفالهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يتخذوا جنودا من
هذه الامة الجعودة الشباب فى الزحف وهم الافرنج ويرتبون
مصافهم المحقق بهم منها هذا على ما فيده من الاستعانة

بأهل الكفر وإنما استخفوا ذلك للضرورة التي أربناكمها من
تخوف الانجفال على مصاف السطان والفرنج لا يعرفون غير
النبات في ذلك لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا
اقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب إنما
ينغولون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والبربر وقتالهم
قبائلهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا
من سمالاتهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا
العهد وقد أبدينا سبب والده بكل شيء عليم (فصل) وبلغنا
عن أمم الترتك لهذا العهد قتالهم مناخلة بالسهم وان
تعبية الحرب عندهم بالهصاف وانهم يقسمون عسكرهم ثلاثة
صنوف يضربون صنفا وراء صنق ويترجلون عن خيولهم
يفرغون سهامهم (1) بين أيديهم ثم يتناضلون جلوسا وكل صنق
ردء للذي أمامه ان يكبسهم العدو الى ان يتهيا النصر لاحدى
الطائفتين على الأخرى وهي تعبية محكمة غريبة (فصل)
وكان من مذاهب الأول في حروبهم حفر الخنادق على
معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذرا من معرفة البيات
والنجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من
مضاعفة الخوف فتلوذ الجيوش بالفرار وتجد النفوس في
الظلمة ستر من عارده فاذا تساوا في ذلك ازحف المعسكر

(1) Man. A. ينشلون كئانهم. B. ينشرون كئانهم.

ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابينتهم ويديرون الحفائر نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حصنا ان يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في امثال هذا قوة وعليه اقتدار باحتماد الرجل وجيع الايدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم النعلة نسي الشأن جملة كانه لم يكن والد خبير القادرين (وانظر) في وصية على رضى الله عنه وتحريضه لاصحابه يوم صنين تجد كثيرا من علم الحرب ولم يكن احد ابصر بها منه قال في كلام له فسؤوا عنفوكم كالنبيان المرصوص وقدموا الذراع واتخروا المحاسر (1) وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام والتوا في اطراف الرماح فانه اصون (2) للاستة وعضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاعمات فانه اطرد للفشل واول بالوقار وراياتكم فلا تميئوها ولا تزيئوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بعد الصبر ينزل النصر (وقال) لا شتر يومئذ يحرض الازد عضوا على التواجد من الاضراس واستقبلوا القوم بهائمكم وشدوا شدة قوم موثورين يثارون بابائهم واخوانهم حقا على

1) Man. A. et B. المحاسر.

2) Man. A. et B. اصول.

عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا بوتر
ولا ياحقهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو
بكر الصيرفي شاعر لمتونة واهل الاندلس في كلمة
يمدح فيها تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في
حرب شهدها ويذكره بامور الحرب في وصايا وتحذيرات
تنبيهك على معرفة الكثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملاء الذي يتقمتع من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي عدر العدو به دجى فانفض كل وجوه لا يتضععض
تحمى الفوارس والطعان يصدعا عنه ويسدمرها الوفا. فترجع
والليل من وضع الترائك انه صبح على هام الحيوش ملهع
اني فرغتم بابني صنهاجة واليكم في السروع كان المنزع
وصددتم عن تاشفين وانه لعقابه لو شاء فيكم موضع
انسان عين لم يصند(1) منكم جفن وقلب اسلمته الاصلع
ما انتم الا اسود خفية كل بكل كبريهة مستطلع (2)
يا تاشفين اقم لجيشك عذره بالليل والتدر الذي لا يدفع (3)

(ومنها في سياسة الحروب)

اهديك من ادب السياسة إما بد كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا انسى ادرى بها لكنهنم ذكرى تخص الهمنين وتضع
البس من الخلق الهضاعة التي وصى بها صنع الصنائع تبع
والهندوانى الرقيقى فانه امضى على حد الدلائل واقطع
واركب من الخيل السوابق عذة حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة سيمان تتبع طفورا او تسبع
والواد لا تعبره وانزل عنده بين العدو وبين جيشه يقطع

(1) Man. A. B. يصيد. (2) Man. A. B. مستطلع. (3) Man. A. et B. ينع.

واجعل منازلة العدو (1) عشية ووراءك الصدق الذى هو امنع
وإذا تضايقت الجيوش بهمعرك عنك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وجملة لا تكتسرت شيا فاطهار النكول تضعضع
واجعل من الطلاع اعمل شهامة الصدق فيهم شيمه لا مخدع
لا تسمع الكذاب جءك مرجفا لا اراى للمكذوب فيهما يصنع

وقوله واصدمه من اول وجملة البيت مخالف لما عليه الناس
من امر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفى لما
ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولا تحجيبين
مسرا حتى يتبين فانها الحرب ولا يصالح لها الا الرجل
المكيث الذى يعرف الفرصة والكف وقال له فى اخرى انه لم
تمنعنى ان اوامر سليطا الا سرعته فى الحرب وفى التسرع
فى الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لا مرتد لكن
الحرب لا يصاحبها الا المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بان
التشاغل فى الحرب اولى من الخفوف حتى يتبين حال
تلك الحروب وذلك عكس ما قاله الصيرفى الا ان
يريد ان الصدم بعد البيان فله وجد والله اعلم (فصل ولا وثوق
فى الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعديد وانما
الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان
اسباب الغلب فى الاكثر مجتمعة من امور ظاهرة ومسى

(1) Man. C. D. مناجزة الجيوش

الجيش ووفورها وكمال الاسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصافى وصدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من حيل البشر وخذعهم في الارجاء والشماع التي يقع بها التخذيل وفي التقدم الى الاماكن المترفعة ليكون السحر من على فيتوهم المنخفض لذلك ويتخاذل وفي الكمين في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدا عن العدو حتى تبدو لهم العساكر دفعة وقد تورطوا فيتلقتون الى النجاة وامثال ذلك واما ان تكون الاسباب الخفية امور مساوية لا قدرة للبشر دلى اكتسابها تلقى في القلوب فيستولى الرعب عليهم من اجلها فتختل مراكزهم وتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزائم عن هذه الاسباب الخفية لكثرة ما يعتمد كل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع التأثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم السحر خدعة ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالبا عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضع فاعتبره فنتفهم من وقوع الغلب عن الامور الساهوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلب للمشركين

في حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين إياهم بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهزموا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في القلوب سببا للهزائم في الفتوحات الاسلاميّة كلها الا انه خفى عن العيون (وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تفضل عدّة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدّتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرين من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدأ وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدّمنا وليس بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان تكون في احدى الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الاخر عصاب متعدّدة والجانبان معا متقاربان في العدّة فان الجانب الذي عصبته واحدة اقوى واغلب من الجانب الذي هو عصاب متعدّدة لان العصاب اذا كانت متعدّدة يقع بينها من التخاذل مع يقع في الواحدان المختلفين الناقدين للعصبية اذ تنتزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابه متعدّدة لا يقاوم الجانب الذي

عصبية واحدة لاجل ذلك فتفهمه واعلم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه الطروشى ولم يحمله على ذلك الا نسيان شأن العصبية في جيلد وبلده وانهم انما يريدون الدفاع والحماية والمطالبة الى الوحدان والجماعة الناشئة عنهم ولا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك في اول الكتاب مع ان هذا وامثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيشين في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك سببا كفيلا بالغلب ونحن قد قدرنا الآن ان شأ منها لا يعارض الاسباب الخفية مثل الحيل والخدع ولا الامور السماوية من الرعب والتخذلان الالهى فاعلمه وتفهم احوال الكون فالله مقدر الليل والنهار (فصل) ويالحق بمعنى الغلب في الحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك او العلماء او الصالحين او المنتحلين للفضائل على العيوم فكثير ممن اشتهر وبعد صيته وليس هناك وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عند الشهرة وهو احق بها واعلمها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هي بالاحبار والاعخبار يدخلها الذم

عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل ببطاقة الحكايات للاحوال لخبائها بالتلبيس والتصنع اولجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجارة والمراتب الدنيوية بالثناء والهدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء والناس متناولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغميين فى الفضائل ولا منافسين اهلها واين مطابقة الحق من هذه كلها فتحصل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفى فهو الذى يعبر عنه بالبنخت كما تقرر

فصل فى الجباية وسبب نقصها ووفورها

اعلم ان الجباية اول الدولة تكون قليلة الزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الزائع قليلة الجملة والسبب فى ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليس آلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهى قليلة الزائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزى والخراج وجميع المغارم الشرعية وهى حدود لا تتعدى وان كانت على سنن العصبية والتغلب فلا بد من البداوة فى اولها كما تقدم

والبدواة تقتضى المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافى عن امور الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الآ فى النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التى تجتمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزائد لحصول الاغتباط بقلّة المعرم واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت السجاية التى هى جبلتها فاذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا بالكيس وذهب سرّ البدواة والسذاجة وخلقتها من الاغضاء والتجافى وجاء الملك الغصوص (1) والحضارة الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة بخلق التحذلق وتكثرت عوائدهم وحاجاتهم بسبب ما انغمسوا فيه من العييم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والاكثرة والفلاحين وسائر اهل المغارم ويزيدون فى كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكسر لهم السجاية ويضعون السكوس على البياعات وفى ابواب المدينة كما نذكر بعد ثم تتدرج الزيادات فيها مقدارا بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة فى الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسبب حتى تثقل المغارم على الرعايا وتبعضهم وتصير عادة مفروضة لان تلك

(1) Man. C et D. الغصوص.

الريادة تدرّجت قليلا قليلا ولم يشعر احد بمن زادها على
 النعيين ولا من هو واضعها انما تثبت على الرعايا كأنها
 عادة مفروضة ثم تزيد الى الخروج عن حد الاعتدال فتذهب
 غبطة الرعايا في الاعتبار لذهاب كامل من نفوسهم بقلّة
 النفع اذا قابل بين نفقته ومغامره وبين ثمرته وفائدته
 فينقبض كثير من الايدي عن الاعتبار جملة فتنقص جملة
 الحماية حينئذ بنقصان تلك الوظائف منها وربما يزيدون في
 مقدار الوظائف اذا راوا ذلك النقص في الحماية ويحسبونه
 جبرا لما نقص حتى ينتهي كل وظيفة ووزيعة الى غاية ليس
 وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتبار وكثرة
 المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجهلة في
 نقص ومقدار الوظائف والوظائف في زيادة لما يعتقدونده من
 جبر الجملة بها الى ان ينتقص (1) العمران بذهاب الآمال من
 الاعتبار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتبار عائدة
 اليها واذا فهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في
 الاعتبار تقايل مقدار الوظائف على المعتمدين ما امكن
 فبذلك تنشط النفوس ليقيمها بادراك المنفعة فيه والله
 مالك الامور

1. Man. A. ينقص. B. ينقص.

فصل فى ضرب الكوس آخر الدول

اعلم ان الدول تكون فى اولها بدوية كما قلنا فتكون
لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون
خرجها وانفاقها قليلا فيكون فى الجباية حينئذ وفاءً بازيد منها
بل يفضل منها كثير عن حاجاتها ثم لا يلبث ان تاخذ
بدين السخايرة والترف وعوائدها وتجري على نهج الدول
السالفة قبلها فيكثر لذلك خرج الدولة ويكثر خرج السلطان
خصوصا كثرة البغاة بنفقتهم على خاصته وكثرة عطائده
ولا تنفى بذلك الجباية فتحتاج الدولة الى الزيادة فى
الجباية لما تحتاج اليه السامية من العطاء والسلطان من
الثقة فتزيد فى مقدار الوظائف والوزائع اولا كما قلناه ثم
يزيد الخرج والحاجات بالتدريج فى عوائد الترف وفى
العطاء للسامية ويدركت الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن
جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتتقل الجباية وتكثر
العوائد وتكثر بكثرتها ارزاق الجند وعطاءهم فيستحدث
صاحب الدولة انواعا من الجباية يضربها على البياعات
ويعرض لها قدرا معلوما على الاثمان فى الاسواق وعلى اعيان
السلع فى ابواب المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما
دعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش
والسامية وربما يزيد ذلك فى آخر الدول زيادة بالغة فتكسد

الاسواق بفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى ان يضمحل وقد كان وقع منه بامصار الهشوق فى احريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج فى الموسم واسقط صلاح الدين بن ايوب رحمه الله تلك الرسوم جملة واعاضها باثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محى رسمه يوسف بن تاشفين امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بافريقية لهذا العهد حتى استبد بها رؤساؤها والله سبحانه لطيف بعباده

فصل فى ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها عن الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية فتارة بوضع الكوس على بيعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك فى الفصل قبله وتارة بالزيادة فى القاب الكوس ان كانت قد استحدثت قبل وتارة بمناقشة العمال والجباة وامتكاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على طائل من اموال الجباية لا يظهره الحساب وتارة

باستحداث التجارة والذّاح للسلطان حرصا على تنمية
 الحباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد
 والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة رؤس
 الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله
 وفي شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الاسواق يحسبون ذلك
 من اضرار الحباية وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وادخال للضرر
 على الرعايا من وجوه متعدّدة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار
 في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان
 الرعايا متكافيون في اليسار او متقاربون ومزاحمة بعضهم
 بعضا ينتهي الى غاية موجودهم او تقرب واذا رافقهم السلطان
 في ذلك ومالده اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد منهم يحصل
 على غرضه في شئ من حاجاته ويدخل على النفوس من
 ذلك غم او نكد ثم ان السلطان قد ينزع الكثير من ذلك
 اذا تعرض له غصبا وبايسر ممن اذا لا يجد من ينافسه فينخس
 ثمند على بائع ثم اذا حصلت فوائد الفلاحة ومغلبها كله من
 زرع او حرير او عسل او سكر او غير ذلك من انواع
 الغلات وحصلت بضائع التجار من سائر الانواع فلا ينتظرون
 بد حوالة الاسواق ولا نفاق البياعات لما تدعوهم اليد تكاليف
 الدولة فيكفون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح بشراء
 ملك البضائع ولا يرضون في ائمانها الا التميم وازيد فيستوعبون

في ذلك ناض أموالهم وتبقى تلك البضائع بايديهم عروضا جامدة ويمكنون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شئ من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بانخس ثمن وربما يتكرر ذلك على التاجر او الفلاح منهم بما يذهب برأس ماله فيقعده عن سوقه ويتعدّد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من الغت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض أموالهم عن السعي في ذلك جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونمو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة او دخلها النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجدها بالنسبة اقل من التليل ثم اند ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الجباية فيما يعانيد من شراء وبيع فانه من البعيد ان يؤخذ منه فيه مكس ولو كان غير في تلك الصفقات لكان مكسها كلها حاصلا من جملة الجباية ثم فيد التعرض لفساد عمرانده واختلال الدولة بفساده ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تشيير اموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف احوالهم فانهم ذلك

(واقداً) كان الفرس لا يبيلكون عليهم الا من اهل بيت
 المملكة ثم يختارونه من اهل الدين والنضل والادب والسخاء
 والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان
 لا يتخذ ضيعة فيضرب بجيرانه ولا يتاجر فيحبّ غلاء الاسعار
 في البضائع ولا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير
 ولا مصالحة واعلم ان السلطان لا يثمر ماله ويدّر موجوده
 الا الحباية وادراجها انما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر
 لهم فبذلك تبسط آمالهم وتشرح صدورهم للاخذ في تميم
 الاموال وتنشيتها فتعظم منها حباية السلطان واما غير ذلك
 للسلطان من تجارة او فلاح فانما هو مضرة عاجلة للرعايا
 وفساد للحباية ونقص للعمارة واقداً ينتهي الحال بهؤلاء المنتحلين
 للتجارة والفلاحة من الامراء والتغلبين في البلدان انهم
 يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين الى
 بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في
 رقبها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يفرضونه من الثمن
 وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم
 وربما يحصل السلطان على ذلك من يداخلة في هذه
 الاصناف اعني التجار والفلاحين بما هي صناعتهم التي نشاء
 عليها فيحصل السلطان على ذلك ويضرب معد بسهم
 لتسهل فيحصل على غرضه من جمع المال سريعاً سيما مع

ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر
بنهـ والاموال واسرع فى تشهيرها ولا يفهم مع ذلك ما
يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغى
للسلطان ان يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعائتهم المضرة
بجبايته وسلطانه والله سبحانه وتعالى يلهمنا رشد انفسنا
وينفعنا بصالح اعيالنا لا رب غيره

فصل فى ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون
فى وسط الدولة

والسبب فى ذلك ان الجباية فى اول الدولة تتوزع على
القبيل واهل العصبية بيقدار غنائهم وعصبيتهم ولان الحاجة
اليهم فى تهديد الدولة كما قلناه من قبل فربسهم فى ذلك
متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية معراض عن ذلك
بما هو يروم من الاستبداد عليهم فالهم عزة وله اليهم
حاجة فلا يطير فى سهمانه من الجباية الا لاقبل من حاجته
فتجد حاشيته لذلك واذياله من الوزراء والكتاب والموالى
مسلتين فى الغالب وجاههم متقلص لانه من حاد مخدومهم
ونطاقه قد ضاق بين يزارحه فيه من اهل عصبية فاذا
استفحلت طبيعة الهلك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد
على قومد قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين

الناس في سبائهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلّة غنائهم في الدولة بما انكبح من اعتنتهم وصار الموالى والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية او معظيها ويحتوى على الاموال ويحتجها للنفقة في مهبّات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلى خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويده من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطى ويتسع جاههم ويقننون الاموال ويتأثرونها ثم اذا اخذت الدولة في الهرم بتلاشى العصبية وفناء القبيل الماهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخواج والنازعين والشوار ويوهم الانتقاص فصار خسارجه لظهرانء واعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبية وانفق خزائنه وحاصله في مهمات جبر الدولة وقتلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فينقاص ظل النعمة والشرف عن الخواص والنجاب والكتاب بتقاص الجاه عنهم وضييق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وينفق ابناء البطانة والحاشية ما تاقل اباؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه اباؤهم وسلفهم من

المناصحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم فيصطلمها وينتزعها منهم لنفسه شيئاً فشيئاً وواحداً بعد واحد على نسبة رتبهم وتتسكّر (1) الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالها واهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني المسجد بعد ان يدعمه اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بنى قحطبة وبنى برمك وبنى سهل وبنى طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انخلالهم ايام الطوائف في بنى شهيد وبنى ابي عبدة وبنى حدير وبنى برد وامثالهم وكذا في الدولة التي ادركناها لعهدنا ستة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً (فصل) ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص عن رتبة السلطان بما حصل بايديهم من مال الدولة الى قطر اخر ويرون انه هنا لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاورام المنسدة لاحوالهم وذيابهم واعلم ان التخلص من ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع فان صاحب هذا الغرض ان كان هو المالك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين ولا اهل العصبية

(1) Man. A. et B. تنكى.

المزاحمون له بل في ظهور ذلك منه هدم ملكه وتلاوى نفسه لتجاري العادة بذلك لان ربة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر واما ان كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب في دولته فقل ان يخلى بينه وبين ذلك اما اولاً فلما يراه الملوكت ان ذويهم وحاشيتهم بل وسائر رعاياهم مهاليك لهم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسمحون بحمل ربقته من الخدمة صنانة باسراهم واحوالهم ان يطالع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو امية بالاندلس يمنعون اهل دولتهم من السفر لفريضة الحج ليا يتوجهونه من وقوعهم بايدي بنى العباس فلم يحج سائر ايامهم من اهل دولتهم وما ابيح الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوائف واما ثانيا فانهم وان سحروا بحمل ربقته فلا يسمحون بالتجافي عن ذلك المال ليا يرون انه جزء من مالهم كما كان ربة جزءاً من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتحوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال او ابقائه كما هو جزءاً من الدولة يستغفون به ثم اذا توهمنا انه خاص بذلك المال الى قطر اخر وهو في المصادر الاقل

فتمتد إليه اعين الملوك بذلك القطر وينتزعونه بالارهاب
 والتخويف تعريضا او بالتهدر ظاهرا لما يرون انه مال الحبيابة
 والدول وانه مستحق للانفاق فى المصالح فاذا كانت عيونهم
 تمتد الى اهل الثروة واليسار المكتسبين من وجوه المعاش كما
 ذكرنا فاحرى بها ان تمتد الى مال الحبيابة والدول التى
 تجد السبيل اليه بالشرع والعادة وانظر ما وقع لتقاضى جبلة
 الشاير بها على ابن عمار صاحب طرابلس لما غلبه الفرنج
 عليها ونجا الى دمشق ثم الى بغداد وفيها السلطان بركياروق
 بن ملكشاه وذلك آخر المائة الخامسة فجاءه وزير
 السلطان واستقرض منه غالب ماله ثم استصفوه جميعا وكان
 لا يعبر عنه كثرة ولقد حاول السلطان ابو يحيى زكريا بن
 احمد اللحماني تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بافريقية
 الخروج عن عهدة الهالك والحاقد بمصر فرارا من طلب
 صاحب الثغور العربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل
 اللحماني الرحلة الى ثغر طرابلس يورى بتبهيده وركب
 السفن من هناك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل
 جميع ما وجد ببيت المال من الصامت والذخيرة وبيع
 كلها كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب
 واحتبل ذلك كله الى مصر ونزل على الهالك الناصر محمد
 بن قلاوون سنة تسع عشرة من الهابة الثامنة فاكرم نزله ورفع

مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئاً فشيئاً بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللحماني الا في جرابته التي فرض له الى ان هلك ستة ثمان وعشرين حسبما تذكره في اخباره فهذا وامثاله من جيلة الوسواس الذي يعترى اهل الدول لما يتوقعون من ملوكهم من المعاطب وانما يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوقعونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كافي في وجدان المعاش لهم بالجزايات السلطانية او بالجماء في احتمال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبتهما واذا ترد الى قليل تقنع والله الرزاق ذو القوة المتين

فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجج السلطان الاموال والجبايات او فقدت فلم يصرفها قل حينئذ ما بايدي الحاشية وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقتل نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من مواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر لتقل الاموال فيقل الخراج لذلك لان

الخراج والجباية انها يكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق
الاسواق وطلب الناس للفوائد والارياح ووبال ذلك عائد
على الدولة بالنقص لقلّة اموال السلطان حينئذ بقلّة الخراج
فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم امّ الاسواق كلّها
واصلها وماذتها في الدخل والخرج فاذا كسدت وقل
مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل
ذلك واشد منه وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعيّة
والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده
فقدته الرعيّة سنّة الله في عباده

فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بآمالهم في
تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها
انتهابها من ايديهم واذا ذهبت آمالهم في اکتسابها
وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى
قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في
الاكتساب فان كان الاعتداء كثيرا وعمّا في جميع ابواب
المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة
بدخوله من جميع ابوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض
عن الكسب على نسبته والعمران ووفوره ونفاق اسواقه انما

هو بالاعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين
وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن
المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال واندرع
الناس في آفاق من غير تلك الايالة وفي طلب الرزق
فيما خرج عن نطاقها فحَقَّ ساكن القطر وخلت دياره
وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان
لما اتىها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في
ذلك ما حكاه المسعودى في اخبار الفرس عن الهوبذان
صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به
للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته
في الدولة بضرب الميثال في ذلك على لسان اليوم حين
سمع الملك اصوانها وسأله عن فهم كلامها فقال ان يوما
ذكرنا يروم نكاح يوم انشى وانها شرطت عليه عشرين قرية
من الخراب في ايام بهرام لتزوج فيها فقبل شرطها وقال
لها ان دامت ايام الملك اقطعتك الف قرية وهذا اسهل
مرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالهوبذان وسأله عن
مراده فقال ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية
والقيام له بطاعته والتصرف تحت امره ونهيده ولا قوام
للمشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال
الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة

آلا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب
 وجعل له قيبا وهو الملك وأنتك أيتها الملك عمدت
 الى الضياع فانترعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج
 ومن توخذ منهم الاموال واقطعتها الحاشية والخدم وارباب
 البطالة فتركوا العبارة والنظر فى العواقب وما يصاح الضياع
 وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف
 على من بقى من ارباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن
 ضياعهم وحلوا ديارهم واووا الى ما بعد او تعذر من الضياع
 فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال
 وهلك الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من
 جاورهم من الملوك لعلمهم بانتطاع المواد التى لا تستقيم
 دعائم الملك الآ بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على النظر
 فى ملكه وانتزعت الضياع من ايدى الخاصة وردت الى
 اربابها وحلوا على رسومهم السالفة واخذوا بالعمارة وقوى
 من ضعف منهم فعمرت الارض وانصبت البلاد وكشرت
 الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد
 الاعداء وشحنت الثغور واقبل الملك على مباشرة امورد
 بنفسه فحسننت ايامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه
 الحكاية ان الظلم مخرب لل عمران وان عائدة الخراب فى
 العمران على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر فى ذلك

الآ (1) ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك آتيا جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل المصر فلما كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا واحواله متسعة بيا لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيرا اذ النقص آتيا يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من اصلها قبل خراب المصر وتجيى الدولة الاخرى فترقعها (2) بجدتها وينحصر النقص الذي كان خفيا فيد فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل والمراد من هذا ان حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لها قدمناه ووبالده عائد على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكة من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبه في عمله او طالبه بغير حق او فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فحجاة الاموال بغير حقها ظلمة والاعتدون عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لذهاب

1 Man. A. et B. الي.

(2) فترقعها. Man. A. et B.

الاموال من اهلہ واعلم ان هذه هي الحكمة المتصودة للشارع في تحريم الظلم وما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابده وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة (1) من حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال فلما كان الظلم كما رايت مؤذنا بانقطاع النوع لها ادى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وادلتته من القران والسنة كثيرة اكثر من ان ياخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل احد قادرا عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المنسذات للشرع التي يتقدر كل احد على اقترابها من الزناء والقتل والسكر الا ان الظلم لا يتقدر عليه الا من لا يقدر عليه لانه انما يقع من اهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكثير الوعيد فيه عسى ان يكون الوازع فيه للتأدب عليه من نفسه وما رتك بظلام للعبيد ولا تقولون ان العقوبة قد وضعت بازاء الحرابة في الشرع وهي من ظلم القسادر لان المحارب زمن حرابته قادر فان الجواب عن ذلك من طرفين احدهما ان تقول العقوبة التي وضعت في ذلك انما هي بازاء ما يقترفه من الجنايات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة

1 الحسنة. A. et B.

بجانيته واما نفس الحرابة فهي خلو من العقوبة الطريق
الثاني ان نقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانا انما نعى
بقدره الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي
المؤذنة بالخراب وانما قدرة المحارب فانما هي اخافة
يجعلها ذريعة لاختذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة
شرعا وسياسة فليست من القدرة المؤذنة بالخراب والله
قادر على ما يشاء (فصل) ومن اشد الظلمات واعظمها
افسادا للعمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
وذلك ان الاعمال من قبيل التمولات لما سنبتين في
باب الرزق ان الكسب والرزق انما هو قيم اعمال اهل
العمران فاذا مساعيتهم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم
بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعيّة المعتملين في العيارة
انما معاشهم ومكاسبهم من ائتمالهم ذلك فاذا كلفوا العمل
في غير شأنهم واتخذوا سُخْرِيًا في غير معاشهم بطل كسبهم
واغتصبوا قبيّة عليهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليه الضرر
وذبح لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة
وان تكرر ذلك عليهم افسد ائمالهم في العيارة وقعدوا عن
السعى فيها جملة فادى ذلك الى انتقاص العمران وتخربيد
والله يرزق من يشاء بغير حساب فصل واعظم من ذلك
في الظلم وافسد للعمران والدولة التسايط على الناس في

شراء ما بأيديهم بانبخس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم
بارفع الاثمان على وجه الغصب والاكراه فى الشراء والبيع
وربما يفرض عليهم تلك الاثمان على التراخى والتأجيل
فيتعللون فى الخسارة التى تلاحقهم بما تحدثهم به الطامع
من جبر ذلك بحوالة الاسواق فى تلك البضائع التى
فرضت عليهم بالغلاء ثم يطالبون بتلك الاثما معجلة
فيضطرون الى بيعها بانبخس الثمن وتعود خسارة ما بين
الصفقتين على رؤس الاموالهم وقد يعتم ذلك اصناف
التجار البقيين بالمدينة والواردين من الآفاق فى البضائع وسائر
السوق واهل الدكاكين فى المأكى والفواكه واهل
الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة
سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على البياعات وتحتجف
برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا التعود عن الاسواق
لذهاب رؤس الاموال فى جبرها بالارباح ويتثاقل الواردون
من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من اجل ذلك فتكسد
الاسواق ويبطل معاش الرعايا لان عاتتد من البيع والشراء
واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنقص جباية
السلطان او تفسد لان معظمها من اواسط الدولة وما بعدها
انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويئل ذلك
الى تلاشى الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل

على التدريج ولا يشعر به هذا فيما كان بمثابة هذه الذرائع
والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها مجاناً والعدوان على
الناس في اموالهم وحرمتهم ودمائهم وابشارهم واعراضهم فهو
يفضى الى الخلل والفساد دفعة وتنتقض الدولة سريعاً لما
ينشأ عنه من الهرج المفضى الى الانتقاض ومن اجل هذه
المناسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع
والشراء وحظر اكل اموال الناس بالباطل سداً لابواب المناسد
المفضية الى انتقاض العمران بالهرج او بطلان المعاش واعلم
ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسيطان الى
الاكثار من الاموال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال
فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على
التوازين المعتادة فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها
الحباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد
والخرج بسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق
الدولة يضيق الى ان تنحى دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها
طالبها والله مقتدر الامور لا رب غيره

فصل في الحجاب كيف يقع في الدولة وانه يعظم
عند الهرم

اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع

الملك كما قدمناه لانها لا بد لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة هي شعار العصبية فالدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضا عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في امرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاظة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للتحديث مع اوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من غاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن ببابه على من لا بد منه من اوليائه واهل دولته فيكون حاجبا له عن الناس وبقية ببابه لهذه الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيهما لا يرضيهم فسخطوه وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بعرفة هذه الآداب معهم الخواص من اوليائهم وحبوا غير اولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظا على انفسهم من معانية ما يسخطهم وعلى الناس من التعرض لعتابهم فصار

لهم حجاب اخر اخص من الحجاب الاول يفضى اليهم منه
خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم والحجاب
الثانى يفضى الى مجالس الاولياء ويحجب دونه من سواهم
من العامة فالحجاب الاول يكون فى اول الدولة كما ذكرنا
كما حدث ايام معاوية وعبد الملك وخلفاء بنى امية
وكان الثائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب
حربا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة
بنى العباس وحدث للدولة من الترف والعزما هو معروف
وكملت خالق الملك على ما يجب فيها فدعى ذلك
الى الحجاب الثانى وصار اسم الحاجب اخص به وصار
باب الخلفاء داران للغاشية دار للخاصة ودار للعامة كما
هو مسطور فى اخبارهم ثم حدث فى الدول حجاب ثالث
اخص من الاولين وهو عند محاولة الجبر على صاحب الدولة
وذلك ان اهل الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء
من الاعتاب وحاولوا الاستبداد عليهم فاول ما يبداء به ذلك
المستبد ان يحجب عند بطانة ابيه وخواص اوليائه توهمه (1)
ان فى مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيئة وفساد قانون
الادب ليقطع بذلك عند لقاء الغير ويعوده ملابسة اخلاقه
هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه

(1) Man. A. B. et D. يوجهه .

فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدول كما قدمناه في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه اهل الدول على انفسهم لانّ القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطبايعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من اعتاب ملوكها لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا مع الترشح لذلك وحصول دواعيه ومباييده والله غالب على امره

فصل في انقسام الدولة الواحدة الى دولتين

اعلم ان اول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عند ما يستفحل ويبلغ احوال الترف والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد وينفرد به يأنف حينئذ عن المشاركة ويصير الى قطع اسبابها ما استطاع باهلاك من استراب به من ذوي قرابته المشركين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية واجتمع اليهم من ياحق بهم في مثل حالهم من الاسترابة والاعتزاز ويكون نطاق الدولة قد احد في التصانق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى

يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها عزيزا مجتمعا ونطاقها ممتدا في الاتساع وعصبية بنى عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلف سائر ايامهم الا ما كان من نزعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لنزاحتهم العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بنى امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتفلس عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكا واقتطعها عن دعوتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج بد وقام بامرء وامر ابنه من بعده البرابرة من اوربة ومغيلة وزنانة واستولى على ناحية المغربين ثم ازادت الدولة تقاصا فاضطربت الاغالبية على الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على افريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الادارسة وقسموا الدولة دولتين اخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بنى العباس بمركز العرب واصلاحهم ومادة الاسلام ودولة بنى امية المجددين بالاندلس ملكهم التديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيديين بافريقية ومصر والشام والحجاز ولم

نزل هذه الدول الى ان كان انقراضها متقاربا او جميعا
وكذلك انقسمت دولة بنى العباس بدول اخرى فكان
بالجزيرة والموصل بنو حمدان وبنو عقيل بعدهم وبمصر
والشام بنو طولون وبنو طنجج بعدهم وكان بالقاصية بنو سامان
في ما وراء النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل
ذلك الى استيلاء الديلم على فارس والعراقين وعلى بغداد
والخلفاء ثم جاء الساجوقية فملكوا جميع ذلك ثم
انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستئجال كما هو معروف في
انبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافريقية
لها بلغت الى غايتها ايام باديس بن المنصور وخرج عليه
عمه حماد واقتطع ممالك المغرب لنفسه ما بين جبل
اوراس الى تلسان وملوية واحتط القلعة بجبل كنامه (1) حبال
الهيئلة ونزلها واستولى على مركزهم اشير بجبل تيطرى
واستحدث ملكا اخر قسيما (2) لملك آل باديس وبقي آل
باديس بالتيروان وما اليها ولم يزل ذلك الى انقراض امرهما
جميعا وكذلك دولة الموحديين لما تقلص ظلها نار بافريقية
بنو ابي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لاعتقابهم
بنواحيها ثم لها استغفل امرهم واستولى على الغاية خرج
بالممالك الغربية من اعتقابهم الامير ابو زكريا يحيى بن

(1) Man. A. et B. كباته.

(2) Man. A. قسيما. C. et D. قسيما.

السلطان ابي اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا بجاية وقسنطينة وما اليها اورثه بنيه وقسموا به الدولة قسمين ثم استولوا على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهى الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة فى غير اعياص الملك من قومه كما وقع فى ملك الطوائف بالاندلس وملوك العجم بالمشق وفى ملك صنهاجة بافريقية فقد كان لآخر دولتهم فى كل حصن من حصون افريقية ثائر مستقل بامرته كما نذكره وكذا حال الجريد والزراب من افريقية قبيل هذا العهد كما نذكره ايضا وهكذا شأن كل دولة لا بد وان تعرض فيها عوارض الهرم بالتزرف والدمعة وتقلص ظل الغلب فيقتسم اعياصها او من يغلب من رجال دولتها الامر وتتعدد فيها الدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم واسبابه واحدا بعد واحد وبيّنا انها تحدث للدولة بالطبع وانها كلها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا فى الدولة كان حدوده بمثابة حدود الامور الطبيعية كما يحدث الهرم فى المزاج الحيوانى والهرم من الامراض الزمنية التى لا يمكن دواؤها

ولا ارتفاعها لما انه طبيعىّ والأمور الطبيعيّة لا تتبدّل وقد يتنبّه كثير من اهل الدول ممّن له يقظة فى السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم واسبابه ويحسبه ممكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافى الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويظنّ انه لحقها لتقصير من قبله من اهل الدولة او غفلتهم ليس كذلك فانها امور طبيعيّة للدولة والعوائد هى المانع من تلافياها والعوائد تتنزل منزلة طبيعة اخرى فانّ من ادرك مثلا اباه وكبراء اهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلّون بالذهب فى السلاح والهرابك ويحتجبون عن الناس فى المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه فى ذلك الى الخشونة فى اللباس والزى والاختلاط بالناس اذ العوائد حينئذ تمنعه وتقمح عليه مرتكبه ولو فعله لرُمى بالجنون والوسواس فى الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عائدة ذلك وعاقبته فى سلطانه وانظر شأن الانبياء فى انكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الالهى والنصر السماوى (وربما) تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابته تعوض عن موقعها من النفوس فاذا ازبلت تلك الابته مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بدوام اوام الابته فتتدرج الدولة بتلك الابته ما امكنها حتى ينقضى الامر وربما تحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع

عنها وبومض ذبالها ايماضة الخمود كما يقع في الذبال
المشتعل فانه عند مقاربة انطفائة يومض ايماضة توهم انها
اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله وحكمته
في اطراد وجوده على ما قدر فيه فلكل اجل كتاب

فصل في كنيّة طروق الخلل للدول

اعلم ان مبنى الملك على اساسين لا بدّ منهما فالاول
الشوكة والعصبية وهو العبر عند الجند والثاني المال الذي
هو قوام اولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من
الاحوال والخلل اذا طرق الدولة طرقها من هذين الاساسين
فلنذكر اولا طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع
الى طروقه في المال والسجاية واعلم ان تهديد الدولة وتأسيسها
كما قلناه انما يكون في العصبية وانه لا بدّ من عصبية كبرى
جامعة للعصايب مستتعة لها وهي عصبية صاحب الدولة
الخاصة به من عشيره وقبيله فاذا جاءت للدولة طبيعة
الملك والترف وجدع انوف اهل العصبية كان اول ما يجده
انوف عشيره وذوى قرباه المتناسين له في اسم الملك
فيشتد في جدع انوفهم بابلغ من سواهم ويأخذهم الترف
ايضا اكثر من سواهم ليكأنهم من الملك والعز والغلب
فيحيط بهم هادمان وهما الترف والتفهر ثم يصير التفهر آخرها

الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فتقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والتصرف الذى تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقتلون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهى العصبية الكبرى التى كان يجمع بها العصائب ويستتبعها فتتحل عروتها وتضعف شكيتها ويستبدل منها بالبطانة من موالى النعمة وصنائع الاحسان ويتخذ منهم عصبية لا انها ليست مثل تلك فى شدة الشكيمة لفقدان الرحم والقراية منها وقد كنا قدمنا ان شأن العصبية وقوتها انما هى بالقراية والرحم لما جعل الله فى ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار اهل النعمة الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقلد الاخر من اهل الدولة فى ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذى قدمناه فيستولى عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينسوا نعرتها وسورتها ويصيروا اجراء على الحماية ويقتلون لذلك فتقتل الحماية التى تنزل بالاطراف والشعور فتستجاسر الرعايا على نقض الدعوة فى الاطراف وتبادر الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى

تلك الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بمتابعة اهل القاصية لهم وامنهم من وصول الحامية اليهم ولا ييزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق حتى تصير الخوارج فى اقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاث على قدر قوتها فى الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصبيتها لكن ادعانا لاهل عصبيتها ولغلبهم المعهود (واعتبر) هذا فى دولة العرب فى الاسلام انتهت اولا الى الاندلس والهند والصين وكان امر بنى امية نافذا فى جميع العرب بعصبية عبد مناف حتى لقد امر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد امره ثم تلاشت عصبية بنى امية بما اصابهم من الترف فانقضوا وجاء بنو العباس ففضوا من اخذ بنى هاشم وقتلوا الطالبين وشرذوهم فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية مثل بنى الاغاب بافريقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بامرهم ادعانا للعصبية التى لهم وامنا ان يصلحهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج الدعاة اخرا فيتغلبون على الاطراف والقاصية ويحصل لهم منالك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى

زادت الدولة تقلصا الى ان تنتهي الى المركز وتضعف
البطانة بعد ذلك بما اخذ منها الشرف فتهلك وتضمحل
وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك
فتستغنى عن العصبية بما حصل لها من الصبغة في نفوس
اهل ايلاتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة
التي لا يعقل احد من الاجيال مبدأها ولا اوليتها فلا يعقلون
الا التسليم لصاحب الدولة فتستغنى بذلك عن قوة
العصائب ويكفي صاحبها في تمهيد امرها الاجراء على الحماية
من جندي ومرترق وبعض ذلك ما وقر في النفوس
عامّة من عقيدة التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا او
خروجا الا والجمهور منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على
التصدى لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في
هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم
والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يحتاج
في ضميرها انحراف عن الطاعة فتكون اسلم من الهرج
والانتقاص الذي يحدث بالعصائب والعشائر ثم لا يزال امر
الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحرارة الغريزية
في البدن العادم للغذا الى ان تنتهي الى وقتها المقدور
فلكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله مقدر الليل والنهار
واما الخلل الذي يتطرق من جهة الشمال

فاعلم ان الدولة فى اولها تكون بدوينة كما مر فيكون لها خلق الرفق بالرعايا والقصد فى النفقات والتعفف عن الاموال فتستجافى عن الامعان فى الجباية والتخذلق والكيس فى جمع المال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف فى النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثير المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان واهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو ذلك الى الزيادة فى اعطيات الجند وازراق اهل الدولة فيكثر الاسراف فى النفقات وينتشر (1) ذلك فى الرعية لان الناس على دين الدولة وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على ايمان البياعات فى الاسواق لادرار الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وازراق جنده ثم تزيد عوائد الترف فلا تفى بها اليكوس وتكون الدولة قد استفحلت فى الاستطالة والقهر لهن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او تعد فى بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند فى ذلك الطور قد تجاسروا على الدولة بما لحقها من الفشل

(1) منشئ. D. ينشر. Man. C.

والهرم من العصبية فيتوقع ذلك منهم ويبدأوى تسكينه
بإفاضة العطاء وكثرة الانفاق فيهم ولا يجد عن ذلك وليجة
ويكون جباة الاموال فى الدولة قد عظمت ثروتهم فى هذا
الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وربما اتسع لذلك من
جاههم فتتوجه التهم اليهم باحتجان الاموال من الجباية
وتفشو السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والحسد
فتعهم الذكبات والصادرات واحدا بعد واحد الى ان
تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم وينفد ما كان للدولة من
الايهة والجمال بهم واذا أُعْطِلِمَتْ نعمهم تجاوزتهم الدولة
الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوجه فى هذا
الطور قد لحق الشموكة وضعت عن الاستطالة والقهر
فتتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور
ببديل المال ويراد انفع من السيف لقلّة ضايده فتعظم حاجته
الى الاموال زيادة على النفتات وارزاق الجند ولا تغنى فيما
يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدول
تتحل عراها فى كل طور من هذه الى ان تفضى الى الهلاك
ويتعرض الاستيلاء الطلاب فان تصدها طالب انتزعتها من
ايدى القائمين بها والآبقيت وهى تتلاشى الى ان
تتسحل كالذبال فى السراج اذا فنى زيتى وطنى والله تعالى
مالكت الامور ومدبر الاكوان لا اله الا هو

فصل فى اتساع نطاق الدولة اولا الى نهايته ثم تضايقه
طورا بعد طور الى فناء الدولة واضمحلالها

قد كان تقدم لنا فى فصل الخلافة والملك وهو الثالث
من هذه المقدمة ان كل دولة لها حصة من المسالك
والعمالات لا تزيد عليها واعتبر ذلك بتوزيع عصابة الدولة
على حماية اقطارها وجهاتها فحيث نفذ عددهم فالطرف
الذى انتهى عنده هو الثغر ويحيط بالدولة من سائر جهاتها
كالنطاق وقد تكون النهاية هى نطاق الدولة الاول وقد يكون
اوسع منه اذا كان عدد العصابة اوفر من الدولة قبلها وهذا
كمد عند ما تكون الدولة فى شعار البداوة وخشونة البأس فاذا
استفحل العز والغلب وتوقرت النعم والارزاق بدرور الحجايات
وزخر بحر الثرى والحضارة ونشأت الاجيال على اعتياد
ذلت لطفت اخلاق السامية ورققت حواشيهم وعاد من
ذلك الى نفوسهم حيات السجين والكسل بما يعانونه من
حذت الحضارة المؤدى الى الانسلاخ من شعار البأس
والرجولية بمفارقة البداوة وخشونتها وباخذهم العز بالتناول الى
الرياسة والشناج فيها فينضى الى قتل بعضهم وبعضهم ويكبحهم
السلطان عن ذلك بما يؤدى الى قتل اكبرهم واملاك
رؤسائهم فتتخذ الامراء والكبراء ويكسر التابع والبروس فيقتل

ذلك من حدّ الدولة ويكسر من شوكتها ويقع الخلل
 لاول في الدولة وهو الذي من جهة الجند والحامية كما
 تقدّم ويساوق ذلك السرف في النفقات بما يعتبريهم
 من آبهة العز وتجاوز الحدود في البذخ بالمناغات فسى
 المطاعم والىلابس وتشبيد القصور واستجادة السلاح وارتباط
 الخيول فيقتصر دخل الدولة حينئذ من خرجها ويترك الخلل
 الثانى في الدولة وهو الذى من جهة المال والجباية
 ويحصل العجز والانتقاص بوجود الخللين وربما تنافس
 رؤسأوهم فتنازعا وعجزوا عن مغالبة المجاورين والهنازين
 ومدافعتهم وربما اعتزّ اهل الثغور ولاطراف بما يحسبون من
 ضعف الدولة وراءهم فيصيرون الى الاستقلال والاستبداد بما
 فى ايديهم من العملات ويعجز صاحب الدولة عن حملهم
 على المجادة فيعيق نطاق الدولة عما كانت انتهت السيد
 فى اولها وترجع العناية فى تدبيرهما بنطاق دونه الى ان
 يحدث فى النطاق الثانى ما حدث فى الاول بعينه من
 العجز والكسل فى العصابة وقلة الاموال والجباية فيذهب الثائم
 بالدولة الى تغيير القوانين التى كانت عليها سياسة الدولة
 فى قبل الجند والمال والولايات ليجرى حالها على استقامة
 بتكافؤ الدخل والخرج والحامية والعملات وتوزيع الجباية
 على الارزاق ومقايسة ذلك باول الدولة فى سائر الاحوال

والمفاسد مع ذلك متوقعة من كل جهة فيحدث في هذا
الطور من بعد ما حدث في الاول من قبل ويعتبر صاحب
الدولة ما اعتبره الاول وبقايس بالوزان الاول احوالها الثانية
يروم دفع مفاسد الخلل الذى يتجدد في كل طور ويأخذ
من كل طرف حتى يضيق نطاقها الاخر الى نطاق دونه
كذلك ويقع فيد ما وقع في الاول وكل واحد من هؤلاء المغيرين
للقوانين قبلهم كأنهم منشؤون دولة اخرى ومجددون مسلكا
حتى تنقرض الدولة وتتناول الاسم حولها الى التغلب
عليها وإنشاء دولة اخرى لهم فيقع من ذلك ما قدر الله
وقوعه (واعتبر ذلك في الدولة الاسلامية كيف اتسع نطاقها
بالتفوحات والتغلب على الاسم ثم تزايد الحمامية وتكاثرت
عددتهم بما تخولوه من النعم والارزاق الى ان انقرض امر بنى
امية وغلب بنو العباس ثم تزايد الترف ونشأت الحضارة
وطرق الخلل فضاقت النطاق من الاندلس والمغرب بحدوث
الدولة الاموية المروانية والعلوية واقتطعوا ذيك الشغرين عن
نطاقها الى ان وقع الخلاف بين بنى الرشيد وظهر دعاة
العلوية في كل جانب وتهددت لهم دول ثم قتل المتوكل
واستبد الامراء على الخلفاء وحجروهم واستقل الولاة بالعمالات
في الاطراف وانتزع الخراج منها وتزايد الترف وجاء
المعتصد فغير قوانين الدولة الى قانون اخر من السياسة

اقتطع فيه ولاية الاطراف ما غلبوا عليه مثل بنى سامان وراء
النهر وبنى طاهر العراق وخراسان وبنى الصفار السند وفارس
وبنى طولون مصر وبنى الاغلب افريقية الى ان افترق امر
العرب وغلب العجم واستبد بنو بويه والديلم بدولة الاسلام
وحجروا الخلافة وبقى بنو سامان فى استبداهم وراء النهر
وتطاول الفاطميون من المغرب الى مصر والشام فملكوه
ثم قامت الدولة الساجوقية من الترك فاستولوا على
ممالك الاسلام وابتقوا الخلفاء فى حجرهم الى ان تلاشت
دولهم واستبد الخلفاء منذ عهد الناصر فى نطاق اصبق من
هالة القمر وهو عراق العرب الى اصبهان وفارس والبحرين
واقامت الدولة كذلك بعض الشئ الى ان انقرض امر
الخلفاء على يد هولاءكو بن طولى بن دوشى خان ملك
الططر والمغل حين غلبوا الساجوقية وملكوا ما كان فى
ايديهم من ممالك الاسلام وهكذا يتضابق نطاق كل دولة على
نسبة نطاقها الاول ولا يزال طورا بعد طور الى ان تنقرض الدولة
واعتبر ذلك فى كل دولة عظمت او صغرت فهكذا سنة الله
فى الدول الى ان ياتى ما قدر الله من الغناء على خلقه
وكل شئ هالك الا وجهه

فصل في حدوث الدول وتجددها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم ولانتفاص تكون على نوعين اما ان تستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتفأص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وملك يستقر في نصابه ويرثه عند ابناؤه ومواليده ويستحل لهم الملك بالتدرج ورتبا يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستيثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتفأص ظلها عن القاصية فاستبدت بنو سامان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام وبنو طولون ببصرى وكما وقع في الدولة الاموية بالاندلس واقترق ملكها في الطوائف الذين كانوا ولائها في الاعمال وانقسمت دولا وملوكا اورثوها من بعدهم من قراباتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطبعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة وانما الدولة ادركها الهرم فتفأص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج من بجارها من الامم والتبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها

كما اشرنا اليه او بان يكون صاحب شوكة وعصبية كثيرا في قومه قد استفحل امره فيهم فيسمو بهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من المهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويرثون امرها كما وقع للساجوقية مع بنى سبكتكين وبنى مرين بالمغرب مع الموحدين واللذ غالب على امره

فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة
المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا تقع منهم المطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القموع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من الهطالسبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطاوله ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان

الظفر في الحروب أما يقع غالبا كها قدمناه بامور نفسانية
وهيية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه
قاصر مع تلك الامور الوهيية كيا مر ولذلك كان الخداع
من انفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به
وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت
العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير
موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة
ويكسر من همم اتباعه واهل شوكته وان كان الاقربون
من بطانته على بصيرة في طاعته وموازته الا ان الاخرين
اكثر وقد داخلهم الفشل والكسل بتلك العتائد في التسليم للدولة
المستقرة فيحصل الفتنور منهم ولا يكاد صاحب الدولة
المستجدة لذلك يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع
الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هزم الدولة المستقرة
فتسهل عقائد التسليم لها من قومه وتنبت منهم الهمم
لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة
المستقرة كثيرة الثرى بها استحکم لهم من الملك
وتسوغوه من النعم والذات واخصوا به دون غيرهم من
اموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاساحة
وتعظم فيهم الابته الماكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم
اختيارا واخطارا فيرهبون بذلك كله عدوهم واهل الدولة

المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة واحوال
الفقر والخصاصة التي يفقد معها الاستعداد من ذلك
فيسبق الى قلوبهم اوهام الرعب لما يبلغهم عن احوال الدولة
المستقرة وكثرة استعدادها ويحجبون عن قتالهم من اجل
ذلك فيضطر اميرهم الى المطاولة حتى تأخذ الدولة
المستقرة مأخذا من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبية
والحباية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في
الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة ستة الله في عبادته
وايضا فاهل الدولة المستجدة كلهم مباينون لاهل الدولة
المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم منافرون
لهم ومنابدون بما وقع من هذه المطالبة ويطمعهم في
الاستيلاء عليهم فتتمكن المباعدة بين اهل الدولتين سرا
وجهرا ولا يصل الى اهل الدولة المستجدة خبر عن اهل
الدولة المستقرة يصيرون به غرة فيهم باطنا ولا ظاهرا لانقطاع
المداخلة بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم معها في
اجام ونكول عن اليناجرة حتى اذا تاذن الله بزوال الدولة
المستقرة ونفاد غيرها ووفور الخلل في جميع جهاتها وانضح
لاهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى عنهم من
هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من اعمالها
ونقصوه من اطرافها فتنبعث جميعهم يدا واحدة لليناجرة

ويذهب ما كان يفت في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي
المطالبة الى حدّها ويقع الاستيلاء آخرًا بالمناجزة واعتبر ذلك
في دولة بنى العباس عند ظهورها وبدايتها كيف اقام الشيعة
بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر
سنيين او تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة
الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم
كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية
ثم لما انقضى امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس
والعراقيين فكشوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصهبان
وفارس ثم استولوا على الخليفة ببغداد (وكذا) العبيديون
اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي بين كتامة من
قبائل البربر عشر سنين وتزيد يطاول بنى الاغلب بافريقية
حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله ثم سما الى ملك
مصر فكشوا ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها
العساكر والاساطيل في كل وقت ويجي المدد لمدافعهم
برًا وبحرًا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والفيوم
والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت
بالحميرين ثم نازل قائددهم جوهر الكاتب بعسكرة مدينة مصر
واستولى عليها واقتلع دولة بنى طنج من اصولها واحتط
القاهرة فحجاء خليفته معد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة

او نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية (وكذا) الساجوقية ملوك الترك لما استولوا على بنى سامان واجازوا من وراء النهر مكثوا نحوها من ثلاثين سنة يطاولون ابن سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد وعلى الخليفة بعد ايام من الدهر وكذا الططر من بعدهم خرجوا من المفازة اعوام سبعة عشر وستماية فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة (وكذا) اهل المغرب خرج بهم المرابطون من لمتونة على ملوكهم من مغراوة فطاوولوهم سنين حتى استولوا عليهم (ثم) خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فمكثوا نحوها من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيمهم بيراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكثوا يطاولونهم نحوها من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في محاربتهم ثلاثين اخرى حتى استولوا على كرسيمهم بيراكش حسبما ذلك كله مذكور في تواريخ هذه الدول (فهكذا) حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والبطولة سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا (ولا يعترض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان الاستيلاء على فارس والروم لثلاث او اربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان معجزة من معجزات نبينا صلى الله

عليه وسلم سرقا استهانة المسلمين في جهاد عدوهم استبصارا (1)
 بالايمن من غير مطاولة وما اوقع الله في قلوب عدوهم
 كفى ذلك من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة
 المعلومة في مطاولة الدولة المستجدة المستقرة واذا كان
 ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله وسلامه
 عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات
 لا يناس عليها الامور العادية ولا يعترض بها

فصل في وفور العمران وواخر الدول وما يقع فيها من كثرة
 الموتان والمجاعات

انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدول في اول امرها لا بد
 من الرفق في ملكتها والاعتدال في ايلتها اما من الدين
 ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والمحاسنة التي
 تقتضيها البداوة الطبيعية للدول واذا كانت الهلكة رفيقة
 محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران. واسبابه
 فتوفر وكثر التناسل واذا كان ذلك كله بالتدريج فانها يظهر
 اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين
 تشرف الدولة على نهاية امرها الطبيعي فيكون حينئذ
 العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولون انه قد مر لك

(1) Man. D. استبصارا.

ان اواخر الدول يكون فيها الاجفاف بالرعايا وسوء الملكة
 فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجفاف وان
 حدث حينئذ وقتت الحبايات فانما يظهر اثره في تناقص
 العمران بعد حين من اجل التدرج في الامور الطبيعية (ثم)
 ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في اواخر الدول
 والسبب فيه اما المجاعات فلقبض الناس ايديهم عن الفلاح
 في الاكثر بسبب ما يقع في اواخر الدول من العدوان
 في الاموال والحبايات والبياعات بالمكوس او من الفتن
 الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخواج لهرم الدولة
 فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمّر
 الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار
 وقتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر الزرع
 والشمار والضرع على نسبه الا ان الناس وانفقون في اقوانهم
 بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فعلى
 الزرع وعجز عنه اولو الخصاصة فهلكوا او كان بعض
 السنوات والاحتكار منقود فشمّل الناس الجموع (واما) كثرة
 الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرنا او
 كثرة الفتن لاختلال الدول فيكثر الهرج والقتل او وقع الوباء
 وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه
 من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء

الروح الحيوانى وملابسه دائما فيسرى الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض فى الرية وهذه هى الطواعين وامراضها مخصوصة بالرية وان كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن بد ويتضاعف فتكثر الحبيبات فى الامزجة وتعرض الابدان وتهلك. وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة فى هذا كد كثرة العمران ووفوره آخر الدولة بما كان فى اوائها من حسن الملكة ورفقها وعظم الحماية وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذا تبين فى موضعه فى الحكمة ان تخلل الخلاء والفقر بين العمران ضرورى ليكون تمنع الهواء يذهب بما يحصل فى الهواء من الفساد والعفن بدخالطة الحيوانات ويانى بالهواء الصحيح ولهذا ايضا فان المواتن يكون فى المدن الموفورة العمران اكثر من غيرها بكثير كعصر بالمشرق وفاس بالمغرب والذ يقدر ما يشاء

فصل فى ان العمران البشرى لا بد له من سياسة
ينتظم بها امره

انذ قد تقدم لنا فى غير موضع ان الاجتماع البشرى ضرورى وهو معنى العمران الذى نتكلم فيه وانذ لا بد لهم فى الاجتماع من اراع وحاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه وايانهم

بالتواب والعقاب الذى جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها فى الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح فى العاقبة ولمراعاهه نجاة العباد فى الآخرة والثانية انما يحصل نفعها فى الدنيا فقط وما تسعده من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانها معناه عند الحكماء ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع فى نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكم وأما ويسمون المجتمع الذى يحصل فيه ما ينبغي من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المرعاة فى ذلك بالسياسة الهدية وليس مرادهم السياسة التى يحمل عليها اهل الاجتياح بالاحكام للمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير (ثم) ان السياسة العقلية التى قدمناها تكون على وجهين احدهما تراعى فيه المصالح على العموم ومصالح السلطان فى استقامة مملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهى على وجه الحكمة وقد اثنانا الله عنها فى الآية ولعهد الخلافة لان احكام الشريعة مغنية عنها فى المصالح العامة والخاصة والآداب واحكام الملك مندرجة فيها الوجه الثانى ان تراعى فيها

مصالحة السلطان وكيف يستقيم فيه الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً وهذه السياسة هي التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم فقوانينها أذن مجتمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أولاً ثم بالحكام في آدابهم والملوك في سيرهم ومن أحسن ما كتب في ذلك وأوعده كتاب طاهر بن الحسين قائد الأمون لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه الأمون الرقة ومصر وما بينهما (فكتب) اليد أبوه طاهر كتابه المشهور عهد إليه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يسغنى عنه ملك ولا سوقة ونص الكتاب منقولاً من كتاب الطبري وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلته سخطه وحفظ رعيته في الليل والنهار والنزوم ما البسكت الله من العافية بالذكر لعادتك وما أنت سائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عند العمل في ذلك كله بما يعصيك الله

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عز وجل وينجيك يوم القيامة عن عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب عليك الرأفة بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومشيحك عليه بما قدمت واخرت وفرغ لذلك فهدك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس امرك وملاك شأنك واول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعلك المواظبة على ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوقعها على سننها في اسبغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قراتك وتذكر في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحست يدك وادب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والنكرثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلعم والمشاورة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عاينه باستخارة الله عز وجل وتقواد وبلزوم ما انزل الله عز وجل في كتابه من

امره ونهيه وحلاله وحرامه وانهم ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلعم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك ولا تميلن عن العدل فيما احسبت او كرهت لقريب من الناس او بعيد وآثر الفقه واعلمه والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعالمين به فان افضل ما تزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والبحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فاند الدليل على الخير كله والقائد اليه والآمر به والناهي عن المعاصي واليوثقات كلها وبها مع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودرا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامركت والهيبه لسلطانك والانسة بك والشقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء ابين نفعا ولا احضرا منا ولا اجمع فضلا مند والقصد داعية الى الرشده والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالمة الرشده ولا غاية للاستكثار في البر والسعى له اذا كان يطلب به وجد الله تعالى ومرضاته ومرافقة اولياء الله تعالى في دار كرامته واعلم ان القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومرتبتهك

ولا تستصالح امورك بافضل منه فإتد به تتم امورك
وتريد مقدرتك وتصالح خاصتك وعامتك واحسن ظتك
بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والنس الوسيلة اليه في
الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من
الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف امره فان
ايقاع التهم بالبراء والظنون الستة بهم مائم فاجعل من
شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن
بهم وارفضه فيهم يغنيك ذلك عن اصطناعهم ورياعتهم
ولا يجدن عدو الله الشيطان في امرك مغبرا فانه انما
يكتفى بالتليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في
سوء الظن ما ينغص لذادة عيشك واعلم انك تجد بحسن
الظن قوة وراحة وتكتفى به ما احسبت كفايته من امورك
وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها
ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك ان
تستعمل المسئلة والسبح عن امورك والمباشرة لامور الاولياء
والحياطة للرعية والنظر فيما يقيدها وبصالحها بل تكن المباشرة
لامور الاولياء والحياطة للرعية في النظر في حوائجهم وحمل
سؤناتهم اثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا
للستة واحص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك
تفرد من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزى بما احسن

وماخوذ بما اساء فان الله عز وجل جعل الدين عزًا وحُرزًا
ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج
الدين وطريق الهدى واقم حدود الله تعالى في اصحاب
الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك
ولا تمتهاون فيه ولا توتر عقوبة اهل العقوبات فان في
تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن طاعتك واعزم
على امرتك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع
والنسيات يسلم لك دينك وتقم مروءتك واذا عاهدت
عهدا فف بده واذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة
وادفع بها واغض عن كل عيب ذي عيب من رعيته
واسدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة
فان فساد امورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذب
والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المأثم والزور والنميمة
خانتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقابلها لا يسلم له صاحب
ولا يستقيم لطبعها امر وأجب امر الصلاح والصدق واعين
الاشراق بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابغض بذلك
وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة
واجتنب سوء الاهواء والجور واعرف عنهما رايتك واظهر
براعتك لرعيته وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم
وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك

نفسك عن الغضب وآثر الوقار والحلم وإيتاك والحدّة
والطيش والغرور فيما انت بسبيلك وإيتاك ان تقول انا مسلّط
افعل ما اشاء فانّ ذلك سريع فيك الى نقص الرأى
وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له واخلص لله النية فيده
واليقين به واعلم ان الملك لله يؤتيد من يشاء وينزعه ممن
يشاء ولن تجد تغيير النعمة وحلول النعمة الى احد اسرع منه
الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم فى
الدولة اذا كفروا نعم الله عزّ وجلّ واحسانه واستظالموا بها اتاهم
الله عزّ وجلّ من فضله ودّع عنك شره نفسك ولتكن
ذخائر تك وكوزك التى تذخر وتكثر البرّ والتقوى والعدل
واستصلاح الرعية وعمارّة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ
لدمائهم ولاغاثة لهموفهم واعلم ان الاموال اذا كشرت
وذخرت فى الخزائن لا تثمر واذا كانت فى صلاح الرعية
واعطاء حقوقهم وكفى المؤنة عنهم نمت وزكت وصاححت
العامة وتزيتت به الولاة وطاب الزمان واعتقد فيه العزّ
والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال فى عمارّة الاسلام
واهلك وفرق منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم
واوف رعيّتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصالح امورهم
ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك
واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك فى جباية

خراجك وجمع اموال رعيّتك وعملك اقدر وكان الجميع
 لما شملهم من عدلك واحسانك اسكن لطاعتك واطيب
 نفسا بكل ما اردت فاجهد نفسك بما حددت لك في
 هذا الباب وليعظم خشيتك فيد فانما يبقى من الهال ما
 انفق في سبيل الله حقّه واعرف للشاكرين شكرهم
 وائيبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغورها هول الآخرة
 فتمتواون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط
 والتفريط يورث البوار وليكن عمك لله عزّ وجلّ وارح الثواب
 فان الله سبحانه قد اسغف عليك نعمته في الدنيا واطهر
 لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا
 واحسانا فان الله عزّ وجلّ يثيب بقدر شكر الشاكرين
 وسيرة المحسنين وقضى الحق فيما حمل من السهم والبس
 من الكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تمالين حاسدا ولا ترحمن
 فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهنن عدوا ولا تصدقن نماما
 ولا تامنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاوبا ولا تحمدن
 مرأيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن
 باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن موعدا ولا ترهبن فخرا
 ولا تظهرن غضبا ولا تأتين بذخا ولا تمشين مرحا ولا تركين
 سفيا ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا تدفع الايام عتابا
 ولا تغضب عن ظالم رحمة مند او سحابة ولا تظلمن ثواب

الأخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقول والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفة والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شئ أسرع فسادا لها استقبلت فيه امر رعيّتك من الشخّ واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلا فان رعيّتك أنّها تعتقد على محبّتك بالكفّ عن أموالهم وتركت الجور عليهم ووال من صفا لك (1) من اوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشخّ واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصى بمنزلة خزي وهو قول الله عزّ وجلّ ومن يوق شخّ نفسه فاولئك هم المفلحون سهّل طريق الجور بالحقّ واجعل للمسلمين كلهم من فيك حظا وايقن ان الجود من افضل اعمال العباد فاعدهه لنفسك خلقا وسهّل طريق الجور بالحقّ وارض به عيلا ومذهبا وتفقّد الجند في ذوائهم ومكاتبهم وأدرر (2) عليهم ارزاقهم ووسّع عليهم في معاشهم ليذهب الله عزّ وجلّ بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وامرّك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان

(1) M. C. et D. يدوم عفاء اوليائك لك.

(2) M. A. B. et C. ادر.

من السعادة ان يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله
وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فرايل مكروه
احد البابين باستشعار فضيلة الباب الاخر ولزوم العمل به
تلق ان شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء
من اللد تعالى بالمكان الذى ليس به شئ من الامور لانه
ميزان الله الذى تعدل عليه احوال الناس فى الارض
وباقامة الفصل والعدل فى القضاء تصالح احوال الرعية وتامن
السبل وينتصف المظلوم من ظلم وتأخذ الناس حقوقهم
وتحصن المعيشة وتؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية
والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها
بتنجز الحق فى القضاء واشتد فى امر الله عز وجل وتورع
من التظنيف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد
عن الضجر والتناق واقنع بالقسم وليسكن ربحك ويقر
حدك وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك واشدد فى
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجّة
ولا تاخذك فى احد من رعيته محاباة ولا مجاملة
ولا لومة لائم وثبت وتأان وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر
وتواضع لربك وارفق بجذيع الرعية وسلط الحق على
نفسك ولا تسرع الى سفك دم فان الدماء من الله عز
وجل بئكان عظيم انتهاكها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى

استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولائله
توسعة ومنعة ولعدوة وعدوهم كبنا وغيظا ولاهل الكفر من
معاهدتهم ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والنسوية والعموم فيه ولا تعرفن منه شئا عن شريف لشرفه
وعن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن احد من
خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن منه فوق الاحتمال ولا
تكلفن امرا فيه شظا واحمل الناس كلهم على مراحق فان
ذلك اجمع لالفتمهم والزم لرضاء العامة واعلم انك جعلت
بولايتهن خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهل عملك
رعيتك لانك راعيتهم وقيمتهم فخذ منهم ما اعطوك من عنوهم
وتغذاه في قوام امرهم وصلاتهم وتقويم اودهم واستعمل عليهم
ذوى الراى والتدبير والتجربة والخبرة والعلم بالسياسة
والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقيق
للزومة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلنك عنه
شاغل ولا يصرفنك عند صرف فانك متى ائرته وقمت
فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدوثة في عملك واجتررت (1) به المحبة من رعيتك
واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت
العدرة بناحيتهن وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك

1 احزرت

وتوقرت اموالك وقويت بذلك على ارتضاء جنديك
وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود
السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في
امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس في هذا ولا
تقدم عليه شئاً تحمد مغبة امرك ان شاء الله واجعل في
كل كورة من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك
ويكتب لك بسيرهم واعمالهم حتى كانتك مع كل عامل
في عمله معين لاموره كلها وان اردت ان تأمرهم باسم
فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة
فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمنه
والآفتوقف عند وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ في
عدته فانه ربما نظر الرجل في امر من امرة وقد اتاه على ما
يهوى فاعواه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه
ونقص عليه امرة فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره
بعد عون الله بالقوة واكثر من استشارة ربك في جميع
امورك وافرح من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته
بنفسك فان لغد امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك
الذي احترت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب ما فيه فاذا
احترت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيثقلك ذلك
حتى تعرض مند واذا امضيت لكل يوم عمله ارحت بدنك

ونفسك واحكمت امور سلطانتك وانظر احرار الناس وذوى
السن منهم فمن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت موذتهم لك
ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم
واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم
الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصالح حالهم حتى لا يجردوا
لحلتهم مسا وافرد نفسك للنظر فى امور الفقراء والمساكين
ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذى لا علم
له بطلب حقه فسل له عند اخفى مسئلة ووكل بامثاله
اهل الصلاح من رعيتك ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم
اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى
البأساء ويتامهم واراملهم واجعل لهم ارزاقا من بيت الال
اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله تعالى فى العطف عليهم
والصلة لهم ليصالح الله تعالى بذلك عيشهم ويرزقك
الله به بركة وزيادة وأجر للاضراء من بيت المال وقدم
حملة القران منهم والحافظين لاكشرد فى الجراية على
غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تويهم وقواما يرفقون
بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسغنهم بشهواتهم ما لم يؤد
ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا
اعطوا حقوقهم وافضل امانيتهم لم يرضهم ذلك ولم تطب
انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة

وفضل الرفق منهم وربيا يبرم المتصقح لامور الناس لكثرة
 ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره فيها مما يناله به مؤنة
 ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره
 في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستقبل ما يقربه
 الى الله ويلتمس رحمته فاكثر الاذن للناس عليك وأرهم
 وابرز لهم وجهك سكن لهم حراسك واخفض لهم جناحك
 واظهر لهم بشرتك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف
 عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب
 نفس والناس للصنعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان
 العظيمة على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بيا
 ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل
 السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتم
 في احوالك كلها بامر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند
 محبتة والعمل بشريعته وستة واقامة دينه وكتابه
 واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله
 واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها
 ولا تجوع حراما ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء
 ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها
 واظهار مكارم الاخلاق ومعاليتها وليكن اكرم دخلائك عليك
 وخاصتك عليك من اذا راي عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك

من انهاء ذلك اليك في سرّ واعلامك ما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه وموامراته وما عنده من حوائج اعمالك وامور كورك ورعيّتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهيك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عزّ وجلّ فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبيت فيه والمسئلة عنه ولا تمنن على رعيّتك ولا على غيرهم بعروف تؤثيه اليهم ولا تقبل من احد الا الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك واستخره فان الله عزّ وجلّ مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عزّ وجلّ رضى ولدينه نظاما ولاهله عزّا وتمكيناً وللايالة والذمة عدلا وصالحا وانا اسأل الله عزّ وجلّ ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلماتك والسلام (وحدّث) الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالأمّون ولما قرئ عليه قال ما ابقي ابو الطيب يعني طاهرا شيئا من امر الدنيا

والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعيّة
وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه
واوصى به ثم امر المامون فكتب به الى جميع العمال في
النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقفت
عليه في هذه السياسة والله يلهم من يشاء من عباده

فصل في امر الفاطمى وما يذهب اليه الناس في شأنه
وكشف الغطاء عن ذلك

ان من المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على مر الاعصار
انه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد
الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك
الاسلامية ويسمى بالمهدى ويكون خروج الدجال وما بعده
من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى
ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله
ويأتّم بالمهدى في صلاته ويحتججون في الباب باحاديث
خرجها الاية وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها
ببعض الاخبار وللمتصوفة المتأخرين في امر هذا الفاطمى
طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك
على الكشف الذى هو اصل طريقتهم ونحن الآن نذكر هنا
لاحاديث الواردة في هذا الباب وما للمكبرين فيها من

الطاعن وما لهم في انكارهم من الهستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة واراؤهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الائمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذى وابو داود والبزار وابن ماجة والحاكم والطبرانى وابو يعلى الهوصلى واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل على وابن عباس وابن عمر وطاحه وابن مسعود وابى هريرة وانس وابى سعيد الخدرى وام حبيبة وام سلمة وثوبان وقرّة بن اياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحارث ابن جزء باسانيد رتبها تعرض لها الهنكرون كما نذكره الآن لان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعنا في بعض رجال الاسناد بغفلة او سوء حفظ او قلة ضبط او ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث واهن منه ولا تقولون ان مثل ذلك رتبنا يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع من المحدثين على صحة ما فيها كما ذكره البخارى ومسلم والاجماع ايضا قد اتصل في الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيها وفي الاجماع اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك فقد نجد مجالاً للكلام في اسانيدهما لها نقل عن ائمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابى

خيشة على ما نقل السهيلي عنه في جيعه للحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكافي في فوائد الاخبار مسندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر (1) عن جابر قال قال رسول الله صلعم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال (2) فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك بهذا غلوا والله اعلم بصحة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكافي عندهم متهم وضاع واما الترمذي فمخرج هو وابو داود بسندهما الى ابن مسعود من طريق عاصم بن ابي النجود احد القراء السبعة عن زر بن ابي حبيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلعم لو لم يبق من الدنيا الا يوم قال زائدة لطلو اللد ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل متي او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابني اسم ابي هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وقال في كليهما حديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق

1. Man. A. et B. المنكدر.

2. Man. A. B. C. الدجال.

PROLÉGOMÈNES
d'Fbn-Khaldoan.

عاصم موقوفا على ابي هريرة وقال الحاکم رواه الثوري
وشعبة وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال
وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما
اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ائمة
المسلمين انتهى الا ان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان
رجلا صالحا قارنا للقران خيرا ثقة ولاعمش احفظ منه وكان
شعبة يختار لاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال
العجلي كان يختلف عليه في زروابي وائل بشير بذلك
الى ضعف روايته عنهما وقال مجد بن سعد كان ثقة الا انه
كثير الخطاء في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه
اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابى ان
ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم
فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سئى الحفظ وقال
ابو حاتم محله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم
يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن
خراش في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه
الا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شئ وقال يحيى
القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ
وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم ابن ابي
النجم وفي النفس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة

وهو في الحديث دون الثبت صدوق بهم وهو حسن
 الحديث وان احتج احد بان الشيخين اخرجاه له فانما
 اخرجاه له مقرونا بغيره لا اصلا والله اعلم (وخرج) ابو داود
 في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية فطر ابن
 خليفة بالفاء عن القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل عن
 علي عن النبي صلعم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث
 الله رجلا من اهل بيتي يبلاها عدلا كما ملئت جورا وفطر بن
 خليفة وان وثقه احمد ويحيى ابن القطان وابن معين
 والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه
 تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد
 بن عبد الله بن يونس كتبا نمر على فطر وهو مطروح
 لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب
 وقال الدارقطني لا يحتج به وقال ابو بكر بن عياش ما
 تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال الجوزجاني زايغ غير
 ثقة انتهى (وخرج) ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله
 عنه عن هرون بن النغيرة عن عمرو بن ابي قيس عن
 شعيب بن خالد عن ابي اسحق السبيعي قال قال علي
 ونظر الى ابند الحسن فقال ان ابني هذا سيد كما سماه
 رسول الله صلعم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم
 يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر قصة يملأ

لأرض عدلا وقال هرون حدّثنا عمرو بن أبى قيس عن مطرف بن طريف عن أبى الحسن عن هلال بن عمرو سمعت عليّا يقول قال النبى صلعم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل مجد كما مكنت قريش لرسول الله وجب على كل مؤمن نصره أو قال اجابته سكت عليه ابو داود وقال فى موضع آخر فى هرون هو من الشيعة وقال السليمانى فيه نظر وقال ابو داود فى عمرو بن أبى قيس لا بأس به فى حديثه خطأ وقال الذهبى صدوقا له أوهام وأما ابو اسحق السبيعى وإن خرج عند فى الصحيحين فنقد ثبت انه اختلط آخر عمره وروايته عن على منقطعة وكذا رواية أبى داود عن هرون بن المغيرة أما السند الثانى فابو الحسن فيه وهلال بن عمرو مجهولان ولم يعرف ابو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى (وخرج) ابو داود ايضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجة والحاكم فى الهستدرك من طريق على بن نفيل عن سعيد بن الهسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلعم يقول المهدي من عترتى من ولد فاطمة لفظ أبى داود وسكت عليه ولفظ ابن ماجة المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلعم يذكر المهدي فقال نعم هو حق

وهو من بنى فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد
 عنقه ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع على بن نفيل عليه
 ولا يعرف إلا بد (وخرج) ابو داود ايضا عن أم سلمة من
 رواية صالح ابى الخليل عن صاحب له عن أم سلمة عن
 النبى صلعم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج
 رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من اهل
 مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والهيكل
 ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين
 مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال الشام
 وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش
 احواله كلب فيبعث عليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك
 بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غيبة كلب فيقسم المال
 ويعمل فى الناس بسنة نبيهم ويلقى الاسلام بجرانه الى
 الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون
 قال ابو داود قال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم
 سبع سنين ثم رواه ابو داود من رواية ابى الخليل عن عبد
 الله بن الحارث عن أم سلمة فتبين بذلك المبهم فى
 الاسناد الاول ورحاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغزى
 وقد يقال انه من رواه قتادة عن ابى الخليل وقتادة مدلس
 وقد عنقه والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه ابو

داود في ابوابه (وخرج) ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن
 ابى سعيد الخدرى من طريق عمران القطان عن قتادة
 عن ابى نصره عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول
 الله صلعم المهدي متى اجلا الجبهة اتنى الانف يملأ
 الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع
 سنين هذا لفظ ابى داود وسكت عليه ولفظ الحاكم
 المهدي متا اهل البيت اشم الانف اقنا اجلاً يملأ الارض
 قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
 يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال
 الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
 انتهى وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به وانما
 اخرج له البخارى استشهادا لا اصلا وقال يحيى القطان
 لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوى وقال
 مرة ليس بشئ وقال احمد بن حنبل ارجوان يكون صالح
 الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى
 السيف على اهل القبلة وقال النسائي ضعيف وقال ابو
 عبيد الاجرى سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب
 الحسن وما سمعت الا خيرا وسمعت ذكره مرة اخرى فقال
 ضعيف اتنى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن توى
 شديدة فيها سفك الدماء وخرج الترمذى وابن ماجة

والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله فقال ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاذك قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجئ اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني قال فيحني له في ثوبه ما استطاع ان يحمله لفظ الترمذتي وهذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والآ فتسع فتتعم فيه امتي نعمة لم يسمعو مثلها قط توتى الارض اكلها ولا تذخر منهم شأ والبار يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول انتهي وزيد العمري وان قال فيد الدارقطني واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيد ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى لا شئ وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال الجوزجاني متياسك وقال ابو زرعة ليس بتوتى واهى الحديث ضعيف وقال ابو داود ليس بذاك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى عامة ما رويده ومن يروي عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه

ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث
الترمذى وقع تفسيراً لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث
جابر قال قال رسول الله صلعم يكون فى آخر امتى خليفة
يحشى المال حثيا لا يعده عدًا ومن حديث ابى سعيد قال
من خلفائكم خليفة يحشو المال حثيا ومن طريق اخر
عنهما قال يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده
انتهى واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل
يقوم على انه المراد بها ورواه الحاكم ايضا من طريق
عوف لاعرابى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد
الخدزى قال قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى
تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتى
من يبلاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه
الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد
عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد الخدزى ان
رسول الله صلعم قال يخرج آخر امتى المهدي يسقيه الله
الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطى المال صحاحا وتكثر الماشية
وتعظم الامة يعيش سبعا او ثمانيا يعنى حججا وقال فيه
حديثا صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن
عبيد لم يخرج له احد من السنة لكن ذكره ابن جيان فى

القيات ولم ار احدا تكلم فيه (ثم) رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابى هرون العبدى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد ان رسول الله صلعم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتى فيهلك سبعا او تسعا فيملا الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال فيه الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه الآخر وهو ابو هرون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الأيمة فى تضعيفه واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى يلقب اسد الستة وان قال البخارى مشهور الحديث واستشهد به فى صحيحه واحتج به ابو داود السائى لانه قال مرة اخرى ثقة لو لم يصنف كان خيرا له وقال فيه ابو محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبرانى فى معجمه الاوسط من رواية ابى الواصل عن عبد الحميد بن واصل عن ابى الصديق الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى احد بنى بهدلة عن سعيد الخدرى قال رسول الله صلعم يقول يخرج رجل من امتى بستى ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج له الارض من بركتها تملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت

جورا وظلما يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال فيه الطبراني رواه جماعة عن ابي الصديق ولم يدخل احد بينه وبين ابي سعيد احدا الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه باكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ابي سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن انس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشير (وخرج) ابن ماجة في كتاب السنن له عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلعم اذ اقبل فتية من بني هاشم فلما راءهم النبي صلعم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شأنا نكرهه قال انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى ياتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من

اهل بيتي فيملأها قسطا كما ملاءوا جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الشالج انتهى وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات ويزيد بن ابي زياد راويه قال فيه شعبة كان رقاعا يعنى يرفع الاحاديث التى لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن فضيل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذاك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال العجلي جازر الحديث وكان بأخره يلحق وقال ابو زرعة لن يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوى وقال الجوزجاني سمعتهم يضعفون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا حديثه وغيره احب الى منه وقال ابن عدى هو من شيعة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فالاكثرون على ضعفه وقد صرح الايتة بتضعيف هذا الحديث الذى رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات فقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشئ وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول فى حديث يزيد عن ابراهيم فى الرايات لو حلف عندى نحسين يبيننا قسامة ما صدقته اهذا مذهب ابراهيم اهذا مذهب علقمة اهذا مذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث

في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح (وخرج) ابن ماجة عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جدّه قال رسول الله صلعم المهدي متا اهل البيت يصاحبه الله في ليلة وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة في اصطلاحه قوية في التضعيف جدًا وورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به (وخرج) الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للبي صلعم امّا المهدي ام من غيرنا يا رسول الله قال بل متا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقدون من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بيّنة كما بنا الف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال علي رضي الله عنه امؤمنون ام كافرون قال مثنون وكافر انتهي وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمرو بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابر مناكير وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن لهيعة كان شيخنا احمق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب ويجلس معنا فيبصر سحابة فيقول هذا علي قد مرّ في السحاب (وخرج)

الطبراني ايضا عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال تكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا اشراهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل على اهل الشام سبب من الساء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا والمقتل يقول هم اثنا عشر الفا امارتهم اميت اميت اميت يلتون سبع رايات تحت كل راية منها رجل منهم يطلب الهلك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين الفتنهم ونعمتهم وقاصيهم ورايهم انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في مستدركه فقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي روايته ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس الى الفتنهم الى آخره وليس في طريق ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر (وخرج) الحاكم في المستدرت عن علي رضي الله عنه من رواية ابي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كتنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي هيهات ثم عقد بيده سبعا فقال ذاك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل فيجمع الله له قوما قرع قرع السحاب يؤلف الله

بين قلوبهم لا يستوحشون الى احد ولا يفرحون باحد دخل
فيهم على عدّة اصحاب بدر لم يسبقهم الاولون ولا يدركهم
الاخرون وعلى عدّة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر
قال ابو الطفيل قال ابن الحنفية اتريده قلت نعم قال فانه
يخرج من بين هذه الاخشبين قلت لا جرم والله لا اريهما
حتى اموت فبات بها يعنى مكّة قال الحاكم هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على
شرط مسلم فقط فان فيه عمار الذهبى ويونس ابن ابى
اسحق ولم يخرج لهما البخارى وفيه عمرو ابن محمّد
العنقزى ولم يخرج له البخارى احتجاجا بل استشهادا مع ما
ينضم الى ذلك من تشيع عمار الذهبى وهو وان وثقه
احمد وابن معين وابو حاتم والنسائى وغيرهم فقد قال على
بن المدينى عن سفيان ان بشير بن مروان قطع عرقوبيه
قلت فى اى شىء قال فى التشيع (وخرج) ابن ماجة عن
انس بن مالك رضى الله عنه من رواية سعد بن عبد
الحميد عن جعفر عن على بن زياد اليمامى عن عكرمة
بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن انس قال سمعت
رسول الله صلعم يقول نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الحجة
انا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى انتهى
وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة

وقد صنعته بعض ووثقه اخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلى بن زياد قال الذهبي في الميزان لا يدري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن شيبه وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه راءه يفتى في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممتن فحش خطأه فلا يحتج به وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعى انه سجع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو هاهنا ببغداد لم يسحج فكيف سمعها وجعله الذهبي ممتن لم يقدر فيه كلام من تكلم فيه (وخرج) الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي عبد الله بن عباس لو لم اسمع أنك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا اذكره لئن تكرر قال فقال ابن عباس متا اهل البيت اربعة متا السفاح ومتا الهندزومتا المنصور ومتا الهدي قال فقال مجاهد بين لي هولاء الاربعة فقال اما السفاح فرتبا قتل انصاره وعفى عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاطم في نفسه ويسكت القليل من حقه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلعم يرعب منه

عدوة على مسيرة شهرين والنصور يرعب منه عدوة على
 مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت
 جورا وتأسن البهائم والسباع وتلقى الارض افلاذ كبدها قال
 قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانة من الذهب
 والفضة انتهى وقال الحاكم هذا الحديث صحيح الاسناد
 ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن
 ابيه واسمعيل ضعيف وابوه ابراهيم وان خرج له مسلم
 فالاكثرون على تضعيفه (وخرج) ابن ماجة عن ثوبان قال قال
 رسول الله صلعم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم
 لا تصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل
 المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه
 فقال فاذا رايتوه فبايعوه ولو حبوا على الشاج فانه خليفة
 الله المهدي انتهى ورجاله رجال الصحيح الا ان فيه
 ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه سفيان
 الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهما عنعن ولم
 يصرح بالسباع فلا يقبل وفيه عبد الرزاق ابن همام وكان
 مشهورا بالتشيع وعسى في آخر غيره وخالط قال ابن عدى
 حدثت باحاديث في الفضائل لم يوافقها عليها احد ونسبوه
 الى التشيع انتهى (وخرج) ابن ماجة عن عبد الله بن
 الحارث ابن جزء الزبيدي من طريق ابن لهيعة عن ابي

زرعة عمرو بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال قال رسول الله صلعم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى يعني سلطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث على الذي خرج الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيخه عمرو بن جابر اضعف منه (وخرج) البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والا فثمان ولا فتسع ينعم امتي فيها نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تذخر الارض شئا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبزار تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا يعلم تابعد عليه احد وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان بما ذكره في الثقات وقال فيد يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيد وقال ابو زرعة ليس عندي بذاك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رايت محمد بن مروان العجلي وحدثت باحاديث وانا شاهد لم اكتبها تركتها على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه كاند ضعفه (وخرج) ابو يعلى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة قال حدثني خليلي ابو القاسم صلعم قال

PROLÉGOMÈNES
l'Fbn-Khaldoun.

لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتى
فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم يهلك
قال خمس واثنين قال قلت ما خمس واثنين قال لا ادري
انتهى وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه
ابو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
ولم يلتفتوا الى قول ابى حاتم لا يحتج به الا ان فيه مرجا
بن رجا اليشكري وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة
وقال يحيى بن معين ضعيف وقال مرة صالح وعلق له
البخارى فى صحيحه حديثا (1) واحدا (وخرج) ابو بكر البزار
فى مسنده والطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط عن مرة
بن اياس قال قال رسول الله صلعم لتملأن الارض جورا
وظلما فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا منى اسمه
اسمى واسم ابيه اسم ابي يبلأها عدلا وقسطا كما ملئت
جورا وظلما فلا تمنع السماء شئا من قطرها ولا الارض شئا
من نباتها يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا يعنى سنين
انتهى وفيه داود بن المحتر بن قحذم عن ابيه وهما
ضعيفان جدا وخرج الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ام
حبيبة قالت سمعت رسول الله صلعم يقول يخرج ناس من
قبل المشرق يريدون رجلا عند البيت حتى اذا كانوا بببدا

(1) Man. A. et B. C. جذما، جذما.

من الارض خسف بهم فيالحق بهم من تخلف فيصيبهم ما
اصابهم قلت يا رسول الله كيف بين كان اخرج مستكرها
قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يبعث الله كل امرء على
نيته انتهى وفيه سلمة بن الابرش وهو ضعيف وفيه محمد بن
اسحق وهو مدلس وقد عنعن ولا يقبل الا ان يصرح
بالسماع (وخرج) الطبراني في معجمه الاوسط عن ابي عمر
قال كان رسول الله صلعم في نفر من المهاجرين والانصار
على بن ابي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي
العباس ورجل من الانصار فاغلاظ الانصاري للعباس فاخذ
النبي صلعم بيد العباس ويد على فقال سيخرج من صلب
هذا حتى تملأ الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا
حتى تملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رايتم ذلك فعليكم بالفتى
التميمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية
المهدى انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن
البيعة وهما ضعيفان انتهى (وخرج) الطبراني في معجمه
الاوسط عن طاحنة بن عبيد الله عن النبي صلعم قال
ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب الا جاش منها جانب
حتى ينادى مناد من السماء ان اميركم فلان انتهى
وفيه الهنئى ابن السباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث
نصريح بذكر المهدي وانما ذكره في ابوابه وترجمته

استيناسا هذه جملة الاحاديث التي خرّجها الابيّة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رايت ولم يخلص منها على النقد الا القليل او الاقل منه (وربما) تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندی عن ابان بن صالح عن ابى عياش عن الحسن البصرى عن انس بن مالك عن النبى صلعم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين فى محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقى تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه فى اسناده فيرة يروونه كما تقدّم ونسب ذلك الى محمد بن ادريس الشافعى ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبى صلعم مرسلًا قال البيهقى فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان عن ابى عياش وهو متروك عن الحسن عن النبى صلعم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف معنطرب وقد قيل ان معنى لا مهدي الا عيسى اى لا يتكلم فى المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثلد من الخوارق (واما المتصوّفة) فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون فى شىء من هذا وانما كان كلامهم فى المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من

نتائج المواجه والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل على رضى الله عند القول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبى صلعم والتبرى من الشيخين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم من بعد ذلك القول بالامام العصوم وكثرت التواليف في مذاهبهم (وجاء) لاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع الحلول واخرون يدعون رجعة من مات من الايمة بنوع التناسخ او الحقيقية واخرون ينتظرون مجئ من يقطع بموته منهم واخرون ينتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدماه من احاديث المهدي وغيرها (ثم) حدث ايضا عند المتأخرين من المتصوفة الكلام في الكشف وفيما وراء حجاب الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لتولهم بالوهية الايمة او حلول الاله فيهم وظهر منهم القول بالنظب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقاء واشربوا اقوال الشيعة وتوكلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند طريقتهم في لباس المحرقة ان عليا رضى الله عنه البسها الحسن البصرى واخذ عليه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عندهم بالحجيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله

وجهه بل الصحابة كلهم اسوة في طريق الدين وفي تخصيص هذا بعلى دونهم رابحة من التشيع قوية تفهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه فامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقنه بعض عن بعض وكلد مبني على اصول واهية من الفريقين وربما يستند بعضهم في ذلك الى كلام المنجمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم وبأتى الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق ابن سبعين وابن ابي واطيل من تلاميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شأنه الغاز وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيد على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعيى وانها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الهلك ثم يعود تجبرا وتكبيرا وباطلا قالوا ولها كان في اليهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحصى امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافتها ثم يعقبها الدجل مكان الهلك

والتسلط ثم يعود الكفر بحاله كما كان قبل النبوة يشيرون بهذا الى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ثم من بعدها الملك وهى ثلاث مراتب فكذلك ايضا الولاية التى لهذا الفاطمى الذى يحيى امر النبوة والحق ثم خلافة امره بعده ثم الدجل بعدها وهو الباطل الذى كنى عنه بخروج الدجال فهى ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة (قالوا) ولها كان امر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذى لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبى صلعم اما ظاهرا فكبنى عبد المطلب واما باطنا فممن كان من حقيقة آل وآل هم من اذا حضر لم يغيب من هو آل وابن العربى الخاتمى سباه فى كتاب عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء ويكنى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخارى فى باب خاتم النبيين قال صلعم مثلى فيمن قبلى من الانبياء كمثل رجل ابنتى بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللينة التى اكلت البنيان ومعناه النبى الذى حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية فى تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتما للاولياء اى حائزا للمرتبة التى هى خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبياء

جانزا للمرتبة التي هي خاتمة النبوة ولها كنى الشارح عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهي على نسبة واحدة فيهما فهي لبنة واحدة في التمثيل ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين المرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلعم ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر ذاك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء (وقال ابن العربي فيها نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر من اهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضي خ ف ج من الهجرة ورسم حروفا ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل وهي الخاء المعجمة بواحدة من فوق بستماية والفاء اخت القاف بثمانين والجمم المعجمة بواحدة من اسفل بثلاثة وذلك ستماية وثلاثة وثمانين سنة وهو آخر القرن السابع ولها انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض الهنلدين لهم على ان الهراء بتلك الهدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وان خروجه يكون عند العشر والسبعماية واند الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستماية فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة ثلاث واربعين وسبعماية من اليوم المحمدي وابتداء اليوم

المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلعم الى تهام الف سنة (وقال) ابن ابي واظيل في شرحه كتاب خلع النعلين الولي المنتظر القائم باسم الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابتعنه روحه وحبيبه قال صلعم العالم في قومه كالنبي في امته وقال علماء امتى كانبيا بنى اسرائيل (ولم) نزل البشرى تتتابع به من اول اليوم المحمدي الى قبيل الخمسة نصف اليوم وتاكادت وتضاعفت بتباشير الهوائج بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا (قال) وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلى بالناس صلوة الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومة فيفتحها ويسير الى الشرق فيفتحها ويفتح قسطنطينية ويصير له ملك الارض فينتقمى المسلمون ويعلم الاسلام ويظهر دين الحنيفية فان من صلوة الظهر الى صلوة العصر وقت صلوة قال عليه السلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعنى المفتوح بها سور القران جملة عددها بحساب الجمل سبعمائة وثلاثة واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلوة العصر فيصالح الدنيا وتبشى الشاة مع الذئب ثم يبلغ ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستون عاما عدد الحروف المعجمة وهى

ق ي ن دولة العدل منها اربعون عاما (قال) ابن ابي
 واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فمغناه لا مهدي
 يساوي هدايته وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا
 مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال
 لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم
 اثني عشر خليفة يعنى قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم
 من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال
 الخلافة بعدى ثلاثون او احدى وثلاثون او ستة وثلاثون
 وانقضواها في خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول
 امر معاوية خلافة اخذا باوائل الاسماء فهو سادس الخلفاء
 واما سابغ الخلفاء فعمر بن عبد العزيز ثم الباقيون خمسة من
 اهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قرينها
 يريد الامة اي انك خليفة في اولها وذريتك في آخرها
 وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالاول هو
 المشار اليه عندهم بطلع الشمس من مغربها وقد قال صلعم
 اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر
 فلا قيصر بعده والذي نفسى بيده لئنفقن كنوزهما في
 سبيل الله وقد انفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في
 سبيل الله والذي يهلك قيصر وينفق كنوزه في سبيل
 الله هذا هو المنتظر حين تفتح القسطنطينية فعم الامير اميرها

ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلعم ومدة حكمه
بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر
اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها
مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من اهله القائمين بامر
من بعده عليهم جميعهم السلام (قال) وذكر اصحاب النجوم
والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة
وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا جاريا
على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال
فيكون ملك انتهى كلام ابي واطيل (وقال) في موضع
اخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر في اليوم
المحمدي حين يضى ثلاثة ارباعه (قال) وذكر الكندي
يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات
انه اذا وصل القران الى الثور على راس صخ بحرف في
الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستماية
من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ما شاء الله قال
وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند الهارة البيضاء
شرقى دمشق ينزل بين مهرودتين يعنى حلتين مزعفتين
صفراوتين مخصرتين واضعا كفيه على اجنحة الهيكلين له لية كانها
اخرج من ديباس اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه
حيان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجد وفي حديث اخر مروي

الحلق والى البياض والحمرة وفى اخر انه يتزوج بالغرب والغرب دلو البادية يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران من بين نبيين (قال) ابن ابى واطيل والشيعة تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل مجد وعليه حمل بعضهم حديث لا مهدى الا عيسى اى لا يكون مهدى الا المهدي الذى نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الهوسوية فى الاتباع وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا كثير يعنون (1) فيه الوقت والرجل والمكان فينقضى الزمان ولا اثر لشيء من ذلك فيرجعون الى تجديد راي اخر مستحل كما تراه من مفهومات لغوية واشياء تخيلية واحكام نجومية فى هذا انقضت اعمار الاول منهم والآخر (واما التصوفة) الذين عاصرناهم فاكثرتهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسم الحق ويتحسبون ظهوره لما قرب من عصرنا فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيد سمعناه عن جماعة اكبرهم ابو يعقوب الباسى كبير الاولياء بالغرب كان فى اول هذه الهاية الثامنة واخبرنى بذلك حافده ابو زكريا يحيى عن

(1) M. A. B. D. يعنون.

ابيه ابي محمد عبد الله الولي عن ابيه ابي يعقوب المذكور (هذا) آخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هؤلاء الهتوفة وما اوردته اهل الحديث من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه ببلغ طاقتنا (والحق) الذي ينبغي ان يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين او الملك الا بوجود شوكة وعصبية تظهره تدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين الطبيعية التي اربناكها هناك وعصبية الفاطميين والطالبيين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجد اسم اخرون استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الا ما بقى بالحجاز في مكة والينبع والمدينة من الطالبيين بنى حسن وبنى حسين وبنى جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصاب بدوية مفترقون في مواطنهم وامارتهم وارائهم يبلغون الآلاف من الكثرة فان سمح ظهور هذا المهدي فلا وجد لظهور دعوته الا بان يكون منهم ويؤنس الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما غير هذا الوجه مثل ان يدعو الناس فاطمة منهم الى مثل ذلك الامر في افق من آفاق الارض من غير عصبية ولا شوكة لا مسجد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يتمكن لما اسلفناه من البراهين الصحيحة (فاما) ما تدميه العامة

والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل
يهديه ولا علم يفيده (1) فيتحينون ذلك على غير نسبة وفي غير
مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور رجل فاطمي ولا يعلمون
حقيقة الامر فيه كما بيتاه واكثر ما يتحينونه في القاصية من
الممالك واطراف العمران مثل الزاب بافريقية والسوس
من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا
بهاية من ارض السوس يتحينون هنالك لقاء زعما منهم
انه يظهر بذلك الرباط وانه يبائع هنالك ولما كان ذلك
الرباط بالقرب من الملتئمين من كدالة واعتقادهم انه منهم
او قائمون بدعوته مزعما لا مستند له الا غرابة تلك الامم
وبعدهم عن يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف
او قوة ولبعد القاصية عن منال الدول وخروجها عن نطاقها
فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هنالك لخروجه عن رتبة
الدول ومنال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك
الا هذا ولقد يتصد ذلك الموضوع كثير من ضعفاء العقول
للتلبيس بدعوة تمديد النفس تمامها وسواسا وحمقا وقتل
كثير منهم اخبرني شيخنا مجد بن ابراهيم الابلبي قال خرج
برباط ماسة لاول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن
يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتويرزي نسبة

(1) Man. C. D. يقصده.

الى توزر مصغرا وادعى انه الفاطمى المنتظر واتبعه الكثير من
اهل السوس من سناكة وكذولة وعظم امره وكاد يستفحل
وخافه رؤساء المصامدة على امرهم فسدس عليه
السكيسوى (1) من قتله بيانا وانجمل امره وكذلك ظهر
فى غمارة فى آخر المائة السابعة ولعشر التسعين منها رجل
يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمى واتبعه الدهماء من غمارة
ودخل مدينة بادس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد
المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط
واخبرنى شيخنا المذكور بغريبة فى مثل هذا وهو انه
سحب فى حجة من رباط العباد وهو مدفن الشيخ ابنى
مدين فى جبل تلمسان المطل عليها رجلا من اهل البيت
من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخدام قال
وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالفتحات فى اكثر البلدان
قال وتأكدت الصحبة بيننا فى تلك الطريق فانكشف
لى امرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكربلا لطلب هذا
الامر وانتحال دعوة الفاطمى بالمغرب فلما عاين دولة بنى
سرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال للاصحابه
ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وبدل
هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر فى ان الامر

(1) Man, C. السكيسوى, D.

لا يتم الا بالعصبية الكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وان عصبية بنى مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب الا ان التعصب لشأنه لم يتركه لهذه القول والله يعلم وانتم لا تعلمون (وقد) كانت بالمغرب لهذا العصور القريبة وفي العرب من سكانه نزعة من الدعاء الى الحق والقيام بالسنة لا يستحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لها ان كثر من فساد الاعراب فيها لها قدمناه من طبيعة معاشهم فيأخذون انفسهم في تغيير المنكر باصلاح السابلة ما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لا تستحكم لها ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعتلون في توبتهم واقبالهم على مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل التوبة ومنها توبتهم فتجد تابع ذلك المستحل للدعوة والفائم بزعمه بالسنة غير متعقبن في فروغ الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والسبغى

وإفساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقصى جهدهم وشتان بين طلب هذا الامر من صلاح الخلق وبين طلب الدنيا فاتفاقهما ممتنع فلا تستحکم لهم صبغة في الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة ولا يكثرون ويختلف حال صاحب الدعوة منهم في استحکام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من بنى كعب من سليم يسمى قاسم بن مرا بن احمد في المايمة السابعة ثم من بعده لرجل اخر من بادية رباح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد دينا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امره تا بعد لما ذكرناه حسبا يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح ومن بعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بهتل ذلك ويلبسون فيه ويتحلبون اسم الستة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لهم بعدهم شئ من امرهم ستة الله في عبادة

فصل في حدثان الدول والامم وفيه الكلام على البلاحم
والكشف عن مستى الجفر

اعلم ان من خواص النفوس البشرية الشوق الى عواقب

امورهم وعلم ما سيحدث لهم من حياة أو موت أو خير أو شر سببها الحوادث العاتية كعرفة ما بقي من الدنيا أو معرفة مدد الدول وبقائها فالتطلع الى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس ينشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والانباء عن الكهاتن في قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعدهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسأل عنه فيغدو عليهم ويروح نسون المدينة وصبيانها بل وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امورهم في الكسب والجاه والعشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خطا في الرمل ويستونه المنجم وطرق بالحصا والحبوب ويستونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه ويستونه ضارب المنديل وهو من البنكرات الفاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة من دم ذلك وان البشر مجبولون عن الغيب الا من اطعد الله عليه من عنده في نوم او بولاية واكثر ما يعنى بذلك ويتطلع اليه الملوك والامراء في اماد دولهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم فيوجد لهم الكلام من كاهن او منجم او ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه او دولة يحدثون

انفسهم بها وما سيحدث لهم مع الامم من الحروب واليلاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل هذا الحدثنان (وكان) في العرب الكهتان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطيح في تأويل روياء ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملة والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطيح لروياء الهوبذان بعث اليه بها كسرى مع عبد المسيح واخبره بظهور الدولة للعرب وكذا كان في جيل البربر كهتان وكان من اشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال من غمرت وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم وفيها حدثنان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين اهل الجيل وهم يزعمون تارة انه ولي وتارة انه كاهن وقد يزعمون في بعض مزاعمهم انه كان نبيا تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والده اعلم (وقد) يستند الجيل في ذلك الى خبر الانبياء ان كانوا لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بيثله عندما يتعنتون في السؤال عنه واما في الدولة الاسلامية فوقع منهم كثير

فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيها يرجع الى الدول واعمارها على الخصوص وكان المعتهد في ذلك صدر الاسلام آثار منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بنى اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من طواهر مأثورة وتأويلات محتملة ووقع لجعفر الصادق وامثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشوف بما كانوا عليه من السولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء في ذويهم واعقابهم وقد قال صلعم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس بمثل هذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين عكف الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فاكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين ففي الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي المواليد واليسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدودها (فلنذكر) الآن ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع الى كلام المنجمين (اما اهل الاثر) فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبرى ما يقتضى ان مدة بقاء الدنيا منذ الملة خيسامية سنة ونقض ذلك بظهور كذبه ومستند الطبرى في ذلك

انه نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الدنيا جمعة
من جبع الآخرة ولم يذكر لذلك دليلا وسره والله اعلم تقدير
الدنيا بايام خلق السموات والارض وهى سبعة ثم اليوم
بالى سنة لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون قال وقد ثبت فى الصحيح انه صلعم قال
اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى
غروب الشمس وقال بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس عند
صيرورة ظل كل شئ مثليد يكون على التقريب نصف سبع
وذلك فضل الوسطى على السبابة فتكون هذه المدة
نصف سبع الجمعة كلها وهى خمسية سنة ويؤيده قوله
صلعم لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم فدل
ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف سنة
وخمسية سنة وعن وهب بن منبه انها خمسة آلاف وستماية
اغنى الهاضى وعن كعب وهب ان مدة الدنيا ستة آلاف
سنة ثم قال السهيلي وليس فى الحديثين ما يشهد بشئ
مها ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله لن يعجز الله ان
يؤخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضى نفى الزيادة على
النصف واما قوله بعثت انا والساعة كهاتين فانما فيد الاشارة
الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ولا شئ

غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين امد المدّة من مدرك اخر لو ساعده التحقيق وهو ان جميع الحروف المقطّعة في أوائل السور بعد حذف المتكرّر قال وهي اربعة عشر حرفا يجمعها قولك الم يسطع نص حق كره فاخذ عددها بحساب الجمل فكان سبعمائة (1) وثلاثة تضاف الى المتضمنى من الالف الاخيرة قبل بعثته فهذه هي مدّة المدّة ولا يبعد ان يكون ذلك من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها (قلت) وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث ابنى اخطب من احبار اليهود وهو ابو ياسر واخوه حبي حين سمعا الم من هذه الحروف المقطّعة وتاولاها على بيان المدّة بهذا الحساب فبلغت احدى وسبعين فاستقربا المدّة وجاء حبي الى النبي صلعم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد فقال الرثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدّة وقال لقد لبّس علينا امرك يا محمد حتى ما ندرى اقليل اعطيت ام كثيرا ثم ذهبوا عند وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم لعلّه اعطى عددها كلها بسبع مائة واربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام

(1) Man. A. B. C. تسعمائة.

الكتاب الايات انتهى ولا يقوم من القصة دليل على تقدير
 الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد
 ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي
 يستونه حساب الجمل نعم انه قديم مشهور وقدم الاصطلاح
 لا يصيره حجة وليس ابو ياسر واحوه حيسى مهن يوخذ رايد
 في ذلك دليلا ولا بين علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز
 غفلا من الصنائع والعلوم حتى من علم شريعتهم وفقده
 كتابهم وملتهم وانما يتلقفون امثال هذا الحساب كما يتلقفه
 العوام في كل ملة فلا ينهضن للسبيلى دليل على ما ادعاه
 من ذلك (ووقع) في الملة في حدئان دولها على
 الخصوص مستند في الاثر اجمالى في حديث خرجه ابو
 داوود عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى
 الذعلجى عن سعيد بن ابى مريم عن عبد الله بن فروخ عن
 اسامة بن زيد الليثى عن ابن قبيصة بن ذؤيب عن ابيه
 قال قال حذيفة بن اليمان والله ما ادرى انسى اصحابى
 ام تناسوا والله ما تركت رسول الله صلعم من قائد فتنة
 الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معد ثلثماية فصاعدا الا قد
 سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته وسكت عليه ابو
 داوود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكتت عليه في
 كتابى فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو مجمل

ويفتقر في بيان اجهاله وتعيين مسماته الى آثار اخرى تجوّد
اسانيدها وقد وقع هذا الحديث في غير كتاب السنن على
غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة
ايضا قال قام فينا رسول الله صلعم خطيبا فما ترك شأ
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدّته حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابه حولا ولفظ
البخارى ما ترك شأ الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب
الترمذى من حديث ابى سعيد الخدرى قال صلى بنا
رسول الله صلعم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع
شأ يكون الى قيام الساعة الا اخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه انتهى وهذه الاحاديث كلها مجولة على ما ثبت في
الصحيح من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود
من الشارع صلعم في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة
التي انفرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكورة
مع ان الايئة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابى مريم نى
ابن فروخ احاديث مناكير وقال البخارى تعرف منه وتناكر
وقال ابن عدى احاديث غير محفوظة واسامة بن زيد وان
خرج له في الصحيحين وثقته ابن معين فانها خرج له
البخارى استسهادا وضعفه يحيى بن سعيد واحمد بن
حنبل وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وابن

قبیصة بن ذویب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت
لابی داوود فی هذا الحديث من هذه الجهات مع شدوذها
كما مرّ (وقد) يستندون فی حدثان الدول علی الخصوص الی
كتاب الجفر ویزعمون ان فیہ علم ذلك كله من طریق
الانار او النجوم لا یزیدون علی ذلك ولا یعرفون اصل
ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب الجفر كان اصله ان
هرون بن سعید العجلی وهو راس الزیدية كان له كتاب
یرویه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لاهل البيت
علی العموم ولبعض الاشخاص منهم علی الخصوص ووقع
ذلك لجعفر ونظرأته من رجالاتهم علی طریق الكرامة
والكشف الذی یقع لثلاثهم من الاولیاء وكان مكتوباً عند جعفر
فی جلد ثور صغیر فرواه عنه هرون العجلی وكتبه وسمّاه
الجفر باسم الجلد الذی كتب منه لان الجفر فی اللغة
هو الصغیر وصار هذا الاسم علیها علی هذا الكتاب عندهم
وكان فیہ فی تفسیر القران وما فی باطنه من المعانی غرائب
سرودة عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تتصل روايته
ولا عرف عینه وإنما تطیر عنه شواذ (1) من الکلیات لا یصحها
دلیل ولو صحّ السند الی جعفر الصادق لكان فیہ نعم المستند
من نفسه او من رجال قومه فیهم اهل الكرامات وقد

(1) Man. D. شوارذ.

صح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم
فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عهه زيد من مصرعد
وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت
الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا واثارة من
النوبة وعناية من الله تعالى بالاصل الكريم تشهد لفروععد
الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير
منسوب الى الجفر وفي اخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر
ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبيد
الله المهدي مع ابيه محمد الحبيب وما حدثناه به وكيف
بعثه الى ابن حوشب داعيتهم باليمن فاسره بالخروج الى
المغرب وبت الدعوة فيه عن علم لفته ان دولتهم تتم
هنالك وان عبيد الله لما بنى المهديّة بعد استئصال
دولتهم بافريقية قال بنيتها ليعصم بها الفواطم ساعة من نهار
واراهم موقف صاحب الحمار بساحتها وبلغ هذا الخبر
حافده اسمعيل المنصور فلما حاصره صاحب الحمار ابر
يزيد بالمهديّة كان يسائل عن منتهى موقفه حتى جاءه
الخبر ببلوغه الى المكان الذي عين جدّه عبيد الله فايقن
بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر
به وقتله ومثل هذه الاخبار عنهم كثيرة (واما المنجبون)
فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية اما في

الامور العامة مثل الملك والدول فين القرائن وخصوصا
 بين العلوتيين وذلك ان العلوتيين زحل والمشتري يقتبران
 في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج اخر في
 تلك المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى اخر كذلك
 الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثنتي عشرة مرة يستوفي
 بروجها الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوفيها في ستين
 اخرى ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوفي المثلثة بثنتي عشرة
 مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة
 ويكون انتقاله من كل برج على التثليث الايمن وينتقل
 من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني الى البرج الذي
 يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة وهذا
 القران الذي هو قران العلوتيين ينقسم الى كبير وصغير
 ووسط فالكبير هو اجتماع العلوتيين في درجة واحدة من
 الفلك الى ان يعود اليها بعد تسعماية وستين سنة مرة
 واحدة والوسط هو اقتران العلوتيين في كل مثلثة ثنتي عشرة
 مرة وبعد مائتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى
 والصغير هو اقتران العلوتيين في برج واحد وبعد عشرين سنة
 يقتبران في برج اخر على تثلثه الايمن وفي مثل درجه او
 دقائقه (مثال) ذلك وقع القران اول دقيقة من الحمل وبعد
 عشرين سنة يكون اول دقيقة من القوس وبعد عشرين في

الاسد وهذه كلها ناريتة وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وبعد وعود القران مائتين واربعين ينتقل من الناريتة الى الترابيتة لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوايتية ثم المايية ثم يرجع الى اول الحمل فى تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملل والدول وانتقال الملة من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتغلبين والظالمين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمرانها ويقع اثناء هذه القرانات قران النحسين فى برج السرطان فى كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المربخ فتعظم دلالة هذا القران فى الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والتحط ويدوم ذلك او ينتهى على قدر السعادة والنحوسة فى وقت قرانهما وعلى قدر تسمير الدليل فيه قال جراش بن احمد الحاسب فى الكتاب الذى الفه لنظام المسالك ورجوع المريخ فى العقرب لد انر عظيم فى الملة لاسلاميتة لاند كان دليلها فان المولد النبوتى كان عند قران العلويتين فى برج العقرب فكلما رجع هنالك حدث تسمويش على الخلفاء وكثر المرض فى اهل العلم والدين ونقصت احوالهم

وربما انهدم بعض بيوت العبادة ولقد يقال انه كان عند قتل
على رضى الله عنه ومروان من بنى امية والمتوكل من بنى
العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت
في غاية الاحكام (وذكر) شاذان الباسخي ان الملة تنتهى
الى ثلاثماية وعشر سنين وقد ظهر كذب هذا القول (وقال)
ابو معشر يظهر بعد الماية والخمسين منها اختلاف كبير ولم
يصح ذلك (وقال) جراش رايت في كتب القدماء ان
المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة
فيهم وان دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك
فيهم اربعين سنة (وقال) ابو معشر في كتاب القرانات ان
القسمه اذا انتهت الى السابعة والعشرين من السحوت وفيها
شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو
دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبى
وتكون قوة ملكه ودولته ومدته على قدر ما بقى من درجات
شرف الزهرة وهى احد عشر درجا بتقريب من برج السحوت
ومدة ذلك ستماية وعشر سنين وكان ظهور ابى مسلم
عند انتقال الزهرة ووقع القسمه اول الحمل وصاحب
الحمد المشتري (وقال) يعقوب بن اسحق الكندى ان مدة
الملة تنتهى الى ستماية وثلاث وتسعين سنة قال لان
الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة

PROLÉGOMÈNES
d Ebn-Khaldoun.

وئنتين واربعين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشر
درجة وثمان عشر دقيقة ودقائقها ستون فتكون ستمائة
وثلاثا وتسعين سنة قال وهذا مدة الملة باتفاق الحكماء
وتعضده الحروف الواقعة في اوائل السور بحذف المكرر
واعتباره بحساب الجمل (قلت) وهذا هو الذى ذكره
السهيلي والغالب ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه
عنه قال جراش وسئل هرمزدا فريد الحكيم عن مدة اردشير
وولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان
فى شرفه فيعطى اطول السنين واجودها اربعمائة وسبعاً
وعشرين سنة ثم تدبر الزهرة وتكون فى شرفها وهى دليل
ان العرب يملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة
وكانت عند القران فى شرفها فدل انهم يملكون الف سنة
وستين سنة (وسأل) كسرى انوشيروان وزيره بنزجمهر الحكيم
عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم
منهم يولد لخمسة واربعين من دولته ويملك المشرق
والغرب والمشتري يفوض التدبير الى الزهرة وينتقل القران
من الهوائية الى العتوب وهو مائى وهو دليل العرب فهذه
لادلة تقضى للملة بمدة دور الزهرة وهى الف وستون سنة
(وسأل) كسرى ابروينز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل
قول بنزجمهر (وقال) توفيل الرومى المنجم ايام بنى امية

ان دولة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة
فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء
اليلة وتغير وضع الكواكب عن هئتها في قران اليلة فحينئذ
اما يفتقر العمل به واما يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف
الظن (قال) جراش وانفقوا ان خراب العالم يكون باستيلاء
الماء والنار حتى تهلك سائر المكونات وذلك عند ما
يقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة الذي هو حد المريخ
وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة (وذكر) جراش ان
ملك زابلستان وهي غزنة بعث الى المأمون بحكيه
ذوبان اتحفه به في هدية وانه تصرف للمأمون في
الاختيارات لحروب اخيه ولعقد اللواء لطاهر وان المأمون
اعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فانخره بانقطاع الهلك
من عقبه واتصاله في ولد اخيه وبأن العجم يتغلبون على
الخلافة الديلم اولا في دولة حسنة خمسين سنة ثم تسوء
حالهم حتى يظهر الترك من شمال الشرق فيملكون الى
الشام والفرات ويفتحون بلاد الروم ثم يكون ما يريد الله
تعالى فقال له المأمون من اين لك ذلك قال من
كتب الحكماء ومن احكام حصّة بن داهر الهندي الذي
وضع الشطرنج (قلت) والترك الذين اشار الى ظهورهم
بعد الديلم هم الساجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن

السابع (قال) جراش وانتقال القران الى المئثة الهائية فى
 برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزدجرد
 وبعدها الى برج العقرب حيث كان قران المئثة سنة ثلاث
 وخمسين قال والذى فى الحوت هو اول الانتقال والذى
 فى العقرب يستخرج منه دلائل المئثة قال ونحويل السنة
 الاولى من القران الاول فى المئثات المائتية فى ثانى رجب
 سنة ثمان وستين وثمانماية ولم يستوف الكلام على ذلك
 (واما) مستند المنجيين فى دولة دولة على الخصوص فمن
 القران الاوسط وحمة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم
 على حدود الدول وجهاتها من العمران والقائمين بها من
 الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعبارهم ونحلهم واديانهم
 وعوائدهم وحروبهم كما ذكر ابو معشر فى كتابه القرانات
 وقد توخذ هذه الادلة من القران الاصغر اذا كان الاوسط ذالاً
 عليه فمن هذا يبوخذ الكلام فى الدول وقد كان يعقوب بن
 اسحق الكندى منجم الرشيد والمامون وضع فى القرانات
 الكائنة فى الهة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم
 المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان
 دولة بنى العباس وانها نهايته وأشار الى انقراضها والحادثة
 الى بغداد انه يقع فى منتصف الهية السابعة وان انقراضها يكون
 بانقراض المئثة ولم نقف على شئ من خبر هذا الكتاب

ولا رأينا من وقف عليه ولعلّه غرق في كتبهم التي طرحها هولاء ملك الططر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المعتصم آخر الخلفاء (وقد وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر انه وضع لبنى عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة ما تقدم من ذلك من حدثانه وكذب ما بعده وكان في دولة بنى العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من عنائع الدولة قال بعث الى الربيع والحسن في غزائهما مع الرشيد ايام ابيد فجمتاهما خوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان واذا مدة المهدي فيد عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى عن المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه قالوا فما الحيلة فاستدعيت غبسة الرزاق مولى آل بديل وقلت له انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشرة اربعين ففعل فولد لولا اتى رابت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما شككت انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول منظوما ومنشورا ورجزا ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس منثورا كثير منها وتسمى اليلاحم وبعضها في

حدثان المثة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص: وكلها منسوب الى مشاهير من اهل الخليقة وليس منها اصل يعتد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الراء وهي متداولة بين الناس ويحسب العامة انها من الحدثان العام فيطبّقون كثيرا منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من ايدي موالى بنى حمود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بايدي اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

طربت وما ذاك متى طرب وقد يطرب الطائر المنصب
وما ذاك متى للسراراه ولكن لتذكر بعض السبب

قريبا من خمسية بيت او الف بيت فيها يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الهوحديين و اشار الى الفاطمي وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملحبة من الشعر الزجلتي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والحسين وغيرها وذكر ميتته قتيلا بناس وكان كذلك فيما زعموه واولد

في صبغ ذا الازرق لشرفه خيارا فافهموا بما قوم هذه الاشرا
نجم زحل اخبر بها ذي العلاما وبدل الشكلا وحى سلاما

شاشية زرقاء بدل العماما وطاشرا ازرق ببدل الغفارا

وفي آخره يقول

قد تمّ ذا التجسس (1) لانسان يهودى يصلب على واد فاس في يوم عيد
حتى يجيد الناس من البوادى وقتل يما قدم على الغفارا

وابياته نحو الخمسية وهي في احكام القرانات التي
دلّت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة
من عروض المتقارب على روى الباء في حدثان دولة بنى
ابى حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابار
وقال لى قاضى قسطنطينة الخطيب الكبير ابو على بن
باديس وكان بصيرا بما يقول وله قدم في علم النجوم فقال
لى ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الكاتب مقتول
المستنصر وإنما هذا رجل خياط من اهل تونس تسواطت
شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدى رحمه الله ينشدنى
الابيات من هذه الماحمة وبقي بعضها فى حفظى مطالعها

غديرى (2) من زمن قلب يغفر ببارقه الاشنب

ومنها فى ذكر اللحيانى تاسع ملوك الدولة

فيبعث من جيشه قائدا ويبقى هناك على مرفب
ونأتى الى الشيخ اخباره فيقبل كالجمل الاجرب
ويطهر من عندك سيرة وتلك سياسة مستجلب

ومنها فى ذكر احوال تونس على العموم

(1) Man. C. تجسس. D. تنجيس.

(2) Man. A. et B. غدى. D. غديرى.

PROLÉGOMÈNES
d'Fbn-Khaldoun.

فاما رايت الرسوم انمحت ولم يُرْعَ حق لذى منصب
فمجد بالترحّل عن تونس وودّع معالمها واذهب
فسوف تكون بهما فتنة تصيف البرى الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ماحمة اخرى فى دولة بنى ابى
حفص هولاء بتونس فيها بعد السلطان ابى يحيى الشهير
عاشر ملوكهم ذكر اخيه مجد يقول فيه

وبعد ابو عبد الله شقيقه ويعرف بالوثاب فى نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملك بعد اخيه وكان يمتى بذلك
نفسه الى ان هلك ومن ملاحم المغرب ايضا الملعبة
الهنسوبة الى الهوشنى على لغة العامة فى عروض البلد اولها

دعنى يا دعنى (1) المهتان
واشتفت كلها الويدان
السبلدان كسها تسرى
وانتى الصيف والشستوى
قال حسين سمحت الدعوى
ايسا دبى فى ذى الازمسان
فتمرت الامطار ولم تفتقر
وانتى تهبلا وتستغدر
فاوقاتا مثل ما تسدرى
والفكا (2) والسريبع تسجى
دعنى نسكى ومن (3) عذرى
ذا القنن اشتمد وتبهرمر

وهى طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقضا والغالب
عليها الوضع لانه لم يصّر منها قول الا على تأويل تحرفه
العامة او يجازف فيه من ينتحلها من الخاصة ووقفت
بالشرق على ماحمة منسوبة لابن العربى الجاهلى فى

(1) Man. D. دعنى يا عيني.

(2) Man. D. الفكاى.

(3) Ibid. زمن.

كلام طويل شبه الأغاز لا يعلم تأويله إلا الله يتخالد أوفاق
عديدة (1) ورموز مغرزة وأشكال حيوانات تامة وروس مقتطعة
وتنايل من حيوانين غريبة وفي آخرها قصيدة على روى
اللام والغالب أنها كلها غير صحيحة لأنها لم تبين على
اصل علمي من نجامة ولا غيرها ومن غريب ما سمعت
بعض الخواص يتناقلونه بصغر عن ملحمة ابن العربي
ولعلها غير هذه انه تكلم على طالع بناء القاهرة وانه جعل
مدّة عمرها اربعماية وستين سنة من دلالات الطوالع
النجومية وينتهي ذلك الى حدود الثلاثين بعد الثمانماية
لأننا اذا حملنا على الاربعماية والستين حساب القمرى لانها
شبية فتريد عليها بحساب ثلاثة لكل مائة اربع عشرة سنة
فيكون اربعماية وسبعين سنة تحملها على ثلاثماية وثمان
وخمسين من الهجرة تاريخ بنائها يكون ثمانية سنة
واننين وثلاثين سنة هذا ان صح كلام ابن العربي وصدقت
الدلائل النجومية وسعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى
منسوبة لابن سينا ولابن عقب وليس في شيء منها دليل
على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرانات على ان
ملاحم ابن ابي العقب مدخولة وقد نقل ابن خلكان في
ترجمة ابن القزويني عن كتاب الاغانى ان ابن ابي العقب

1. Man. C. D. عدوية. B. عددية.

وهو يحيى بن عبد الله ابن ابي العقب من الامور التي استوهت ولا وجود لها في الخارج مثل مجنون ليلي وابن القرية والله اعلم ووقفت بالهشرق ايضا على ملحمة في حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية

يسمى الباجريقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفرياسكني من علم خير وعنى والد الحسن
فافهم وكن واعيا حرفا وجهته والوصف فافعل كفعل الحاذق الفطن
اما الذي قبل عصرى لست اذكره لكتبتني اذكر الآتى من الزمن
بيبرس يستى بجاء بعد خمستها وحاء ميم بطيش نام في الكفن 1)

ومنها

شيين له اثر من تحمت سرتنه له القضاء قصصا اى ذى المنين
فصر والشام مع ارض العراق له واذربيجان من ملك الى اليمن

ومنها

وال نزار لما نال طاهر دم الفاتك الباتك المعنى بالشجن 2)

ومنها

اخلع سعيدا ضعيف السن تين اتنى لالا وقسى ونمون لسز في فزون
قزم شجاع له عقل ومشورة يستى بجاء وابن بعد ذو شجن

ومنها

من بعد به (3) من الاعوام قتلتند يلى المشرة ميم الملك ذو اللسن
هذا حوالا عرج الكلبى فاعن به في عصره فتن ناصيك من فتن
ياتى من الشرق جيش الترك يقدمهم غاز عن الفى قساف جرب لفتن
قبل ذاك فويل الشام اجمعها فندب بشجر على الاقلين والوطن
اذا اذا زلزلت يابوع مصر من الالزال من زال عامما غير منتظن
طء وطء وغين كلمهم حبسوا هلكى وينفق اموالا بلا نهن

1) Man. C. et D. الكفن.

2) Man. B. et C. الشجن.

3) Man. D. به.

يسير القافى قافا نحو احدهم حقن (1) به ان ذاك الحصن فى مكن

ومنها

ويتصبون اخاهم وهو صالحهم لام الف شين لذاك ثنى

ومنها

تمت ولايتهم بالحماء لا احمد من البنين (2) يدانى الملك فى الزمن
ويقال انه اشارة الى الملك الظاهر وقدم ابيه عليه بمصر
ياتى السيد ابوه بعد حجرتنه وطول غيبته والشطى والدرن
وابياتها كثيرة والغالب انها مصنوعة ومثل صنعتها كان فى
التقديم كثيرا ومعروف الانتحال حكى المؤرخون لاجبار بغداد
انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكى يعرف بالدانيالى يبلى
الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسياء
اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال
الرفعة والجاه كأنها ملاحم ويحصل بذلك على ما يريد
منهم من الدنيا وانه وضع فى بعض دفاتره ميم مكررة
ثلاث مرات وجاء به الى منافع مولى المقتدر وكان عظيما
فى الدولة فقال له هذا كناية عنك وهو منافع مولى
مقتدر ميم من كل واحدة وذكر عندهما ما يعلم فيه رضاه
مها ينال من اليك والسلطان ونصب له علامات لذلك
من احواله المتعارفة مؤد بها عليه فبذل له ما اغناه به ثم
وضعه الوزير الحسن بن وهب بن وهب على منافع هذا وكان

(1) Man. D. حول.

(2) Man. A. et B. الشين. D. النبيين.

مغزولا فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلى الوزارة للشامن عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا فى ايامه ووقف مفلحا على الاوراق وذكر فيها كوائن اخرى وملاحم من هذا النوع بما وقع وما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فاعجب به مفلح ووقف المقتدر عليه واهتدى من تلك الرموز والعلامات الى ابن وهب لظهورها وكان ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الحيل العريضة فى الكذب والسجمل بمثل هذه الالغاز والظاهر ان هذه الهاسحة التى ينسونها الى الباجريقى من هذا النوع واقد سألت الشيخ كمال الدين شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الهاسحة وعن هذا الرجل الذى تنسب له من الصوفية وهو الباجريقى وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من المعروفين بالقرندلية المبتدعين فى حلق اللحية وكان يتحدث عن يكون من الهلوك لعصره بطريق الكشف ويومى الى رجال معينين عنده وبلغز عنهم بحروف يعينها فى ضميره لمن يراه منهم وربها نظم ذلك فى ابيات قليلة كان يتعاهدها فتوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ماحية مرسوزة وزاد فيها الخراسيون من ذلك الجنس فى كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدى الى

كشفت قانون يعرف قبله او يوضع له واما مثل هذه الحروف فدلاستها على المراد منها مخصوصة بهذا الناظم فرايت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من امر هذه الماحمة وما كتنا لنهتدى لولا هداانا الله (ثم) وفتت بعد ذلك وانا بدمشق عند حلولي مع الركاب السلطاني بها سنة اثنين وثمانماية وانا على قضاء المالكية بمصر فوفقت على تاريخ ابن كثير في سنة اربع وعشرين وسبعماية في ترجمة التعريف بهذا الرجل فقال شمس الدين محمد الباجريقي ينسب اليه الفرقة الصالفة الباجريقية واليشهور عنهم انكار الصانع وكان والده جبال الدين عبد الرحيم بن عمر الموصلي رجلا صالحا من علماء الشافعية ودرس في مدارس بدمشق ونشأ ابنه هذا بين الفقهاء فاشتغل قليلا ثم اقبل على السلوك ولازمه جماعة يعتقدون فيه ممن هو على طريقته ثم حكم القاضي باراقة دمه وهرب الى المشرق ثم اقام البينة بالعداوة بينه وبين من شهد عليه وحكم الحنبلي بحرق دمه واقام بالقابون مدة سنين وتوفي ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر سنة اربع وعشرين وقال ابن كثير ومن شعر الباجريقي في نظمه الجفر

فاسمع وكن واعيا حرفيا وجهله والوصف فافهم بفهم الحذاق الفطن
في قصد مصروما بالسهم يحدثه رب السوات من خير ومن محن

بيبرس يسقى بكأس بعد خمستها
يا ويح جلق ماذا ساحتها
يا ويلها كم عدوا في الدين كم قتلوا
وكم سماع وكم سبى وكم نهبوا
والكون معهم والارجاء مظلمة
يا للبرايا اما للدين منتصر
عرب العراق ومصر والصعيد اتوا
وكم دم سفكوا من عالم وذنى
وحرقوا ثم من شاب ومن يفس
حتى حياؤها ناحت على الفس
قوموا الى الشام من سهل ومن حرن
وموت الكفر فيها عزم مرتكن

تم الفصل الثالث من الكتاب والحمد لله وحده

الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار
والمدن وسائر العمران الحضرى وما يعرض في ذلك
من الاحوال وفيه سوابق ولو احق

فصل في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها
انما توجد ثانية عن الملك

وبيانه ان البناء واختطاط المدن انما هو من منازع الحضارة
التي يدعو اليها الشرف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر
عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل
واجرام عظيمة وبناء كبير اذ هي موضوعة للعموم لا للخصوص
فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور

الضرورية للناس التي تعتم بها البلدى حتى يكون نزوعهم اليها شوقيا واضطراريا بل لا بد من اكراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعضا اليك او مرغبين فى الثواب ولاجر الذى لا يفي به لكثرتة الا الهلك والدولة فلا بد فى تيسير الامصار واختطاط الهدن من الدولة والهلك ثم اذا بنيت المدينة وكهل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضت الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينئذ عير لها فان كان امد الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تمشد والينازل الرحيبة تكسر وتتعدد ونطاق الاسوار يتباعد وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافة وبعي ذرع المساحة كما وقع ببغداد وامثالها (ذكر) الخطيب فى تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوزت الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية فى الامة الاسلامية وحال مصر والقاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد (واما) بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما ان يكون اضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتن بادية يدها

العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستتر عهراً
 بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق
 العجم من المشرق الوجود لها عمران الجبال لان اهل البدو
 اذا انتهت احوالهم الى غايتها من الرغد والكسب نزعوا
 الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن
 والامصار ويتأهلون فيها وأما ان تكون لتلك المدينة
 الهوتسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من بدوها
 فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها فينزل حفظها ويتناقض
 عمرانها شيئاً فشيئاً الى ان يندحر ساكنها وتخرب كما وقع
 في مصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان واليهودية وقلمعة
 ابن حهاد بالمغرب وامثالها فتفهمه قريباً ينزل المدينة بعد
 انقراض مخططيها الاولين ملك اخر ودولة ثانية تتخذها
 قراراً وكرسياً وتستغنى بها عن اختطاط المدينة لنزلها فتحفظ
 تلك الدولة سياجها وتزيد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال
 الدولة الثانية وترفها وتستجد بعمرها عمراً اخر كما وقع بفاس
 والقاهرة لهذا العهد فاعتبر ذلك وافهم ستر الله في
 حليقتهم

فصل في ان اليك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم اليك اضطروا

للاستيلاء على الامصار لامرين احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وخطّ الانتقال واستكمال ما كان ناقصا من امور العيران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعين والشاغبين لان المصر الذي يكون في نواحيهم ربّما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سبوا اليه من ايديهم فيعتم بذلك المصر ويغال بهم ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والشقّة والمصر يقوم مقام العساكر المتعدّدة بما فيه من الامتناع ومكانة (1) الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كبير عدد ولا عظيم شوكة والعصابة اما احتيج اليها في الحرب للثبات بما يقع من نعة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هاولاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا المصر ومن يعتصم به من المنازعين ميا يفت في عضد الامة التي يروم الاستيلاء ويخضد شوكة استيلائها فاذا كانت بين احيائهم امصار انتظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحرام وان لم يكون هنالك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولا وخطّ انتقالهم وليكون ثانيا شجبا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعتابهم

(1) Man. A. B. نكايه.

فقد تبين لك ان الملك يدعو الى نزول الامصار
والاستيلاء عليها والله غالب على امره

فصل في المدن العظيمة والبياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكبير

انما قدمنا ذلك في آثار الدول من المباني وغيرها وانها
تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل
باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة
متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم
على عملها وربما استعين في ذلك اكثر الامر بالمسندام
الذي يضاعف القوى والقدر في حمل افعال البناء لعجز
القدر البشرية عن ذلك كالسجالات وغيره وربما يتوهم كثير
من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل
ايوان كسرى واهرام مصر وحيايا المعلقة وشرشال بالمغرب
انها كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتحيل لهم اجساما
تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير في اطوالها وعروضها
واقطارها ليناسب بينها وبين القدر الذي صدرت تلك
المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والسجالات (1) وما اقتضته
في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتقالبين

(1) Man. A. السجل. D. السجل.

في البلاد يعاين من شأن البناء واستعمال الحيل في نقل
الأجرام عند أهل الدول والمعتنين بذلك من العجم
بما يشهد له بيا قلناه عيانا وأكثر آثار الأقدمين لهذا العهد
تسميها العامة عادية نسبة إلى قوم عاد لتوحيهم أن مباني عاد
ومصانعهم إنما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم
وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين نعرف
مقادير اجسامهم من الأمم وهي مثل ذلك العظم وأعظم
كأيوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بأفريقية
والصنهاجيين وأثرهم بادٍ إلى اليوم في صومعة قلعة ابن
حماد وكذلك بناء الأغالبة في جامع القيروان وبناء الموحدين
في رباط الفتح وبناء السلطان أبي الحسن لعهد أربعين
سنة في المنصورة بأزاء تلمسان وكذلك الحنايا التي
جلب أهل قرطاجنة إليها الماء في القناة الراكبة عليها
مائلة أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهياكل
التي نقلت إلينا أخبار أهلها قريبا وبعيدا وثبقتنا أنهم لم
يكونوا بأفراط في مقادير اجسامهم وإنما هذا رأى أولع به
التفصا عن قوم عاد وثمود والعمالقة ونحن نجد بيوت
ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد وقد ثبت في
الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي
أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوعها وساحتها وسكنها

على المتعاهد وأنهم ليبالغون فيما يعتقدون من ذلك حتى أنهم ليزعمون أن عوج بن غناق من جيل العمالقة (1) كان يتناول السمك من البحر طرياً فيشويده في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيها قرب منها ولا يعلمون أن الحرّ فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهواء واما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وإنما هي كوكب مضئ لا مزاج له وقد تقدّم شئ من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا أن الدول على نسبة قوتها في اصلها والله يخلق ما يشاء

فصل في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها
الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية وقد تكون الهباني في عظمها اكبر (2) من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام كما قلناه فتحتاج الى معاونة قدر اخرى مثلها في ازمة متعاقبة الى ان تستم فيبتدى الاول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجهد الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويقوم مانلا للعيان يظنه من يراه من

(1) Man. A. et B. كنعان.

(2) Man. C. et D. اكثر.

الاخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله
 المؤرخون في بناء سدّ مارب وان الذي بناه سبأ بن
 يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه
 فاتتته ملوك حبير من بعده ومثل هذا نقل في بناء
 قرطاجنة وقنانها الراكبة على الحنايا العادية واكثر المباني
 العظيمة في الغالب شأنها هذا ويشهد لذلك ان
 المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في تأسيسها
 واختطاطها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في
 اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك
 ايضا انا نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدولة
 عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم اسهل من البناء بكثير
 لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على
 خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قدرنا البشرية عن
 هدمها مع سهولة الهدم عليها ان القدر التي اتستته مفرطة
 القوة وانها ليست اثرا لدولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب
 في ايوان كسرى لهما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى
 يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشيريه في ذلك فقال
 يا امير المؤمنين لا تفعل واتركد ما نلا يستدل به على عظم
 ملك ابائتك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكل
 فانهم في النسيجة وقال اخذته النعرة للعجم والد لاصرعنه

وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه
 بالنار وصب عليه النخل حتى اذا ادركه العجز بعد ذلك
 كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيرها ثانيا في
 التجافي عن الهدم فقال يا امير المؤمنين لا تفعل استمر
 على شأنك ليلا يقال عجز امير المؤمنين وملك العرب
 عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرها الرشيد واقصر عن
 هدمه وكذلك اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر
 وجمع الفعلة لهدمها فلم يحصل بطايل وشرعوا في نقبه
 فانتهوا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان
 وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيقال منفذ
 ظاهر ويزعم زاعمون انه وجد هناك ركازا بين تلك
 الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة بقرطاجنة الى
 هذا العهد يحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة
 لبنائهم ويستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على
 هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد
 عصب الريق وتجتمع له السحافل المشهورة شهدت منها
 في ايام عبائى كثيرا والله على كل شىء قدير

فصل فيما تجب مراعاته فى اوضاع المدن وما يحدث
اذا اغفل عن المراجعة

المدن قرار تتخذها الاسم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها معا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك فى ممتنع من الامكنة اما على هضبة متوقرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها (ومما) يراعى فى ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا لمياه فاسدة ومناقع متعنتة او مروج خبيثة اسرع اليد العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التى لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض فى الغاية وقد اشتهر بذلك فى قطر المغرب بلد قابس من بلاد الحميريد بافريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يخلص من

حتى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم يكن كذلك من قبل ونقل البكرى في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه على اناء من نحاس مختوم بالرصاص فلما فض ختامه سعد منه دخان الى الجوف وانقطع وكان ذلك بدءاً لأمراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاناء كان مشتملاً على بعض اعمال الطمسات لوبائه وأنه ذهب سره بذهاب فرجع الى العفن والوباء وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومناحيهم الركيكة والبكرى لم يكن من متانة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خرفه فنقله كما سمعه والذي يكشف الحق في ذلك ان هذه الالهوية العفنة اكثر ما يجهها لتعفن الاجسام وامراض الحميات ركودها فاذا تخللها الريح ونفشت وذهب بها يمينا وشمالا خف شأن العفن والمرض المتأدى منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء ضرورة ويحدث الريح المتخلل للهواء الراكد ويكون ذلك معينا له على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتموجه فيبقى راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند ما كانت افريقية مستبحرة (1) العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجا فكان ذلك

(1) Man. A. et B. مستبحرة. C. مستحرة.

معينا على تتموج الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كبير عفن ولا مرض وعند ما خف ساكنها ركد هواؤها المتعفن بنسب مياها فكثر العفن والمرض هذا وجهه لا غير ذلك وقد اينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد ما قلته لك وقد ذهب لهذا العهد القريب فساد الهواء من قابس وزال عفنها لما حاصرها ساطان تونس وقطع الغابة من النخيل التي كانت محيطة بها فانفجر جانب منها وتتموج الهواء المحيط بها وتخللته الرياح فذهب منه العفن والله مصرف الامور (واما) جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيها امور (منها) الماء وان يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريبا من البلد مسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عامّة (ومها) يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائماتهم اذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من البرعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق لهم مما يعانون من المشقة في بعده ومياها

يراعى ايضا المزارع فان الزرع هو القوت فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل فى اتخاذه واقرب فى تحصيله (ومن) ذلك الشعراء للحطب والبناء فان الحطب مما تعم البلوى فى اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والخشب ايضا ضرورى لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضروراتهم (وقد) يراعى ايضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجة وما تدعو اليه ضرورة الساكن (وقد) يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعى وانما يراعى ما هو اهم على نفسه او قومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام فى المدن التى اختطوها بالعراق والحجاز واقريقية فانهم لم يراعوا فيها الا المنعم عندهم من مراعى الابل وما يصلح لها من الشجر والهاء والملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وسجلداسة وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب لهما لم يراع فيها الامور الطبيعىة (فصل) ومما يراعى فى البلاد الساحلية التى على البحر ان تكون فى جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد يكون صريحنا للمدينة متى طرقتا طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة اذا

كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل
العصبيات ولا موضعها في متوعر من الجبال كانت في
غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها
وتحيفه (1) لها لها يأمن وجود الصريح لها وان الحضر المعودين
للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذا
كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة
وسلا ومنتى كانت القبائل والعصبيات موطنين بقربها
بحيث يبلغهم الصريح والنفير وكانت متوعدة المسالك
على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى
استمتها كان لها بذلك منعة من العدو ويؤسسون من
طروقها لما يكودهم من وعرها وما يتوقعون من اجابة صريحها
كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك
واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة
العباسية مع ان الدعوة كانت من ورائها ببرقة وافريقية
وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة من البحر لسهولة
وضعها ولذلك والد اعلم كان طروق العدو للاسكندرية
وطرابلس في الملة مرات متعدده

(1) Man. D. يخيفه.

فصل في المساجد والبيوت المعظمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السنة رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة بهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض فيما علمناه حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس فمكة بيت ابراهيم صلوات الله عليه امره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليد فبناه هو وابند اسماعيل كما قصه القران العظيم وقام بنا امره الله فيد وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرحهم الى ان قبضها الله ودفنا بالحجر منها وبيت المقدس هو بيت داود وسليمان عليهما السلام امرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواليه والمدينة مهاجر نبينا صلعم امره الله بالحجرة اليها واقامة دين الاسلام بها ومنها فبنى مسجده الحرام بها وكان مسجده الشريف في تربتها فهذه المساجد الشريفة الثلاثة قرّة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعصية دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشر الى شئ من الخبر عن اولية هذه المساجد

الحال على ذلك والناس يهوون اليها من كل افق من جميع اهل الارض من الخليقة لا من بنى اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت وتعطيه وان تبع الذى يسمّى قبار اسعد ابا كروب كساها الهاء والوصائل وامر بتظهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحجّه وتقرب اليه وان غزالي الذهب الذين وجدها عبد الدطلب حين احتفر زمزم كانا من قرابينهم ولم تنزل لجرهم الولاية عليه بعد بنى اسماعيل ومن قبل خولتهم حتى اخرجتهم خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على امره واخرجوه من البيت وملكوها وعليهم يومئذ قصى بن كلاب فبنى البيت وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى

حلفت بثوبى راحب والى بناها قصى وحده وابن جرهم

ثم اصاب البيت سيل فى ولايتهم ويقال حريق وتهدم فاعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدّة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة ليلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة

اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر
وبقى البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير
بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية
مع الحصين بن نمير السكوني سنة اربع وستين فاصابه حريق
يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فتصدعت
حيطانه فهدمه ابن الزبير واعاد بناءه احسن ما كان بعد ان
اختلف عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول
الله صلعم لعائشة لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت
على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيًا وغربيًا
فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم عليه السلام وجميع الوجوه
والاكابر حتى عاينوه واثار عليه ابن عباس بالتحري
في حفظ القبلة على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب
من فوقها الستور حفظا للقبلة وبعث الى صنعاء في القصص
والكلس فجلبها وسأل عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما
احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم ورفع
جدرانها سبعا وعشرين ذراعًا وجعل لها بابين لاصفيين
بالارض كما روى في حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام
وصاغ لها المفاتيح وصنّاع الابواب من الذهب ثم جاء
الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد
بالمجنّقات الى ان تصدعت حيطانه ثم لما ظفر بابن

الزبير شاوور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فامر
 بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال
 انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير
 لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ابا حبيب
 من امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة
 اذرع وشبرا مكان الحجر وبنائها على اساس قريش وستة
 الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب
 الشرقي وترك ساورها لم يغير منه شئ فكل بناء فيها اليوم
 بناء ابن الزبير وبين بنائه وبناء الحجاج في السحاط صلة
 ظاهرة للعيان لحيمة بين البنائين والبناء متبر عن البناء بمقدار
 اصبع شبه الصدع وقد لحم وبعض هناك اشكال قوى
 لمنافاته لها يقوله النخعي في امر الطواف وتحريز الطائف ان
 يبيل على الشاذروان الدائر باساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه
 داخل البيت بناً على ان الجدران انما قام على
 بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان
 وكذا قالوا في تقبيل الحجر الاسود لا بد
 من رجوع الطائف من التقبيل الى ان يستوى قائماً
 ليلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كان الجدران كلها
 من بناء ابن الزبير وهو انما بنى على اساس ابراهيم فكيف
 يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من ذلك الا باحد امرين

اما ان يكون الحجاج هدمه جميعه واعاده وقد نقل ذلك
 جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحمام ما بين
 البنائين وتمييز احد الشقين من اعلاه عن الاخر في الصناعة
 يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على
 اساس ابراهيم من جميع جهاته واتها فعل ذلك في الحجر
 فقط ليدخله فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست
 على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ولا محيص عن هذين والله اعلم
 ثم ان ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفين ولم
 يكن عليه جدار ايام النبي صلعم وابى بكر من بعده ثم كثر
 الناس فاشترى عمر دورا هدمها وزادها في المسجد وادار عليه
 جدارا دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير
 ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعد الرخام ثم زاد فيه
 المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقر على
 ذلك لعهدنا وتشرىف الله لهذا البيت وعنايته اعظم من
 ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطا للوحى
 واللائكة ومكانا للعبادة وفرض فيه شعائر الحج ومناسكه
 واوجب للحرم من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق
 ما لم يوجب لغيره فبمع من خالف دين الاسلام من دخول
 ذلك الحرم واوجب على داخله ان يتجرد من المخيط
 لا ازارا بستره وحبى العائذ به والرائع فى مساربه من مواقع

الآفات فلا يراع فيه خائى ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحد الحرم الذى يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة اميال الى التنعيم (1) ومن طريق العراق سبعة اميال الى ثنية جبل المنقطع (2) ومن طريق الجعرانة تسعة اميال الى الشعب ومن طريق الطائف سبعة اميال الى بطن ندره ومن طريق جدّة عشرة اميال الى منقطع العشائر هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ايضا بكة قال الاصمعى لانّ الناس يبكّ بعضهم بعضا اليها اى يدفع وقال مجاهد انما هى باء بكة ابدلوا ميما كما قالوا لازم ولازب لقرب المخرجين وقال النخعى بل بالباء للبيت وبالميم للبلد وقال الزهرى بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهليّة تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياى وغزالى الذهب التى وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلعم حين افتتح مكة فى الحجب الذى كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك تهدي الى البيت قيمتها الف الف دينار اثنان مكررة مرتين بمائتى قطار وزنا وقال له على بن ابي طالب يا رسول الله لو استغنت

(1) Man. C. السعيم.

(2) Man. A. المنقطع. D. منقطع.

بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم
يحركه هكذا قال الازرقى وفى البخارى بسنده الى
ابى وايل جلست الى شيبه بن عثمان وقال جلس
الى عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع
فيها صفراء ولا بيضاء الا قسستها بين المسلمين قلت
ما انت بفاعل قال فلم قلت لم يفعل صاحبك
قال هما المرءان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجه
واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسين
بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع
وتسعين ومائة حين غلب على مكة عبد الى الكعبة فاخذ
ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا
فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا
واخرجه وتصرف فيد وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ
(واما بيت المقدس) وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام
الصابية موضعا لهيكل الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما
يقربونه ويصّبون على الصخرة التى هناك ثم دثر ذلك الهيكل
واخذوها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله لصلوتهم وذلك
ان موسى صلوات الله عليه لما خرجه بنو اسرائيل من
مصر ليملكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم اسرائيل
واباد اسحق ويعقوب من قبله واقاموا بارض التيه امره الله

بأخذ قبة من خشب السنط عيّن بالوحى مقدارها وصفتها
وهياكلها وتفاصيلها وان يكون فيها تابوت ومائدة بصحافها
ومنارة بقناديلها وان يصنع مذبحا للقربان ووصف ذلك
كله فى التوراة اكمل وصف صنع القبة ووضع فيها تابوت
العهد وهو التابوت الذى فيه الألواح المصنوعة عوضا من
الألواح المنزلة بالكلمات العشر لها تكسرت ووضع المذبح
عندها وعهد الله الى موسى بان يكون هرون صاحب القران
ونصبوا تلك القبة بين خيامهم فى الثيه يصلون اليها
ويقربون فى الهذبة امامها ويتوجهون للوحى عندها ولما
ملكوا ارض الشام انزلوها بكلكال من بلاد الارض المقدسة
ما بين قسم بنى يامين وبنى افرايم وبقيت هنالك
اربع عشرة سنة سبعا مدّة الحرب وسبعا بعد الفتح ايام
قسمة البلاد ولما توفى يوشع عليه السلام نقلوها الى بلد
شيلو قريبا من كلكال واداروا عليها الحيطان واقامت على
ذلك ثلثمائة سنة حتى ملكها بنو فلسطين من ايديهم
كما مرّ وتغلبوا عليهم ثم ردّوا عليهم القبة ونقلوها بعد وفاة
على الكوهن الى نوف ثم نقلت ايام طالوت الى كنعون
فى بلاد بنى يامين ولما ملك داود عليه السلام نقل
القبة والتابوت الى بيت المقدس وجعل عليها خباء خاصا
ووضعها على الصخرة وبقيت تلك القبة قبلتهم واراد داود

عليه السلام بناء مسجد على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسماية سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمدة من الصفر وجعل فيه صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتمائله واوعيته ومناوره ومفاتيحه من الذهب وجعل ظهره مقبوليودع فيه تابوت العهد وجاء به من صهيون بلد ابيه داود نقله اليها ايام عمارة المسجد فحجى به تحمله لاسباط والكهنونية حتى وضع في القبول ووضعته القبه والوعية والذبح كل حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانماية سنة من بناءه واحرق التوراة والعصا وسبك الهياكل ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناءه عزيز من بنى اسرائيل لعهد باعانة يهين ملك الفرس الذي كانت الولادة (1) لبنى اسرائيل عليه من سبي (2) بخت نصر وحد لهم في بناءه حدودا دون بناء سليمان عليه السلام فلم يتجاوزها واتما الاواوين التي تحت المسجد يركب بعضها بعضا عمود الاعلى منها على قوس الاسفل في طبقتين ويتوهم كثير من الناس انها اعطبلات سليمان عليه السلام وليس كذلك وانما بناها تنزيها للبيت المقدس عما يتوهم

(1) Man. B. الولاية.

(2) Man. A. et D. سبي.

من النجاسة لأن النجاسات في شريعتهم وإن كانت في باطن الأرض وكان ما بينها وبين ظاهر الأرض محشوا بالتراب بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينجس ذلك الظاهر بالتهوّم والتهوّم عندهم كالمحقق فبنوا هذه الأواوين على هذه الصورة بعمود الأواوين السفلية تنتهي إلى أقواسها وينقطع خطه فلا تتصل النجاسة بالأعلى على خط مستقيم وتنزه البيت عن هذه النجاسة المتهوّمه ليكون ذلك ابلغ في الطهارة والتقدّيس ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبنى إسرائيل في هذه المدد لبنى حشمتاي من كهونيتهم ثم لصهرهم هيروُدس ولبنيه من بعدهم وبنى هيروُدس بيت المقدس على حدود سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى اكمله في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلِبهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام وذانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرانيّة تارة وتركه أخرى إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هلاية وارتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاحبروها القمامسة بانه رمى بخشبته على الأرض والقي عليه القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك

القممات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عبارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وحفى مكانها جزاء بزعمها عنها فعلوه من قبر المسيح ثم بنوا ازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الأمر كذلك الى ان جاء الاسلام والفتح وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة وعظم من شأنه ما اذن الله فى تعظيمه وما سبق فى أم الكتاب من فضله حسبما ثبت (ثم احتفل الوليد بن عبد الملك فى تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل فى المسجد الحرام وفى مسجد النبى صلعم بالهدينة وفى مسجد دمشق وكانت العرب يستيه بلاط الوليد والزوم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك ونم بناؤها على ما اقترحه (ثم لها ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة وفى آخرها وكانت فى ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فهاكوه وملكوا معه عامسة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المتقدمة من كنيسة كانوا يعظونها

ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب الكردى بملك مصر والشام ومضى اثر العبيديين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على البيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك نحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذى هو عليه لهذا العهد (ولا يعرض لك الاشكال المعروف فى الحديث الصحيح ان النبى صلعم سئل عن اول بيت وضع فقال مكة فقيل ثم اى قال بيت المقدس قيل فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدّة بين بناء مكة وبناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بانيها وهو ينيف على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع فى الحديث ليس البناء والمراد انما اول بيت عيّن للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عيّن للعبادة قبل سليمان بمثل هذه المدّة وقد نقل ان الصابية بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك لانها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حول (1) الكعبة وفى جوفها والصابية الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدّة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع

(1) Man. C. حوالى.

بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان
اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهيه وفيه حل
هذا الاشكال (واما المدينة المنورة) وهي المسماة يثرب فهي من
بناء يثرب بن المهليل من العمالقة وبه سميت وملكها بنو
اسرائيل من ايديهم فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم
ابناء قبيلة من غسان وغلبيهم عليها وعلى حصونها ثم امر
النبي صلعم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله لها
فهاجر اليها ومعه ابو بكر وتبعه اصحابه ونزل بها وبني
مسجده وبيوته في الموضع الذي قد كان الله اعده لذلك
وشرفه في سابق ازله واواه ابناء قبيلة ونصروه وبذلك
سموا الانصار وتتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على
الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن
الانصار انه يتحول عنهم الى بلده فاجتهدوا ذلك فخطبهم
صلعم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلعم كان
ما احده الشريف بها وجاء في فضلها من الاحاديث
الصحيحة ما لا يخفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في
تفضيلها على مكة وقال بد مالك رحمه الله لما ثبت عنده
في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان
النبي صلعم قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد
الرحمان في المعونة الى احاديث اخرى تدل بظاهرها على

ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعى واصبحت على كل حال
ثانية المسجد الحرام وضح اليها الامم بافئدتهم من كل
اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد
المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله فى الكون
وتدرجه على ترتيب محكم فى امور الدين والدنيا (واما) غير
هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه فى الارض الا ما يقال من شأن
مسجد ادم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم
يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت للامم فى القديم مساجد
يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس
وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز التى امر النبى
صلعم بهدمها فى غزوانه وقد ذكر السعودى منها بيوتا
لسنا من ذكرها فى شئ اذ هى غير مشروعة ولا هى على
طريق دينى فلا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى
فى ذلك ما وقع فى التواريخ فمن اراد معرفة الاجبار فعليه
بها والله يهدى من يشاء

فصل فى ان الامصار والمدن بافريقية والمغرب قليلة

والسبب فى ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ اوان
من السنين قبل الاسلام وان كان عمرانها كله بدويا ولم
تستقر فيهم الحضارة حتى يستكمل احوالها والدول التى

ملكنتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى
ترسخ الحضارة منها فلم تنزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا لها
اقرب فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنائع بعيدة عن البربر
لانهم اعرق (1) في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم
المباني بها فلا بد من الحدق في تعلمها ولما لم يكن للبربر
انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلا عن
البدن وايضا فهم اهل عصبية وانساب (2) لا يخلو عن
ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما
يدعو الى المدن الدعة والسكون ويصير ساكنها عيالا على
حاميتها فتجد اهل البدو كذلك يستكفون من سكنى
المدينة او الإقامة (3) بها ولا يدعوهم الى ذلك الا الترف
والعنى وفليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية
والمغرب كده او اكثره بدويا اهل خيام وظواعن وقباطن
وكثر في الجبال وكان عمران بلاد العجم كده او اكثره قرى
وامصار وسابق في بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق
العجم وامثالها لان العجم في الغالب ليسوا باهل انساب
يحافظون عليها وينساعون في صراحتها والتحامها الا في
الاول واكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لان لحمية
النسب اقرب واشد فتكون عصبية كذلك وتنزع بصاحبها

1) Man. D. اغرق.

2) Man. D. الانساب

3) *Ibid.* الإقامة

الى سكى البدو والتجافى عن المصير الذى يذهب
بالبسالة ويصيره عيالا على غيره فافهمه وقس عليه

فصل فى ان المبانى والمصانع فى الملة الاسلاميّة قليلة
بالنسبة الى قدرتها (1) ومن كان قبلها من الدول

والسبب فى ذلك ما ذكرنا مثله (2) فى البربر بعينه اذ
العرب ايضا اعرق (3) فى البدو وابتعد عن الصنائع وايضا فكانوا
اجانب من الممالك التى استولوا عليها قبل الاسلام ولما
تملكوها لم ينفسح الامر حتى تستوفى رسوم الحضارة مع انهم
استغنوا بها وجدوا من مبانى غيرهم وايضا فكان الدين اول
الامر مانعا من المغالاة فى البنيان والاسراف فيه من غير
القصد كما عهد لهم غير حين استأذنه فى بناء الكوفة
بالحجارة وقد وقع الحريق فى القصب الذى كانوا بنوا به
من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات
ولا تطاولوا فى البنيان والزمو الستة تلزمكم الدولة وعهد الى
الوفد وتتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقتربكم من السرف ولا يخرجكم عن
القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج فى امثال هذه المتعاضد
وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب امة الفرس

1. Man. C. فدرج.

2. Man. D. شنه.

3. *Ibid.* اعرق.

واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم اليها احوال الدعة
 والترف وحينئذ شيّدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك
 قريبا بانقراض الدولة ولم يفسح الامر لكثرة البناء واختطاط
 المدن ولا مصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم
 فالفرس طالت مدتهم الآفا من السنين وكذلك القبط والبط
 والروم وكذلك العرب الاول من عاد وثمود والعماليقة
 والتتابعة طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت
 مبانيهم وهياكلهم اكثر عددا وابتقى على الايام اثرا واستبصر
 في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن
 عليها

فصل في ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها
 الحراب الآ في الاقل

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما
 قدّمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها ولد والله اعلم
 وجد اخر وهو امس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار
 في اختطاط المدن كما قلناه من المكان وطيب الهواء
 والمياه والمزارع والبراعى فان بالتفاوت في هذه تتفاوت
 جودة البصر او رآند من حيث العيران الطبيعى والعرب
 يعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالمون

بالماء طاب ام خبث ولا قل ام كثر ولا يسألون عن زكى
 الهزارع والهنابت والاهوية لانتقالهم فى الارض ونقلهم
 السجوب من البلد البعيد واما الرياح فالقفر مسخترلف
 للمهات كلها والظعن كفيل لهم بطيها لان الرياح انما
 تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما
 اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا فى اختطاطها
 الا مراعى ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن
 فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعى للمدن ولم تكن لها
 مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا بانء يحتاج اليه
 فى حفظ العمران فقد كانت مواطنهم غير طبيعية للقرار
 ولم تكن فى وسط الامم فيعمرها الناس فلاول وهلة من
 انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التى كانت سياجا لها اتى
 عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب
 لحكمه

فصل فى مبادئ الخراب فى الامصار

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة الهساكن
 وقليلة آلات البناء من الحجر والكلس وغيرها مما يعالى على
 الحيطان عند التائق كالزليج والرخام والفسيفساء والسبج
 والصدى والزجاج فيكون بناؤها يومئذ بدويتاً والآتيا فاسدة

فاذا عظم عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت آلاتها بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة الصنائع الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق في شأنها فاذا تراجع عمرانها وقل ساكنها قلت الصنائع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالة عليه بالتنسيق ثم تغل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتفقد ويصير بناؤهم وتشبيدهم من الآلات التي في مبانيهم ينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاء اكثر الصنائع والقصور والمنازل لثقل العمران وقصوره عما كان اولاً ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد الكثير منها حياة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن الحجارة والتصور عن التنسيق بالكيفية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمداشر ويظهر عليها ميسم (1) البداوة ثم تدبر في التناقص الى غايتها في الخراب ان قدر لها به سنة الله تعالى في خلقه

فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرغد ونفاق الاسواق وانما هو بتفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من

(1) ميسم. Man. C. et D.

البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وانهم
متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي
تحصل بتعاون طائفة منهم تسدّ ضرورة الأكثر من عددهم
اضعافا فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل
حصته منه وإذا انتدب لتحصيله الستة او العشرة من حداد
ونجار والآلات وقائم على البقر وائارة الارض وحصاد السنبيل
وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا
وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت
لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات
العاملين وضرورتهم واهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم
كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالاقبل
من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على
الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج
اليه غيرهم من اهل الامصار ويستجلبونه منهم باعواضه
وقيبته فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد يتبين لك
في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب
انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمتها بينهم
فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى
الترف وحاجاته من الثائق في المساكن والملابس
واستجادة الآنية والياعون واتخاذ الخدم والبراكب وهذه

كلها اعيال تستدعى بقيمتها ويختار اليهرة في صناعتها والقيام عليها فتتفق اسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل البحر وخرجه ويحصل اليسار لمنتحلي ذلك من قبل اعيالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ونفق سوق الاعمال بها اكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل المصر بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعوائد من الترف لا توجد في الاخر فما كان عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاعناني القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقى مع السوقى والامير مع الامير والشرطى مع الشرطى واعتبر ذلك في المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من اصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجدد بينهما بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضى بفاس اوسع من حال القاضى بتلمسان وكذا كل صنف مع اهل صنفه وكذا ايضا حال تلمسان مع وهران والحزائر وحال

PROLÉGOMÈNES
d'Elu-Khaldoun.

وهران والجزائر مع ما دونها الى ان ينتهى الى السهداشر الذين اعتمالهم فى ضرورات معاشهم فقط او يقصرون عنها وما ذاك الا لتفاوت الاعمال فيها فكانتها كتمها اسواق للاعمال والخرج فى كل سوق على نسبهته فالقاضى بفاس دخله كفاء خرجه وكذا القاضى بتلمسان وحيث الدخل والخرج اكثر تكوين الاموال اعظم واوسع وهما بفاس اكثر لتفاوت سوق (1) الاعمال بما يدعو اليه الترف فالاحوال اضخم ثم هكذا حال وهران وقسطنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهى كما قلنا الى الامصار التى لا تفى اعمالها بضرورتها ولا تعدد فى الامصار اذ هى من قبيل القرى والمداشر فلذلك ما نجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الحال متقاربين فى الفقر والخصاصة لما ان اعمالهم لا تفى بضرورتهم ولا يفضل لهم ما يتأثرونه كسبا فلا تنمو مكاسبهم فهم لذلك محاورج مساكين الا فى الاقل النادر واعتبر ذلك حتى فى احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس احسن حالا من السائل بتلمسان او وهران ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون ايام الاضاحى اثمان ضحاياهم ورايتهم يسألون كثيرا من احوال الترف واقتراح الماكل مثل سؤال اللحم والسمين وعلاج الطبخ والملابس والمعون

(1) Man. A. et B. سائل.

كالغربال والآنية ولو سأل السائل مثل هذا بتلمسان او وهران
 لاستنكر وعضى وزجر ويبلغنا لهذا العهد عن احوال اهل
 القاهرة ومصر من الترف والغنى فى عوائدهم ما نقضى مند
 العجب حتى ان كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون الى
 النقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم ان شأن الرفه بمصر
 اعظم من غيرها وتعتقد العامة من الناس ان ذلك لطمو
 الاموال فى تلك الآفاق وان الاموال مختزنة لديهم وانهم
 اكثر صدقة وايتارا من جميع اهل الامصار وليس كذلك
 وانما هو لما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من
 عمران هذه الامصار التى لديك فعظمت لذلك احوالهم
 واما حال الدخل والخرج فمتكافى فى جميع الامصار ومتى
 عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل
 والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر وكل شىء
 يبالغت من هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون
 عند من كثرة المكاسب التى يسهل بسببها البذل ولايتار
 على متبغيد ومثلد بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة
 الواحدة وكيف تختلف احوالها فى هجرانها او غشيانها فان
 بيوت اهل النعم والثروة والهوائد الخصيبة منها تكسر
 بساحاتها وافئتها تثير الحموب وسواقط الثقات فيزدحم عليها
 غواشى النهل والخشاش وبكثرفى سربها الجردان وتاوى

اليه السنائير وتحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا
وتتملى شبا وربا وبيوت اهل الخصاصة والفقير الكاسدة
ارزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يحلق نحوها طائر
ولا يأوى الى اسراب بيوتها فارة ولا هتر كما قال
يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

فتأمل سرّ الله واعتبر غاشية الاناسى بغاشية العجم من
الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترق وسهولتها
على من يبذلها لاستغنائهم عنها فى الاكثر بوجود امثالها
لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم فى العيران تابع
كشورته والله غنى عن العالمين

فصل فى اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتيل على حاجات الناس فمنها
الضرورى وهو الاقوات من الخنطة والشعير وما فى
معانها كالباقلا والحمص والجلبان وسائر حبوب الاقوات
ومصاحاتها كالصل والثوم واشباهه ومنها الحاجى والكمالى
من الادم والفواكه والبلايس والماعون والمراكب وسائر
الصنائع واليبانى فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت
اسعار الضرورى من القوت وما فى معناه وغلت اسعار
الكمالى من الادم والفواكه وما يتبعها واذا قـر ساكن المصر

وضعف عيراند كان الامر بالعكس من ذلك والسبب في ذلك ان الحبوب من ضرورات القوت فتوفر الدواحي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهرة او سنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك المصر او فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل منخذ لقوتد فيفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كثيرة تسد خلّة كثيرين من اهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن اهل المصر من غير شك فترخص اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السهاوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران (واما) سائر المرافق من الادم والفواكد وما اليها فانها لا نعم فيها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستنجرا موفور العمران كثير حاجات الترف توقرت حينئذ الدواحي على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله فيقتصر الموجود منها عن الحاجات قصورا بالغا ويكثر اليستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم الاعراض ويبذل اهل الترف والرغد ائمانها باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه (واما) الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة

العمران فسبب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عيراند والثاني اعتزاز اهل الاعمال بخدمتهم وامتنان انفسهم لسهولة المعاش في الهدينة بكثرة اقوانها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتنان غيرهم والى استعمال الصنّاع في مهنتهم فيبدلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاستئثار بها فيعتز الغلة والصنّاع واهل السحرى وتغلا اعمالهم وتكثر نفقات اهل المصر في ذلك واما الامصار الصغيرة القليلة الساكن فاقوانهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بها يحصل منه في ايديهم ويحتكرونه فيعتز وجوده لديهم ويغلا منه على مستامد (واما) مرافقهم فلا تدعو اليها ايضا حاجة لقلّة الساكن وضعف الاحوال فلا ينفق لديهم سوقه فيختص بالرخص في سعره وقد يدخل في قيمة الاقوات ما يفرض عليها من المكوس والبخارم للسلطان في الاسواق وابواب المصر وللحياة في منافع يفرضونها على البياعات لانفسهم ولذلك كانت الاسعار في الامصار اغلا من اسعار البادية اذ المكوس والبخارم والفرائض قليلة لديهم او معدومة والامصار بالعكس سببا في اواخر الدول وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك

ففي أسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم لها الجاعم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوقعة الخبيثة الزراعة التكرة النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها وفاحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الربل وغيره لها مؤنة وصارت في فاحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطروهم النصارى الى هذا المعور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في قطرهم انها لقلّة الاقوات والحبوب بارضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعور فاحا فيبا علينا واقومهم عليه وقل ان يخلو منهم سلطان او سوقة عن فدان او مزرعة او فلاح الا قليل من اهل الصناعات واليمن او الطراء على الوطن من الغزاة والسجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوفتهم من المزارع (1) وانما السبب في غلاء السعر عندهم في الحبوب ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم وطيب ارضهم ارتفعت عنهم المون جملة في الفلاح مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا لرخص الاقوات ببلدهم والله سبحانه وتعالى مقدر الليل والنهار

(1) Man. G. et D. الزرع.

فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدّمناه وتكثر حاجات ساكنه من اجل الترف وتعداد (1) تلك الحاجات لما تدعو اليها فتتقلب ضرورات وتصير الاعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازديادها لاغراض عليها من اجل الترف وبالغرام السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم الهبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنيه كثرة بالغة على نسبة عمرانته ويعظم حرجه فيحتاج حينئذ الى الهال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤنهم والبدوي لم يكن دخله كثيرا اذ كان ساكنا بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأمل كسبا ولا مالا فيعتذر عليه من اجل ذلك سكنى المصر الكبير لاجل مرافقه وعزة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنّه فلا يضطر الى المال وكل من يتشوّف الى المصر وسكنائه من اهل البادية فسريعا ما يظهر عجزه ويفتضح الا من تقدم

(1) Mar. C. et D. يعتاد.

منهم تأنيل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجرى الى
الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فحينئذ ينتقل
الى المصر وينتظم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترفهم
وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شئ محيط

فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرغد والفقر
مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمرانته في الاقطار وتعددت الاسم في جهاته
وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم
وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه
من كثرة الاعمال وما سيأتي ذكره من انها سبب للثروة بما
يفصل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن
من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على
الناس كسبا يتأثرونه حسبها نذكر ذلك في فصل المعاش
وبيان الرزق والكسب فيزيد الرغد لذلك وتتسع الاحوال
ويجى الترف والغنى وتكثر الحباية للدولة بنفاق الاسواق
فيكثر مالها ويشهخ سلطانها ويتفتن في اتخاذ المعامل
والحصون واختطاط المدن وتشييد الامصار واعتبر ذلك
باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين
وناحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولهم وتعددت مدنهم
وحواضرهم وعظمت متاجرهم واحوالهم فالذى نشاهدده لهذا
العهد من احوال تجار الامم النصرانية الواردين على المسلمين
بالمغرب في رفهم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط
به الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يبلغنا من احوالهم
اكثر من ان يحيط وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى
من عراق العجم والهند والصين (1) فانه يبلغنا عنهم في باب
الغني والرفه احوال غرائب يسير الركاب بحديثها وترسما
تنتقى بالانكار في غالب الامر ويحسب من يسمعها من
العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم او لان المعادن الذهبية
والفضية اكثر بارضهم او لان ذهب الاقدمين من الامم
استأثروا بها دون غيرهم وليس كذلك فيعدن الذهب الذي
نعرفه في هذه الاقطار انما هو ببلاد السودان وهي الى المغرب
اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى
غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم لما
جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا يستغفوا (2)
عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب المسجون لما رأوا مثل
ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الاحوال واتساعها
ووفور اموالها فقالوا ان عطايا الكواكب والسهام في مواليد

1. Man. A. et B. اليهن.

2) Man. C. استغفوا.

اهل المشرق اكثر منها حصصا في مواليده اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجومى وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضى وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تقيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التى هى سببه فلذلك اختص المشرق بالرفد من بين الآفاق لا ان ذلك بمجرد الاثر النجومى فقد فهمت مها اشرفنا لك اول انه لا يستقل بذلك فان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها امر لا بد منه واعتبر حال هذا الرفد من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خلق ساكنها وتناقض عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهسوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفد وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القيروان الى صاحب مصر لساحانده ومهمانده في غالب الاوقات وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر التى حمل من الهال يستعدّها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان فى القديم دون

افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله في دولة اليهوديين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لتصور العمران فيه وتناقضه فنقص ذهب من عمران البربر فيه اكثره ونقص من معهوده نقضا ظاهرا محسوسا وكاد ان يلاحق في احواله بمثل احوال افريقية بعد ان كان عمران متصلا من البحر الرومى الى بلاد السودان في طول ما بين السوس الاقصى وبرقة وهى اليوم كلها او اكثرها قفار وخلاء وصحارى الا ما هو منها بسيف البحر او ما يقاربه من التلول والده وارث الارض ومن عليها وهو خير الوراثين

فصل فى تأثّل العقار والضياح فى الامصار وحال فوائدها
ومستغلانها

اعلم ان تأثّل العقار والضياح الكثيرة لاهل المدن والامصار لا يكون دفعة ولا فى عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التى يخرج فيها عن السخة ولو بلغت احوالهم فى الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم لها وتأثّلهم تدريجا اما بالوراثه من ابائهم وذوى رحمة حتى تتادى املاك الكثيرين منهم الى الواحد واكثر كذلك او يكون (1) بحواله الاسواق فان العقار فى اواخر الدولة واول

(1) Man. D. واكثر ذلك ان يكون

الآخرى عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى
الخراب تقل الغبطة به لقلّة المنفعة فيها بتلاشى الاحوال
فترخص قيمها وتتملك بالاثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث
الى ملك الاخر وقد استجدّ البصر شبابه باستفحال الدولة
الثانية وانتظمت معه احوال حسنة تحصل معها الغبطة فى
العقار والضياع لكثرة منافعتها حينئذ فتعظم قيمها ويكون لها
خطر لم يكن فى الاول وهذا معنى الحوالة فيها ويصبح
مالكها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه
واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك (واما) فوائد (1) العقار
والضياع فهى غير كافية لملكها فى حاجات معاشه اذ هى
لا تفى بعوائد الترف واسبابه وانما هى فى الغالب لسدّ
الحاجة وضرورة المعاش والذى سمعناه من مشيخة البلدان
ان القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية
على من يترك خلفه من الدرّية الصعاف ليكون مراعى
ورزقهم فيه ونشوّهم بفائدته ما داموا عاجزين عن الاكتساب
فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم
وربما يكون من الولد من يعجز عن التكبّب لصعف
فى بدنه او آفة فى عقله المعاشى فيكون ذلك العقار
قواما لحالد هذا قصد الترفين فى اقتنائه (واما) التمول

(1) مؤيد. A. et D.

منه واجراء احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك منه للتليل او النادر بحوالة الأسواق وحصول الكثرة البالغة منه والتغالى (1) فى جنسه وقيمته فى المصر الا ان ذلك اذا حصل فربما امتدت اليه اعيان الامراء والولاة واغتصبوه فى الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه منه مضار ومعاظب والله غالب على امره

فصل فى حاجة التمولين من اهل الامصار الى الجاه (2)
والمدافعة

وذلك ان المحصرى اذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع تألذ واصبح اغنى اهل المصر ورمقته العيون وانفسحت احواله فى الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك وغصوا به ولما فى طباع البشر من العدوان تمتد اعيانهم الى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلوه (3) فى رتبة حكم سلطانتى وسبب من المواخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة فى الغالب اذ العدل المحض انما هو فى الخلافة الشرعية وهى قليلة الليك قال صلعم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضويا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة

(1) Man. A. العالى. B. et C. العالى.

(2) Man. D. الجاه.

(3) Man. A. يحصلونه D. يحصلونه.

فى العمران من حامية تذود عنه وجاه ينسحب عليه من
ذى قرابة لليلك او خالصة له او عصبية يتحاماها السلطان
فيستظل هو بظآنها ويرتفع (1) فى امنها من طوارق التعدى
وان لم يكن له ذلك اصبح نهبا بوجوه التحييلات واسباب
الحكم والله يحكم لا معقب لحكمه

فصل فى ان الحضارة فى الامصار من قبل الدول وآنها
ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب فى ذلك ان الحضارة هى احوال عادية زائدة
على الضرورى من احوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت
الرفه وتتفاوت الامم (2) فى الثلثة والكثرة تفاوتنا غير منحصر
ويقع فيها عند كثرة الثقتن فى انواعها واصنافها فيكون
بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه البهرة
فيه ويقدر ما يتميز من اصنافها بتزويد اهل صناعتها ويتلون
ذلك الجيل بنا ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك
الصبغات حذق اولئك الصناع فى صناعاتهم ومهروا
فى معرفتها ولاعمار بطولها وانفساح امدها وتكرر امثالها
تزيدها استحكما ورسوخا واكثر ما يكون ذلك فى
الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرفه فى اهلها وذلك كله

(1) Man. A. et B. يرتفع.

(2) Man. C. et D. الامم.

أما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال السريعة وتنفقها في بطانتها ورجالها وتتسع احوالهم بالجاه اكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في اهل الدولة ثم فيمن تعلق بهم من اهل المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد الشرف ومذاهبه وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فونونه وهذه هي الحضارة ولهذا نجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران فتغلب عليها احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذلك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه مما (1) قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف على البعد (2) وقد قدّمتنا ان السلطان والدولة سوق للعالم فالصنائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بعدت عن السوق افتقدت الصنائع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب مالوكها في ذلك المصر واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم في الشام نحو من اثني واربعماية سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في احوال المعاش وعوائده

(1) Man. A. بها. C.

(2) Man. A. et B. البعيد.

والفتن في صناعته من المطاعم والملابس وسائر احوال
 المنزل حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت
 الحضارة ايضا وعوائدهما في الشام منهم ومن دول الروم
 بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة وكذلك ايضا
 القبط دام ملكهم في الخليفة ثلاثة آلاف من السنين
 فرسخت عوائد الحضارة في بلادهم مصر واعتقدهم بها ملك
 اليونانيين والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تنزل
 عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك ايضا رسخت عوائد
 الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة
 والتابعة آلاف من السنين واعتقدهم ملك مصر وكذلك
 الحضارة بالعراق لاتصال دولة البطح والفرس بها من لدن
 الكلدانيين والكنينية والكسروية والعرب بعدهم آلاف من
 السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من اهل
 الشام والعراق ومصر وكذلك ايضا رسخت عوائد الحضارة
 بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعتقدها من
 ملك بنى امية آلاف من السنين وكلا الدولتين عظيم
 فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت واما افريقية
 والمغرب فلم يكن فيها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع
 الروم والافرنجة الى افريقية البحر وماكرو الساحل وكانت
 طاعة البربر اهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على

قلعة واوفاز (1) واهل المغرب لم تجاورهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بافريقية والمغرب لم يجد بها من الحضارة ما يتلذذ فيه من سلفه اذ كانوا برابر منغهمسين في البداوة ثم انتقض برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهود على يد ميسرة المظفرى ايام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب بعد واستقلوا بامر انفسهم وان بايعوا لادريس فلا تعدد دولتهم فيهم عربية لان البرابرة هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كبير عدد وبقيت افريقية للاغلبة ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ اربعماية سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي اثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يونس فيمن سلف له بالقاعة او القيروان او المهديّة سلف فتجد له من احوال

(1) Man. C. قلعه واوفاز. D. قلعة واغان.

الحضارة في شؤون منزلها وعوائدها وأثارها ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا في أكثر امصار افريقية وليس ذلك في المغرب وامصاره لرسوخ الدولة في افريقية أكثر امداً منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الهوحديين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعاً وكرهاً وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية فابتغوا بها وبامصارها من الحضارة أثاراً معظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها فكانت بذلك للمغرب وافريقية حظ من الحضارة صالح عفا عليه الخفا ورجع على اعقابه وعاد البربر بالمغرب الى اديانهم من البداوة والخمشونة وعلى كل حال فائز الحضارة بافريقية أكثر منها بالمغرب وامصارها ليا تداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوايد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتفتن لهذا السر فانه خفي عن الناس (واعلم) انها امور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامّة او الجليل وعظم المدينة

او المصر وكثرة النعمة واليسار وذلك ان الدولة والملك صورة الخليفة والعمران وكلها مادة له من الرعايا والامصار وسائر الاحوال واموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان عطاءه وامواله في اهلها انبت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذاجبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة مال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا ايضا وكثرتهم يكون مال الدولة واصله كله العيران وكثرتة فاعتبره وتامله تجده والله سبحانه وتعالى يحكم لا معتب للحكمه

فصل في ان الحضارة غاية للعيران ونهاية لعمره
وانها مؤذنة بفساده

قد بيتا لك فيما سلف ان الملك والدول غاية للعصبية وان الحضارة غاية للبداءة وان العمران كله من بداءة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن اثر النمو والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك

في الانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العيران ايضا كذلك
لانه غاية لا مزيد وراءها وذلك ان الترف والنعمة اذا
حصل لاهل العيران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة
والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن في
الترف واستجادة احواله والكلن بالصنائع التي تونق (1) من
اصنافه وسائر فنونه كالصنائع المهيأة للمطابخ واليهلابس
او المبانى او الفرش او الآنية ولسائر احوال المنزل وللتائق
في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة
وعدم التائق فيها واذا بلغ التائق في هذه الاحوال المنزلية
الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد
بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما
دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها واما دنياها
فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز
الكسب عن الوفاء بها وبيانه ان المصر بالتفتن في الحضارة
يعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العيران فمتى
كان العيران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كتبنا قدامنا
ان المصر الكثير العيران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار
حاجاته ثم تزدحم اليكوس غلاء لان كمال الحضارة انما
يكون عند نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع

(1) Man. D. توتى.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الكوس في الدول كثيرة خرجها حينئذ كما تقدم والكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوقه والتجار كلهم يحسبون على سلعمهم وبصائنعم بجميع ما ينفقونه حتى مؤنة انفسهم فيكون المكس لذلك داخل في قيم المبيعات وائانها فتعظم نفقات اهل الحاضرة (1) وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من اسر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسيهم كلها في النفقات ويتتابعون (2) في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويتل المستامون للبصائع فتكسد الاسواق وتفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحصاره والترف وهذه مفسدتها في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد اهلها في (3) ذواتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلن بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون اخر من الوانها فاذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى التفكير في ذلك والغرض عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمتامرة والغش والخلافة والسرقه والفجور في الايمان والرباء في

(1) Man. D. الحصاره.

(2) Ibid. يتتابعون.

(3) Man. A. et B. من.

البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن
الترف ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه
واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوى
الارحام والسحارم الذين يقتضى البداوة الحياء منهم فى
الافذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالهكر والحديعة يدفعون
بذلك ما عساه ينالهم من الثهر وما يتوقعونه من العقاب
على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لاكثرهم
الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل
الخلق الذميمة ويجاريهم (1) فيها كثير من ناشئة (2) الدولة
وولدانهم من اهل عن التأديب واحملته الدولة من عدادها
وغلب عليه خلق الجوار والصحابة (3) وان كانوا اصحابه اهل
انساب وابتات وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما
تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب
الرزائل فبن استحكمت فيه صبغة الرذيلة باى وجه كان
وفسدت خلق الخير فيه لم ينفعد زكاء نسب ولا طيب
منبتة ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوى الاحساب
والاصالة واهل الدول مطرحين فى الغمار منتحلين
للحرف الدنيّة فى معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما
تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك فى

(1) Man. D. يجازهم.

(2) نسبة. Man. C.

(3) Man. D. الصحاب.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

المدينة او الامة تاذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا احتل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض الخواص (1) ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارج تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحامى (2) غرس النارج بالدور تطيرا به وليس المراد ذلك ولا انه طيرة (3) في النارج وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ثم ان النارج والليم والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غايات الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد الثمن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك العصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلا وهو من هذا الباب اذ الدفلا لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر وابيض وهو من مذاهب الترف ومن مفاسد الحضارة ايضا لانها تهاك في

(1) Man. A. et B. اهل الحواضر D اهل الخواص (2) Man. D. يتحامى.

3. Man. C. et D. كخصة.

الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات البطن من الماكل وملأذها والمشارب وطيبها ويتبع ذلك التفتن في شهوات الفرج بانواع المناكح من الزناء واللواط فيفضى ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزناء فيجهل كل احد ابنه اذ هو لغير رشده ولان المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويودى ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع بغير واسطة كما في اللواط المودى الى عدم النسل راسا وهو اشد في فساد النوع اذ هو يودى الى ان لا يوجد النوع والزناء يودى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالک رحمه الله في اللواط اظهر من مذهب غيره ودل على انه اصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العبران هي الصحارة والشرف وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الخلق الحاصلة من الصحارة والترف هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافع ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحصري لا يتدر على مباشرة حاجاته اما عجزا بها حصل له من الدعة او ترفعا لما حصل له من العريا في العيم والترف

وكلا الأمرين ذميم وكذلك لا يقدر على دفع الهزار بما
فقد من خلق البأس بالترف والمربا في قهر التآديب
والتعليم فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم
هو فاسد أيضا في دينه غالبا بما افسدت منه العوائد وطاعاتها
وما تلونت (1) به النفس من ملكاتها كما قررناه لا في
الآقل النادر وإذا فسد الانسان في قدرته ثم في اخلاقه ودينه
فقد فسدت انسانيته وصار مسخا على الحقيقة وبهذا
الاعتبار كان الذين يتقربون من جند السلطان الى
البداءة والحشونة انفع من الذين يربون على الحضارة
وخلقها وهذا موجود في كل دولة فقد تبين ان الحضارة
سن الوقوف لعمر العالم من العمران والدول والله الواحد
القهار

فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملوك
تخرب بخراب الدولة وانتقاضها

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا انتقضت واختلت
فان المصير الذي يكون كراسيا لسلطانها ينتقض عمرانها
وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك
يختلف (2) والسبب فيه امور الاول) الدولة لا بد في اولها
من البداءة المقتضية للتجافي عن اموال الناس والبعد عن

1) Man. A. et B. تلونت.

2) Man. A. يختلف.

التحذيق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التي
منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الشرف فاذا صار
المصر الذي كان كرسيا للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة
ونقصت احوال الشرف فيها نقص الشرف فيمن تحت ايديها
من اهل المصر لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة
اما طوعا بما في طباع البشر من تقليد متبوعهم او كرها
بها تدعو اليد خالق الدولة من الانتباض عن الشرف في جميع
الاحوال وقلة العوائد التي هي مادة العوائد فتقتصر لذلك
حصارة المصر ويذهب منه كثير من عوائد الشرف وهي معنى
ما نقوله من خراب المصر (الامر الثاني) ان الدولة انما
يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد
العداوة والحروب والعداوة تقتضي مسافة بين اهل
الدولتين وتكثر احديهما على الاخرى في العوائد والاحوال
وغلب احد البنائين يذهب بالبناني الاخر فتكون احوال
الدولة السابقة منكورة ضد اهل الدولة الجديدة ومستشعة (1)
وقبيحة وخصوصا احوال الشرف فتفتقد في عرفهم بنكير
الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد اخرى من الشرف
يكون عنها حصارة مستأنفة وفيها بين ذلك قصور الحضارة
الاولى ونقصها وهو معنى انحلال العمران في المصر (الامر

(1) Man. A. et B. مستشعة.

الثالث) ان كل أمة لا بد لهم من وطن هو منشأؤهم ومنه
أولية ملكهم وإذا ملكوا وطناً اخر صار تبعاً لأول وامصاره
تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من
توسط الكرسي بين تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه
المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وتهدى
افئدة الناس اليه من اجل الدولة والساطان فينتقل اليه
العمران ويخف من مصر الكرسي الاول والحصارة انما هي
بوفور العمران كما قدما فننتقص حضارته وتمدنه وهو معنى
احتلاله وهذا كذا وقع للساجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد
الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن الهدائن الى
الكوفة والبصرة وبنى العباس في العدول عن دمشق الى
بغداد وبنى مرين بالغرب في العدول عن مراكش
الى فاس وبالجملة فاتخذ الدولة الكرسي في مصر يخل
بعمران الكرسي الاول (الامر الرابع) ان الدولة المتجددة
اذا غلبت على الدولة السابقة لا بد فيها من تتبع اهل
الدولة السابقة واشياعها بتحويلهم الى قطر اخر تؤمن فيه
غايلتهم على الدولة واكثر اهل المصر الكرسي اشياخ للدولة
اما من الحماية الذي نزلوا بد اول الدولة او من اعيان
المصر لان لهم في الغالب مخالطة في الدولة على طبقاتهم
وتتوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعة

لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالميل والمحبة
والعتيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة
فتنقلهم من مصر الكرى الى وطنهم التمكن فى ملكتها
فبعضهم على نوع الثغريب والحبس وبعض على نوع الكرامة
والتلطف بحيث لا يودى الى الثغرة حتى لا يبقى فى مصر
الكرسى الا الباعة والهيل من اهل الفلح والعيارة وسواد
العامة وينزل مكانهم فى حاسيتها واشياعها من تسد به
المصر واذا ذهب من المصر اعيانه على طبقاتهم نقص ساكنه
وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد ان يستجد عمران اخر
فى ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على
قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من يملك بيتا داخله البلى
والكثير من اوضاعه فى بيوته ومرافقه لا توافق مقترحه وله
قدرة على تغيير تلك الاوضاع واعادة بنائها على ما يختاره
ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد
وقع من ذلك كثير فى الامصار التى هى كراسى
الملك وشاهدناه وعليناه والله مقدر الليل والنهار والسبب
الطبيعى الاول فى ذلك على الجملة ان الدولة والملك
العمران بمثابة الحصرة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه
لوجودها وقد تقرر فى علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك
احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران

دون الدولة والملك متعذر بها في طباع البشر من التعاون الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشريعة او الملكية وهي معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الآخر كما كان عدمه مؤثرا في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الفرس او الروم او العرب على العموم او بنى امية او بنى العباس كذلك واما الدول الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظه لوجوده وبقائه وقربته الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي للعصبية والشوكة وهي مستمرة مع اشخاص الدول فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في العمران فاذهبت اهل الشوكة باجمعهم عظم الخلل كما قررناه اولا والله قادر على ما يشاء ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر تستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من

الأعمال يختص بعض أهل مصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصمون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى فيه في مصر والحاجة إليه وما لا يستدعى في مصر يكون غفلا إذ لا فائدة لمنحله في الاحتراق بد وما يستدعى من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالخياط والحديد والتجار وأمثالها وما يستدعى عوائد الترف وأحواله فإنها يوجد في المدن المستبجرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصفار والسفاج والهراس والدباج وأمثال هذه وهي متفاوتة (1) ويقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعى أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد لذلك الهصر دون غيره ومن هذا الباب الحمامات لأنها إنما توجد في الأمصار المستحصرة المستبجرة العبران لما يدعو إليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة وإن نزع بعض الملوك والروساء إليه فيختطها ويجري أحوالها إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب وتقرضها القوم لثقله فأندتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

(1) Man. A. et B. متقاربة.

فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين ان الالتحام والانصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضا مما يحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا لُحْمًا لُحْمًا وقرابة قرابة وتجد بينهم من الصداقة والعداوة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيفترون شعبا (1) وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتناقص الملك عن القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى وتدهيز العلية عن السئلة والنفوس بطباعها متطاولة الى الغلب والرياسة فتطمح المشيخة لجلاء الجور من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينازع كل صاحبه ويستصلون بالاتباع من الموالى والشيخ والاحلاف (2) ويبذلون ما في ايديهم للدغاد والاوزاب فيعصوب كل بصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكنائه ليغص من اعنتهم ويتبعهم بالقتل والتغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار

(1) Man. C. et D. شيعة.

(2) Man. D. الاجللى.

الحادشة ويستبدّ ببصرة اجمع ويرى انه قد استحدث
 ملكا يورثد عقبه فيحدث في ذلك الملك للاصغر ما
 يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما
 يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم اصحاب القبائل
 والعشائر والعصبيات والزخوف والحروب والافطار والممالك
 فينتحلون من الجالوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد
 الدواكب للسير في اقطار البلد والتختم والتحية والخطاب
 والتمويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انتحلوه من
 شارات الملك التي ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك
 تقلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت
 عصبية وقد يتنزّه بعضهم عن ذلك ويجرى على مذاهب
 السداجة فرارا من التعريض بنفسه للسخرياء والعبث ووقع
 هذا بافريقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد
 الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة
 والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقلص ظل
 الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلوا على امصارهم
 واستبدوا باسرها على الدولة في الاحكام والجباية واعطوا
 طاعة معروفة وعنفقة مبرضة واقطعوا جانبها من الملاينة
 والملاطفة والانقياد وهم بعزل عند اورثوا ذلك اعقابهم لهذا
 العهد وحدث في خاتمتهم من الغاظة والتجبر ما يحدث

لاعقاب الهلوك وخلفهم ونظموا انفسهم فى عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة وقد كان مثل ذلك وقع فى آخر الدولة الصنهاجية واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن ابن على ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحا من تلك البلاد آثارهم كما نذكر فى اخباره وكذلك وقع بسببته لآخر دولة بنى عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا فى اهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة فى المصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الدهماء والغوغاء اذا حصلت له العصبية والاتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيغلب على المشيخة والعلية اذا كانوا فاقدين للعصابة والله غالب على امره

فصل فى لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة والجيل الغالبين عليها والمختطين لها وكذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربى المضروب قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب فى ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والملك

وكلها مواد له والصورة مقدّمة على المادّة والدين أنّها يستفاد من الشريعة وهى بلسان العرب لها ان النبي صلعم عربى فوجب هجر ما سوى اللسان العربى من اللسان فى جميع ممالكها واعتبر ذلك فى نهى عمر رضى الله عنه عن رطانة الاعاجم وقال انها خب يعنى مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها فى جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار اللسان العربى استعماله من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم والسنتهم فى جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربى لسانهم حتى رسخ ذلك لغة فى جميع امصارهم ومدنهم وصارت اللسان الاعجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربى بمخالطتها فى بعض احكامه وتغيير اواخره وان كان بقى فى الدلالات على اصله وسبى لسانا حضريا فى جميع امصار الاسلام وايضا فاكثرت اهل الامصار فى الملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين لها اليها الكين فى ترفها بما كسروا العجم الذين كانوا فيها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الآباء وان فسدت احكامها بمخالطة الاعجام شأ فشا وستيت لغتهم حضرة منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو

من العرب فانها كانت اعرق (1) في العروبيّة ولما تملك
العجم من الديلم والساجونيّة بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر
بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك
الاسلامية فسد اللسان العربيّ لذلك وكاد يذهب لولا ما
حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة الذين بهما
حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة الحضريّة (2) بالانصار
عربية فلما ملك الططر والغل بالمشرق ولم يكونوا على
دين الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية
على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية
بالعراق وخراسان وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء
النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب اللغة
العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالتقوانين
المتدايسة من علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله
لذلك وربما بقيت اللغة العربية الحضريّة بمصر والشام
والاندلس والمغرب لبقاء الدين طالبا لها فانحفظت بعض
الشيء واما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر
ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت تكتب باللسان
العجمي وكذا تدريس في المجالس والله مقدر الليل والنهار
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا

(1) Man. C. أعرق.

(2) Man. A. et B. الحضريّة.

دائماً ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين
تم الفصل الرابع من الكتاب الاول ويليه الفصل الخامس
في المعاش ووجوه الكسب

الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه
من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من
الاحوال وفيه مسائل

فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحها وان الكسب
هو قبية الاعمال البشرية

اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته (1) ويمونه في
حالانه واطواره من لدن نشوءه الى اشده الى كبره والبه الغنى
وانتم الفقراء والله سبحانه وتعالى خالق جميع ما في العالم
للانسان وامتن به عليه في غير ما اية من كتابه فقال
بعالى خالق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
وسخر لكم الشمس والقمر وسخر لكم البحر وسخر لكم
الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد ويد الانسان
مبسطة على العالم وما فيد بما جعل الله له من الاستخلاق

(1) ما. C. يتومه. D. ضرته.

وإبدى البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما أناء الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعراض عنها قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالطير المصلح للزراعة وأمثاله إلا أنها إنما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما ياتى فتكون له تلك المكاسب معاشا إن كانت بمقدار الضرورة والحاجة وربما ما وتمدّوا إن زادت على ذلك ثم إن ذلك الحاصل أو المكتسب إن عادت منفعته على العبد وحصلت له ثمرته من انفاقه في مصالحه وحاجاته سعى رزقا قال صلعم إنما لك من مالك ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو صدقت فأمصيت وإن لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسرى رزقا والتملك منه حينئذ بسعى العبد وقدرته يسمى كسبا وهذا مثل التراث فإنه يسمى بالنسبة إلى الهالك كسبا ولا يسمى رزقا إذ لم يحصل له به منتفع وبالنسبة إلى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسعى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقا أن يكون بحيث يصحّ تملكه وما لا تملك عندهم فلا يسمى رزقا

واخرجوا المغضوبات (1) والحرام كله عن ان يسي شئ
 منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر
 ويختص برحمته وهدايته من يشاء ولهم في ذلك حجج
 ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون
 بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في
 الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه
 قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون
 باقدار الله والهامة فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال
 الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه
 مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان او التبات
 او المعدن فلا بد فيه من العيل الانساني كما تراه ولا لم
 يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله سبحانه خلق
 الجبرين المعدنين من الذهب والفضة قبيبة لكل متمول
 وهي الذخيرة والتقنية لاهل العالم في الغالب وان اقتنى
 سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع
 في غيرهما من حوالة الاسواق التي هما عنها بمعزل فهما
 اصل المكاسب والتقنية والذخيرة واذا تقرّر هذا كله (فاعلم)
 ان ما يفيد الانسان ويقتنيه من التمولات ان كان من
 الصنائع فالغناد يقتنى منه هو قبيبة عياله وهو القصد بالتقنية

(1) Man. C. et D. الغضوبات.

اذ ليس هنالك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقيمة وقد يكون مع الصنائع فى بعضها غيرها مثل التجارة والحياكة معها الخشب والغزل الا ان العمل فيها اكثر فقيته اكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد فى قيمة ذلك المفساد والتقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير منها فتجعل له حصّة من القيمة عظمت او صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما فى اسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظة فى اسعار الحبوب كما قدّمناه لكنّه خفى فى الاقطار التى علاج الفلح فيها ومؤنّته يسيرة فلا يشعر به الا التليل من اهل الفلح فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هى قيسم الاعمال الانسانية وتبين مسي الرزق واند المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مستاهيا (واعلم) انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمران تاذن الله برفع الكسب لا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او يفقد لثلة الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التى تكون اعمالها اكثر يكون اهلها اوسع احوالا واشد رفاهية كما قدّمناه قبل (ومن) هذا الباب نقول العائنة فى البلدان اذا تناقص عمرانها قد دعب رزقها

حتى ان العيون والانهار ينقطع جريها في القفر لما ان فور
العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو عمل انسانى
كالجمال فى ضروع الانعام فيها لم يكن امتراء ولا انباط نصبت
وغارت بالجملة كما يجفّ الضرع اذا تركت امتراوه وانظره
فى البلاد التى يعهد فيها العيون لايام عدرانها ثم ياتى
عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كان لم تكن والله
مقدّر الليل والنهار

فصل فى وجوه اليعاش واصنافه ومذاهبه

اعلم ان اليعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى
تحصيله وهو منفعل من العيش كانه لما كان العيش الذى
هو الحياة لا يحصل الا بهذا جعلت موصفا له على طريق
المبالغة (ثم) ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذه
من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف
ويستى مغرما وجباية واما ان يكون من الحيوان الوحشى
بافتراسد واخذ برمته من البر او البحر ويسمى اصطيدا واما
ان يكون من الحيوان الداخن باستخراج فضوله المتصرفه
بين الناس فى منافعهم كاللبن من الانعام والحبر من دوده
والعسل من نحله او يكون من النبات فى الزرع والشجر
بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كلد فاحما

وأما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما فى مواد بعينها وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخباطة وحياسة وفروسية وامثال ذلك او فى مواد غير معينة وهى جميع الامتهانات والتصرفات واما ان يكون الكسب من البضائع واعدادها للاعراض اما بالتغلب بها فى البلاد او احتكارها وارتقاب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهى معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريرى وغيره قالوا المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة (فاما الامارة) فليست بمذهب طبيعى للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من احوال الجبايات السلطانية واهلها فى الفصل الثانى (واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش (اما الفلاحة) فهى متقدمة عليها كلها بالذات اذ هى بسيطة وطبيعية وفطرية لا تحتاج الى نظر ولا الى علم ولهذا تنسب فى الخليفة الى ادم ابى البشر وانه معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة (واما الصنائع فهى ثانيتها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلوية تصرف فيها الافكار والانظار ولهذا لا توجد غالبا الا فى اهل الحضرة الذى هو متأخر عن البدو وثان عنده ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثانى للخليفة وانه مستنبطها

لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى (واما) التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها أما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفصيلة ولذلك اباح الشرع فيه المكائسة لما انه من باب المقامرة الا انه ليس اخذا للمال من الغير مجانا فلهذا اختص بالمشروعية والله اعلم

فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اما السلطان فلا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والملك الذي هو بسبيله من الجندي والشرطي والكاظم ويستكنى في كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جداولهم واما ما دون ذلك من الخدمة فنسبها ان اكثر المترفين يرتفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق التمتع والشرف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه اجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولة الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد في الوظائف والخراج وتسدل على

PROLÉGOMÈNES
d'Elm-Khalidou.

العجز والخنث الذى ينبغى فى مذاهب الرجولة (1) السنزّه
عنهما الا ان العوائد تغلب طبائع الانسان الى ما لوفها فهو
ابن عوائد لا ابن نسبه (ومع) ذلك فالخديم الذى يستكفى
به ويوثق بغائه كالمفتود اذ الخديم القائم بذلك لا يعدو اربع
حالات (اما) مضطلع بامرّه وموثوق فيما يحصل بيده واما
بالعكس فيهبها وهو ان يكون غير مضطلع بامرّه ولا موثوق فيها
يحصل بيده (واما) بالعكس فى احدهما فقط مثل ان يكون
مضطعا غير موثوق او موثوقا غير مضطلع فاما الاول فهو المضطلع
الموثوق فلا يمكن احدا من استعماله بوجه اذ هو باضطلاعّه وثقتّه
غنى عن اهل الرتب الدنيّة ومحتقر لمنال الاجر من
الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا
الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما
الصف الثاني وهو من ليس بهضطلع ولا موثوق فلا ينبغى
لعاقل استعماله لانه محجف بمخدومه فى الامرين معا فيضيع
عليه بعدم الاضطلاع تارة وبذهب ماله بالخيانة اخرى فهو
كل على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع احد فى استعمالهما
ولم يبق الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع
ومضطلع غير موثوق وللناس فى الترجيح بينهما مذاهبان
ولكل من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير

(1) Man. D. الرجولية.

مؤثوق ارجح لانه يؤمن من تضییعده ويحاول على التحرز
من خيانتة جهد الاستطاعة واما التصييع ولو كان مأمونا فضرره
بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذة قانونا فى
الاستكفاء بالخدمة والله قادر على ما يشاء

فصل فى ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس
بمعاش طبيعى

اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول فى الامصار يحرمون على
استخراج الاموال من تحت الارض يبتغون الكسب من
ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت
الارض مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفتش ختامها ذلك
الا من شر على علمه واستحضار ما يحمله من البخور والدعاء
والقربان فاهل الامصار بافريقية يرون ان الافرنجة الذين
كانوا بها قبل الاسلام دفنوا اموالهم كذلك وادعوها فى
الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها
واهل الامصار بالشرق يرون مثل ذلك فى امم القبط
والروم والفرس ويتناقلون ذلك فى احاديث تشبه حديث
خرامة من انتهاء بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع
البال من لم يعرف طلسمه ونخبه فيجدونه حلوا او معمورا
بالدندان او يستأوف الاموال والجواهر موضوعة والحرس

دونها منتصين سيوفهم او يبتد به الارض حتى يظنه خسفا
او مثل ذلك من الهذر وتجد كثيرا من طلبة البربر
بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون
الى اهل الدنيا بالاوراق المختومة (1) الحواشي اما بخطوط
اعجمية او بما ترجم (2) بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن
باعطاء الامارات عليها في (3) اماكنها يبتغون بذلك الرزق منهم
بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويمهون عليهم بانه انما
حملهم على الاستعانة بهم طلب الحجاه في مثل هذا من
منال (4) الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية يموه بها على تصديق ما
بقي (5) من دعواه وهو بعزل عن السحر وطرقه فيولع الكثير من
ضعفاء العقول بجميع الايدي على الاحتقار والتستبر فيه بظلمات
الليل مخافة الرقباء وعميون اهل الدول فاذا لم يعثروا على
شئ ردوا ذلك الى الجهل بالظلم الذي نختم به على
ذلك المال يخادعون به انفسهم عن اخفاق مطامعهم
والذي يحتمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف
العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية
للكسب من التجارة والفاصح والصناعة فيطلبونه بالوجوه

1 Man. C. et D. المتخرمة.

(2) Man. D. ترجع.

3 Man. A. et B. من.

4 Man. C. مثال.

(5) Man. D. نفى.

المنحرفة وعلى غير الوجه الطبيعي من هذا وامثاله عجزا عن
السعى في الكسب وركونا الى تناول الرزق من غير
تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم
يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب
ومتاعب وجهه شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع
ذلك لهنال العقوبات ورتبا يحصل في الاكثر على ذلك
زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حد النهاية حتى تقصر
عنها وجوه الكسب ومذاهيد ولا تفي بمطالبها فاذا عجز له
الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمتي
لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليفي ذلك بالعوائد
التي حصل في اسرها فيحصر على ابتغاء ذلك ويسعى
فيه جهده ولهذا اكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم
المترفون من اهل الدول ومن سكان الامصار الكثيرة الترف
المتسعد الاحوال مثل مصر وما في معناها تجد الكثير منهم
مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومسائلة الركبان عن شواذه
كما يحرصون على الكيبيا هكذا يبلغنا عن اهل مصر في
مفاوضة من يلتونه من طلبة المغاربة لعلمهم يعثرون منه على
دفين او كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغيير المياه
لما يرون ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل
واند اعظم ما يستتر دفينا او مخترنا في تلك الآفاق وبسوه

عليهم اصحاب تلك الدفائر المستغله في الاعتذار عن الوصول اليها بجرية النيل تسترا بذلك من الكسب حتى يحصل على معاشه فيحصر سامع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية ليحصل ما ابتغاه من بعده كلنا بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليهم فعلموها السحرية وآثارها باقية بارضهم في البرابى وغيرها وقصة سحره فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك (وقد) يتناقل اهل الغرب قصيدة ينسونها الى حكماء المشرق يعطى فيها كيفية العمل في الغوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهي

يا طالبها للسرى التغوير
دع عنك ما قد عتقوا في كتبهم
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي
فاذا اردت تغوير البئر التسمى
عور كصورتك التنى اوقفنها
ويدها مسكتان للحميل الذي
وبصدره دماء كعسا عاينتها
ويطه على الطات غير ملاس
ويكون حول الكل (1) خط دائر
واذبح غلب الطير والطخه به
بالمستدروس وباللبان ومبيعة
من احمر او اصفر او ازرق (2)
وشدته خيطان صوف ابيض

1) Man. D. لسيل

2) Man. C. et D. ازرق.

والطالع الامد الذى قد بينوا ويكون بدر الشهر غير منير
والبدر متصل بسعد عطارد في يوم سبت ساعة التدبير

يعنى تكون الطآات بين قدميه كأنه يمشى عليها وعندى
ان هذه التصيدة من تمويهات المخترقين فلمهم فى ذلك
احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهى المخزقة
والكذب بهم الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور
المعروفة بيثل هذا ويحتفرون بها الحفر ويضعون فيها
المطابق والشواهد التى يكتبونها فى صحائف كتبهم ثم
يقصدون ضعفاء العقول بامثال هذه الصحائف ويبعثون على
اكتراء ذلك المنزل وسكناه ويوهونه ان به دفينا من الهال
لا يعبر عن كثرته وبطالونه بالمال لاشرء العقاقير والبخورات
لحلل الطالاسم ويعدونه بظهور الشواهد التى قد اعدوها هنالك
بانفسهم ومن فعلهم فينبعث بما يراه من ذلك وهو قد خدع
وليس عليه من حيث لا يشعر وبينهم فى ذلك اصطلاح
فى كلامهم يلبسون به عليهم لتخفى عنهم محاورتهم فيها
بتناولونه من حفر وبخور وذبح حيوان وامثال ذلك (واما
الكلام) فى ذلك على الحقيقة فلا اصل له فى علم ولا خبر
واعلم ان الكنوز وان كانت توجد لكتبا فى حكم النادر وعلى
وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامر تعم به
البابى حتى يذخر الناس غالبا اموالهم تحت الارض

ويختصمون عليها بالطلاسم لا في القديم ولا في الحديث (والركاز) الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفن الجاهلية انما يوجد بالعمور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فيمن اخترن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ في اخفائه فكيف ينصب عليه الامارات والادلة لمن يتبعه ويكتب ذلك في الصحائف حتى يطلع على ذخيرته اهل الاعصار والآفاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضا فافعال العقلاء لا بد ان تكون لغرض مقصود في الاستفعا ومن اخترن المال فانما يختزنه لولده او قريبه او من يؤثره به واما ان يقصد اخفائه بالكليّة عن كل احد وانما هو للبلى والهلاك او لمن لا يعرفه بالكليّة من سيأتي من الاسم فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه (واما) قولهم اين اموال الاسم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعميران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اعواضد والعميران الذي يستدعيه فان نقص المال في المغرب وافريقية فلم ينتص في بلاد الصقالبة والافرنجة

وان نقص فى مصر والشام فلم ينتقص فى الهند والصين وإنما هى آلات ومكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر اعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والغناء ما يذهب باعيانها لا قرب وقت (واما) ما وقع فى مصر من امر المطالب والكنوز فسيببه ان مصر كانت فى ملكة القبط منذ الفين اثنين (1) او تزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر واللالئ على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انقرضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نفروا (2) عن ذلك (3) من قبورهم وكشفوا عنه فاخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالاهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها فى كثير من الاوقات اما ما يدفنونه من اموالهم او ما يكرمون بد موتاهم فى الدفن من اوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آتى من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عنى (4) اهل مصر

(1) Man. C. et D. منذ الف.

(2) Man. D. نفروا.

(3) Man. C. et D. فى.

(4) Man. C. عنى.

بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى
أنهم حين ضربت المكوس على الاصناف آخر الدول ضربت
على اهل المطالب وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك
من الحمقى والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون له من
اهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والزعم باستخراجه
وما حصلوا الا على الخيبة في جميع مساعيهم نعوذ بالله
من الخسران فيحتاج من دفع الى شئ من هذا الوسواس
او ابتلى به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب
معاشه كما تعوذ رسول الله صلعم عن ذلك وينصرف
عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات
والكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

فصل في ان الجاه مفيد للمال

وذلك انا نجد صاحب الجاه والحظوة في جميع اصناف
المعاش اكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان
صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل
التزلف والسحابة الى جاهه فالتاس معينون له باعمالهم في
جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمالى فتحصل
قيمة تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه ان
تبدل فيه الاعواض من العيل يستعمل فيها الناس من غير

عوض فتتوفر قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم للاعمال
يكتسبها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فيفيد الغنى لا قرب وقت
ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت الامارة احد
اسباب العاش كما قدّمناه (وفاقد) الجاه بالكليّة ولو كان
صاحب مال فلا يكون يساره الا بهقدار ماله وعلى نسبة
سعيه وهؤلاء هم اكثر التجار ولهذا نجد اهل الجاه منهم
يكونون ايسر بكثير (ومما) يشهد لذلك انا نجد كثيرا من
الفقهاء واهل الدين والعبادة اذا اشتهر حسن الظنّ بهم
واعتقد الجمهور معاملته الله في ارفادهم فانخلص الناس في
اعانتهم على احوال دنياهم والاعتقال في مصالحهم اسرعت
اليهم الثروة واصبحوا مياسير من غير مال مقتنى الا ما
يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت الحونة بها من
الناس لهم رأينا من ذلك اعدادا في الامصار والهدن
وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وهو قاعد في
منزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأمل
الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفتن لهذا السرفى
حال ثروته واسباب غناه ويساره والله يرزق من يشاء بغير
حساب

فصل فى ان السعادة والكسب انما تحصل غالبا لاهل
الخصوع والماق وان هذا الخلق من اسباب السعادة

وقد سبق لنا فيما سلف ان الكسب الذى يستفيدة البشر
انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عاطلا عن العمل جملة لكان
فاقد الكسب بالكيفية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال
وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى قدر ذلك
نمو كسبه او نقصانه (وقد بيتنا آتينا ان الجاه يفيد المال
بما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه باعمالهم
وباموالهم فى دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون
به من عمل او مال عوض عما يحصلون عليه بسبب الجاه
من كثير الاعراض فى صالح او طالح وتصير تلك
الاعمال فى كسبه وقيمتها اموال وثروة فيستفيد الغنى
واليسار فى اقرب وقت (ثم) ان الجاه متوزع فى الناس
ومتربط فيهم طبقة بعد طبقة ينتهى فى العلو الى الهلوك
الذين ليس فوقهم يد غالبية وفى السفلى الى من لا يملك
ضراً ولا نفعا بين ابناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة
حكيمه من الله فى خليقته بيا ينتظم معاشهم وتتياسر
مصالحهم ويتم بعلوهم (لان) النوع الانسانى لهما كان لا يتم
وجوده وبقاؤه الا بتعاون ابناؤه على مصالحهم لانه قد تنقر

ان الواحد منهم لا يتم وجوده وانه وان نذر ذلك في صورة مفروضة فلا يصح بقاؤه ثم ان هذا تعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولها جعل الله لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع فقد يمنع من المعونة فيتعين حملها عليها فلا بد من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (فقد) تبين ان معنى الجاه هو القدرة الحاصلة للبشر على التصرف فيمن تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن والسمع والتسلط فيهم بالقهر والغلبة ليجعلهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل وباحكام الشرائع او السياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك لكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشورور الداخلة في القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل اليوادة فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم (ثم) ان كل طبقة من طباق اهل العميران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد هذا الجاه من

اهل الطبقة التى فوقه ويزداد كاسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه مع ذلك داخل على الناس فى جميع ابواب الهعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذى فيه صاحبه فان كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا وقليلًا فبئله وفاقد الجاه ولو كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله او ماله وعلى نسبة سعيد ذاهبا وجائيا فى تمنيته كالكثير التجار واهل الفلاحة فى الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا على فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة فى الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة انما يرمقون العيش ترميقا ويدفعون ضرورة الفقر مدافعة (واذا تقرر ذلك) وان الجاه متوزع وان السعادة والخير مقتزنان بحصوله علمت ان بذله وافادته من اعظم النعم واجالها وان باذله من اجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله بيد عالية وعن عزّة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتعلق كما يسأل اهل العز والملك والآفيتعذر حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتعلق من اسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة بهذا الخلق ولهذا نجد الكثير من يتخلق بالترفع والشيم لا يحصل لهم عرض من الجاه

فيقتصرون في التكتسب على اعيالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة (واعلم) ان هذا الكبر والترفع من الخلق المذمومة انما يحصل من توقم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه والكاتب المجيد في كتابته والشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوقم ان الناس محتاجون الى ما بيده فيحدث له الترفع عليهم بذلك وكذا يتوقم اهل الانساب ممن كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل في طور يغتزون (1) فيما رأوه او سمعوه من حال اباؤهم في المدينة ويتوقمون انهم استحسوا مثل ذلك بقرابتهم اليهم وورانتهم عنهم فهم مستهسكون في الحاضر بالامر المعدم اذ الكمال لا يورث وكذلك اهل الحنكة والتجارب والبصر بالامور قد يتوقم بعضهم كمالا في نفسد بذلك واحتياجا اليه وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاد ولا يتماثلون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستنكف احدهم عن الخضوع ولو كان للملك وبعده مذلة وهوانا وسفها وبحاسب الناس في معاملاتهم اياه بقدر ما يتوقم في نفسد ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوقمه من ذلك

(1) يغتزون.

وربما يدخل على نفسه الهجوم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه واباية الناس له من ذلك ويحصل له الهقت في الناس لها في طباع البشر من التأله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقتته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم ففقد الجاه لذلك من اهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقرا و فوق ذلك بتليل واما الشروة فلا تحصل له اصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسر له والله المتقدر لا رب سواه (ولقد) يقع في الدول اضطراب في المراتب من اجل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلاء وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت غايتها من التغلب والاستيلاء وانفرد منها منبت الهلك بهلكهم وسلطانهم وبس سواهم من ذلك وانها صاروا في مراتب

دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له
 فاذا استمرت الدولة وشيخ اليك تساوى حينئذ في
 الهزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرب اليه
 بنصيحته واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهباته فتجد
 كثيرا من السوفة يسعى في التقرب من السلطان بجده
 ونصح و يتزلف اليه بوجه خدمته ويستعين على ذلك
 بعظيم من الخضوع والتلق ولحاشيته واهل نسبه حتى يرسخ
 قدمه معهم وينظمه السلطان في جملة فيحصل له بذلك
 حظ عظيم من السعادة وينتظم في عداد اهل الدولة وناشئة
 الدولة حينئذ من ابناء قومها الذين ذلوا صعابها ومهدوا
 اكنافها مغتربون بما كان لابائهم في ذلك من الالباء
 وتشبه به نفوسهم على السلطان ويعتدون بانارة ويجرون
 في مضمار الدالة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدهم
 ويبيل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون
 الى دالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتسليق
 والاعتقال في غرضه متى ذهب اليد فيتسع جاههم وتعلو
 منازلهم وتنصرن اليهم الوجوه والخواص بها يحصل لهم
 من ميل السلطان واليكانة عنده وتبقى ناشئة السلطان فيما
 هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا
 من السلطان ومثنا وإشارا الى هؤلاء المصطنعين عليهم الى ان

تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدول ومنه جاء شأن
المصطنعين في الغالب والله فعّال لها يريد

فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا
والندريس والامامة والخطابة والأذان ونحو ذلك
لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب في ذلك ان الكسب كما قدّمناه قيمة الاعمال
وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فان كانت الاعمال
ضرورية في العمران عامة البلوى فيده كانت قيمتها اعظم
وكانت الحاجة اليها اشدّ واهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر
اليها عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص
ممن اقبل على دينه وان احتيج الى القضاء والفتيا في
الخصومات فليس على وجد الاضطراب والعموم فيقع الاستغناء
عن هؤلاء في الاكثر وانما يهتم بهم وباقامة مراسيمهم
صاحب الدولة لما له من النظر في الصالح فيقسم لهم
حظاً من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي
قرّناه لا يساويهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع الضرورية
وان كانت بضاعتهم اشرف من حيث الدين والمراسم
الشرعية لكنه يقسم بحسب عيوض الحاجة وضرورة اهل
العمران فلا يصح في قسمتهم الا القليل وهم ايضا لاشرف

بصاعتهم اعزّة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل
الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ
اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة
المشتملة على الفكر والتدبر بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم
لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك فلذلك
لا تعظم ثروتهم في الغالب (ولقد) باحثت بعض الفضلاء
ونكر ذلك على وقوع بيدي اوراق مخرمة من حسابات
الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج
يومئذ وكان فيما طالعت فيه ارزاق القضاة والائمة والمؤذنين
فوقفت عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقصينا
العجب من اسرار الله في خليقته وحكمته في عوالمه والله
الخالق المتقدّر

فصل في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل
العافية من البدو

وذلك لانه اصل في الطبيعة وبسيط في منجاء ولهذا
لا تجده يستعمل احد من اهل الحضرة في الغالب ولا من
البتريين ويختص منتجده بالمدلة قال صلعم وقد رأى السكة
ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الآ دخله النذل
وحملد البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب

ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع او تجاوز الحد الذى امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغرم المفضى الى التحكم واليد الغالبة فيكون الغارم ذليلا بائسا بها يتناوله ايدي القهر والاستطالة قال صلعم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذى معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى فى التمتولات واعتبار الحقوق كلها مغارم للملوك والسدول والله قادر على ما يشاء

فصل فى معنى التجارة ومذاهبها وصرافها

اعلم ان معنى التجارة محاولة على الكسب بتسمية المال فى شراء السلعة بالرخص وبيعها بالغلاء ما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او سلاح او قماش وذلك القدر النامى يسمى ربحا والمحاولة لذلك الربح اما بان تختزن السلعة ويتحين بها حوالة السوق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد اخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذى اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لاطالب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمكها فى كلمتين اشتر الرخيص وبع الغالى وقد حصلت التجارة اشارة بذلك الى المعنى

الذي قررناه والله الرزاق ذو القوة المتين

فصل في نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاذ سلعته حينئذ باعواز الشراء على ذلك البعض لعارض من العوارض فيكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان الغالى من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتحر ذلك جهده ففقد نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او في شدة الخطر في الطرقات يكون اكثر فائدة للتجار واعظم ارباحا واكفل بحالة الاسواق لان السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها واذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلها فتكثر وترخص اثمانها (ولهذا) تجد التجار الذين

يلعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم
اموالا لبعده طريقهم ومشقته واعتراض المغارة الصعبة المخطرة
بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن
معلومة يهتدى اليها ادلاء الركاب فلا يرتكب هذا الطريق
وبعده الا اقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا
فتختص بالغلاء وكذا سلعا لديهم فتعظم بضائع التجار من
تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك
المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعده المشقة (1) ايضا واما
المترددون في الافق الواحد ما بين امصاره وبلدانه فنادتهم
قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله
الرزاق ذو القوة المتين

فصل في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة فى الامصار ان احتكار
الزرع لتحصين اوقات الغلاء به مشؤم وانه يعود على فائدته
بالنك والخصران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم الى
الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا
فتبقى النفوس متعلقة به فى تعلق النفوس بما لها شر كبير
فى وبالذ على من ياخذها مجانا (ولعله) الذى اعتبره

(1) Man. C. الشقة.

الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن
 مجانا (1) فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في
 العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات
 لاضطرار الناس اليها وانما يبعثهم عليها الثفتن في الشهوات
 فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص فلا يبقى لهم
 تعلق بما اعطوه فلهذا يكون من عرف الاحتكار تجتمع
 القوى النفسانية على متابعتها بما ياخذها من اموالهم فيفسد
 ربحه والد اعلم (وسمعت) فيما يناسب ذلك حكاية ظريفة
 عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلبي (2)
 قال حضرت عند القاضي بناس لعهد السلطان ابو سعيد
 وهو الفقيه ابو الحسن الابلبي وقد عرض عليه ان يختار
 بعض اللقاب المخزنية لجرأته فاطرق مليا ثم قال لهم من
 مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من اصحابه وعجبوا
 وسائلوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الحجايات كلها
 حراما فاختار منها ما لا تتابعه نفوس معطيه والخمر قل ان
 يبذل احد فيها ماله الا وهو طرب مسرور يوجد انه غير
 اسف عليه ولا متعلق به وهذه ملاحظة غريبة والله تعالى
 اعلم

(1) Man. D. باطلا محضاً.

(2) Man. A. الابلبي. C. الابلبي.

فصل في ان رخص الاسعار مضرّ بالمحترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدّمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها تتحقّق بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فيه فسد الربح والنماء بطول تلك الهدّة وكسدت سوق ذلك الصنف ولم يحصل التاجر الا على الغناء فيقعد التجار عن السعى فيها ويفسد رؤس اموالهم (واعتبر) ذلك مثلا بالزرع اذا استديم رخصه كيف تفسد احوال المحترفين به في سائر اطواره من الفسح والزراعة لقلة الربح فيه ونزارتد او فقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤس اموالهم وتفسد احوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين ايضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلّق بالزرع من الحرف من لدن زراعته الى مصيره مأكولا وكذا يفسد حال الجند اذا كانت ارزاقهم من السلطان عند اهل الفلاح زرعيا بالاقطاع فانهم نقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن اقامة الجندية

التي هم بسببها ويرتزقون من السلطان عليها فيقطع عنهم
الرزق وتفسد احوالهم وكذا اذا استدبم الرخص في العسل
والسكر فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون به عن
التجارة فيه وكذا حال الملابس اذا استدبم فيها الرخص
ايضا فاذن الرخص المفطر محجف بمعاش المحترفين بذلك
الصفى الرخيص (وكذا الغلاء المفطر) ايضا وربما يكون فى
النادر سببا لنماء الهال بسبب احتكاره وعظم فائدته وانما
معاش الناس وكسبهم فى التوسط من ذلك وسرعة حوالة
الاسواق ومعرفة ذلك ترجع الى العوائد المتفرقة بين اهل
ال عمران وانما يحمى الرخص فى الزرع من بين المبيعات
لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين
الغنى والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر فى العمران
فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب
التجارة فى هذا الصفى الخاص والد الرزاق ذو القوة المتين

فصل فى اتي اصناف الناس ينتفع بالتجارة واتيهم
ينبغى له تركها

قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع
ومحاولة بيعها باغلا من ثمن الشراء اما بانظار حوالة
الاسواق او نقلها الى بلد هي فيد انفق واغلا ار بيعها

بالغاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال
نزر يسير لان المال ان كان كثيرا عظم الربح لان القليل فى
الكثير كثير (ثم) لا بد فى محاولة هذه التمنية الذى هو
الربح من حصول هذا المال بايدى الباعة فى شراء البضائع
وبيعها وتقاضى اثمانها واهل النصفة منهم قليل فلا بد من
الغش والتطفيف المحجف بالبضائع والمطل فى الائتمان
المحجف بالربح لتعطيل المحاولة فى تلك المدّة وبها نماؤة
ومن الجحود والانكار المسحت لرأس الهال ان لم يقيّد
بالكتاب والشهادة وضاء الحكّام فى ذلك قليل لان
الحكم انما هو على الظاهر فيعانى التاجر من ذلك احوالا
صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظم
العناء والمشقة او لا يحصل ويتلاشا رأس مساله فان كان
جريا على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المياحكة
مقداما على الحكّام كان ذلك اقرب له الى النصفة منهم
بجرأته ومحاكته والآ فلا بد له من جاه يدرع به فيوقع له
الهيبة عند الباعة ويحمل الحكّام على انصافه من غرمائه
فيحصل له بذلك النصفة واستخلاص ماله منهم طوعا فى
الاول وكرها فى الثانى واما من كان فاقد الجرأة والاقدام
من نفسه وفاقد الجاه من الحكّام فينبغى له ان يجتنب
التجارة لانه يعرض بباله للذهاب والبضيعة وبصيره مأكدة

للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب متظالمون
الى ما في ايدي الناس ولولا وازع احكام ما سلم لاحد شئ
متما في يده وخصوصا الباعة وسفلة الناس ورعاهم (1) ولولا دفاع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين

فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء
وبعيدة عن المرؤة

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع
والشراء وجلب الفوائد والارباح ولا بد في ذلك من
المكايسة والمهاكمة والتحذلق وممارسة الخصومات واللجاج
وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تغض من الدكاء
والمرؤة وتخدج فيها لان الافعال لا بد من عود آثارها على
النفس فافعال الخير تعود بآثار الخير والركاء وافعال الشر
والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكّن وترسخ ان سبقت
وتكررت وتنقص من خلال الخير ان تأخرت عنها بما
ينطبع من آثارها المدمومة في النفس شأن الملكات الناشئة
عن الافعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار
في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور مخالطا لشرار الباعة اهل

(1) Man. A. رعاهم. D. رعاههم.

الغش والخلافة والخديعة والفجور في الايمان على البياعات
والاثمان اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنده اشد
وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروآت واكتسابها
بالجملة وآلا فلا بد له من تأثير المكايسة والمهاككة في مروئه
وفقدان ذلك فيهم بالجملة قليل ووجود الصنف الثاني
منهم الذى قدّمنا فى الفصل قبله انهم يدعون (1) بالجاء
ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر
وذلك ان يكون المال قد توفر عنده دفعة بنوع غريب
او ورتد عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على
الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره
فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به
من وكلائه وحشمه ويسهل لهم الحكم النصفة (2) فى حقوقهم
بما يونسونه من برة واتحافد فيبعدون عن تلك الخلق
بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مروئتهم
ارسخ وابتعد عن المخدجات (3) الآما يسرى من آثار تلك
الأفعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال
اولئك الوكلاء ووافقهم او خلافهم فيما يأتون ويذرون من
ذلك الآاند قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعلمون

1) Man. C. et D. يورعون.

(2) Man. C. et D. النصف.

(3) Man. B. المحرجات. C. المحرجات. D. المحرجات.

فصل فى ان الصنائع لا بد لها من المعلم (1)

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn Khaldoun

اعلم ان الصناعة هى ملكة فى امر عملى فكرى وبكونه عمليا هو جسمانى محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة فى الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاينة اوعب واتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عن اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حدق المتعلم فى الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذى يختص بالضروريات والمركب هو الذى يكون للكليات والمتقدم منها فى التعليم هو البسيط لبساطته اولا ولانه يختص بالضرورى الذى تتوفر الدواى على نقله فيكون سابقا فى التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر تخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شأ شأ على التدريج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل

(1) Man. C. معام. D. العلم.

فى ازمان واجيال اذ خروج الاشياء من القوة الى الفعل
لا يكون دفعة لاسيما فى الامور الصناعيّة ولا بدّ له اذا من
زمان ولهذا نجد الصنائع فى الامصار الصغيرة ناقصة
ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزيّدت حضارتها ودعت امور
الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى
الفعل والله اعلم

فصل فى ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته

والسبب فى ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضرى
وتتمتد المدينة انما همهم فى الضرورى من المعاش وهو
تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تهدنت المدينة
وتزيّدت فيها الاعمال ووفت بالضرورى وزادت عليه صرف
الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش (ثم) ان الصنائع
والعلوم انما هى للانسان من حيث فكره الذى يتميز به عن
الحيوانات والثوت له من حيث الحيوانيّة والغذائيّة فهو
متقدم لضرورته على العلوم والصنائع وهى متأخرة عن
الضرورى وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق
فيها حينئذ وجودة ما يطلب منها بحسب دواعى الترف
والثروة واما العمران البدوى او القليل فلا يحتاج من

الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل فى الضرورات من
نجار او حداد او خياط او جزار او حائك واذا وجدت
هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها
بمقدار الضرورة اذ هى كلها وسائل الى غيرها وليست
مقصودة لذاتها واذا زخر بحر العمران وطلبت فيها الكمالات
كان من جملةها التأق فى الصنائع واستجاداتها فكملت
بجميع متماتها وتزيدت صنائع اخرى معها مما تدعو اليه
عوائد الترف واحواله من خراز ودباغ وحرار وصائغ وامثال
ذلك (وقد) تنتهى هذه الاصناف اذا استبحر العمران
ان يوجد فيها كثير من الكمالات ويتأق فيها فى الغاية
وتكون من وجوه المعاش فى البصر لمنتهلها بل تكون
فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف فى
المدينة مثل الدعان والصفار والحماسى والطباخ والسفاج
والهراس ومعلم الغناء والرقص وفرع الطبول على التوقيع ومثل
الوراقين الذين يعاونون صناعة انتساح الكتب وتجليدها
وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف فى
المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد
تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما
بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم
والحمر الانسية ويخيل اشياء من العجائب بايقام قلب

الاعيان وتعليم الحدا والرقص والمشى على الخسيوط فى الهواء ورفع الأثقال من الحيوانات والحجارة وغير ذلك من الصنائع التى لا توجد عندنا بالمغرب لأن عمران امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة والله الحكيم العليم

فصل فى ان رسوخ الصنائع فى الامصار برسوخ الحضارة وطول امدها

والسبب فى ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والوان والعوائد انما ترسوخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسوخ فى الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا فاننا نجد الامصار التى كانت استبحرت فى الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست فى غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها فى الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال فى الاندلس لهذا العهد فاننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة فى جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء واليهو من الآلات والآلات والرقص وتصيد الفرس فى التصور

وحسن الترتيب والاوضاع فى البناء وصوغ الآنية من المعادن
والخزف وجميع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر
الصنائع التى يدعو اليها الترف وعوائده فتجدهم اقوم الناس
عليها وابصر بها وتجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على
حصّة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الانصار
وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوى عمران
غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدّمناه من رسوخ
الحضارة بينهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة
القوط وما بعدنا من دولة الطوائف الى هلم فبلغت الحضارة
فيها مبلغا لم تبلغه فى قطر الا ما ينقل عن العراق والشام
ومصر ايضا لطول امداد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع
وكملت جميع اصنافها على الاستجداء والتنميق وبقيت
صبغتها ثابتة فى ذلك العمران لا تفارقه الى ان ينتقص
بالكلية حال الصبغ اذا رسخ فى الثوب وكذا ايضا حال
بونس فيما حصل فيها من الحضارة بالدول الصنهاجية
والموحدين من بعدهم وما استكمل لها ذلك من الصنائع
فى سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه
متضاعف برسوم منها تستنقل اليها من مصر لقرب المسافة
وبردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر فى كل سنة وربما
سكن اهلها هنالك عسورا فينقلون من عوائد ترفهم

ومحکم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت
احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن
احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس
حين الجلاء لعهد المائة السابعة ورسخ فيها من ذلك
احوال وان كان عمرانها ليس يناسب لذلك لهذا العهد
الا ان الصبغة اذا استحسنت فقليل ما تحول الا بزوال محلها
وكذلك نجد بالتيروان ومراكش وقلعة ابن حماد انرا
باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها خرابا او في
حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد
من هذه الصنائع اثارا تدلّه على ما كان بهما كثر الخطّ
المسحوف في الكتاب والده الخلاق

فصل في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر
طالبها

والسبب في ذلك ان الانسان لا يسمح بعمله ان ينفق
مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع
عمره في شئ مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في
مصره ليعود عليه بالنفع واذا كانت الصناعة مطلوبة
ويوجد اليها النفاق كانت حينئذ الصناعة بشابة السلعة التي
نفق سوقها وتجلب للبيع فيجتهد الناس في المدينة لتعلم

تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم ينفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاحتضت بالنزك وفقدت للاهمال (ولهذا) يقال عن علي كرم الله وجهه قيمة كل امرء ما يحسنه بمعنى ان صناعته هي قيمته اى قيمة عمله الذى هو معاشه وايضا فهنا سر اخر وهو ان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهى التى تنفق من سوقها وتوجد الطلبات اليها وما لم تطلب الدولة وانما يطلبه غيرها من اهل الحضر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها نفاق كل شئ والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق فيها كان اكثر شيئا ضرورة والسوق وان طلبوا الصناعة فليس صلهم بعام ولا سوقهم بنافقة والله قادر على ما يشاء

فصل فى ان الامصار اذا فاربت الخراب انتقصت
منها الصنائع

وذلك لما بيتاه من ان الصنائع انما تستجد اذا احتسب اليها وكثر طالبيها فاذا ضعفت احوال المصر واخذ فى الهرم بانتقاص عمرانده وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعا الى الاقتصار على الضرورى من احوالهم فتقل الصنائع التى كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصير

له بها معاش فيغفر (1) الى غيرها او يموت ولا يكون خلق منه فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون والصواغون والكتّاب والنساج وامثالهم من الصنّاع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات في تناقص ما دام المصر في تناقص الى ان يضمحل والله الخلاق العليم

فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنّاع

والسبب في ذلك انهم اعرق (2) في البدو وابتعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنّاع وغيرها والعجم من اهل المشرق وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق في العمران الحضري وابتعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي اعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهيبة لنتاجها ولهذا انجد اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنّاع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر اخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيها الصنّاع واستجلبها لامم من عندهم وعجم المغرب من البربر بمثابة العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من

1 Man. D. فيغفر.

2 Man. D. اغرق.

السنين وبشهد لك بذلك فلة الامصار بقطرهم كما قدّمناه
 فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان
 من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرزة ودبغه فانهم
 لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون
 هذين اغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال
 البداوة واما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه منذ ملك
 الاسم لاقدميين من الفرس والنبط والتبطن وبنى اسرائيل ويونان
 والروم احقبا متطاولا فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن
 جعلتها الصنائع كما قدّمناه فلم يمس رسمها واما اليمن
 والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكها العرب الا اتهم
 تداولوا ملكة الآفا من السنين في اسم كثيرين منهم واحتضنوا
 ايضا امصاره ومدنه وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف مثل
 عاد وثمود والعمالقة وحير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال
 امد الهلكت والحضارة واستحكمت صبغتها وتوقرت الصنائع
 ورسخت فلم تبل ببلى الدولة كما قلناه فبقيت مستحكمة
 حتى الآن واحتصمت بذلك الموطن كصناعة السوشي
 والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحريز فيها والله
 وارث الارض وما عليها

فصل في ان من حصلت له ملكة فقل ان يجيد
بعدها ملكة اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها
ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة الشجاعة
او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسسه
صبغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس
والوان فلا تزدهم دفعة ومن كان على الفطرة كان اسهل
لقبول الملكات واحسن استعدادا لحصولها فاذا تلونت
النفس بالملكة خرجت عن الفطرة وضعف فيها الاستعداد
باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى
اضغى وهذا بين يشهد له الوجود فنقل ان تجد صاحب
صناعة يحكمها فيحكم من بعدها اخرى ويكون فيها معا
على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان اهل العلم الذين
ملكتهم فكرية فهم بهذه الثابتة ومن حصل منهم على
ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فنقل ان يجيد
ملكة علم اخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه ان طلبه
لا في الاقل النادر من الاحوال ومينا سبه على ما ذكرناه
من شأن الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس
والد اعلم

فصل في الاشارة الى اسميات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشمد عن الحصر ولا ياخذها العدد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع فنخصها بالذكر ونترك ما سواهما فاما الضروري فكالقلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياسة واما الشريف بالموضوع فكالنوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب فاما النوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها تحصل حياة المولود وتتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولودون واسمياتهم (واما) الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويستفزع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومباعدة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخاضة نتائج الافكار والعلوم في الصحن واربعة رتب الوجود للمعاني (واما) الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسبهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتهنئة في

الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي والله
الخالق العليم

فصل فى صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على
إثارة الأرض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعاوده بالسقى
والنسمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من
غلافه واحكام الأعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وحى
أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل للحياة
الإنسان غالبا إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء الا من
دون القوت ولهذا (1) احتضت هذه الصناعة بالبدو إذ قدمنا انه
أقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة بذلك
بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لان احوالهم كلها
ثانية عن البداوة فصنائعهم ثانية عن صنائعها وتابعة لها
والله الخالق العليم

فصل فى صناعة البناء

هذه اول صنائع العمران الحضرى وأقدمها وحى معرفة
العمل فى اتخاذ البيوت والبنائى للسكن (2) والماوى وذلك

1 Man. C. et D. ما.

(2) Man. D. A. B. لكن. D. لاكن.

ان الانسان بما جبل عليه من الفكر فى عواقب احواله لا بد له ان يفكر فى موانع اذاية الحر والبرد عنه باتخاذ البيوت ذوات السقف الحائلة دون من جهاته والبشر مختلفون فى هذه السئلة الفكرية التى هى معنى الانسانية فالمقيدون فيها ولو على التفاوت يتخذون ذلك باعتدال كاهل الاقليم الثانى وما بعده الى الاقليم السادس واما اهل الاول والسابع فيبعدون عن اتخاذ ذلك لانحرافهم وقصور افكارهم عن كيفية العمل فى الصنائع الانسانية فياؤون الى الغيران والكهوف كما يتناولون الاغذية من غير علاج ولا نصح (ثم) المعتدلون المتخذون للبيوت للماوى قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم فى البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضا بيانا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بادارة سياج الاسوار التى تحوطهم ويصير جميعها مدينة ومصرا واحدا يحوطهم فيد الحكام بدفاع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاعتصام من العدو ويتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحمت ايديهم وحولاء مثل الملوكت ومن فى معانم من الامراء وكبراء القبائل (ثم) يختلف احوال البناء فى الادن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطاحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم فى الغنا والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فمنهم من

يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة الهائلة على عدة الدور والبيوت والغرف لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلاحم بينها بالكلس ويعالى عليها بالاصبغة والجص ويبالغ في كل ذلك بالتنجيد والتنميق اظهارا للبسطة (1) فى العناية بشأن الماوى ويهوى مع ذلك الاسراب والمطامير لاختزان اقواته والاصطبلات لربط مقرباته ان كان من اهل الجنود وكثرة التابع والغاشئة كالامراء ومن فى معانهم ومنهم من يبنى الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغى ما وراء ذلك لقصور حاله عند واقتصاره على الكون الطبيعى للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة (وقد) يحتاج الى هذه الصناعة ايضا عند تأسيس الهلوك واهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة ويبالغون فى انقار الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هى التى تحصل الدواى لذلك كله واكثر ما تكون هذه الصناعة فى الاقاليم المجتدلة من الرابع وما حوله اذ الاقاليم المنحرفة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين او يآوون الى الكهوف والغيران واهل هذه الصناعة القائلون عليها متفاوتون فمنهم البصير الهامر ومنهم القاصر (ثم) هى تتنوع انواعا كثيرة

(1) Man. D. النشاط.

فمنها البناء بالحجارة المنجدة (1) او بالاجرّ يقام بها الجدران
 ماصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذى يعقد معها
 فتلتحم كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة تقام
 مند الحيطان بان يتخذ لد لوحان من الخشب مقدران
 طولا وعرضا باختلاف العادات فى التقدير واوسطه اربعة
 اذرع فى ذراعين فينصبان على اساس وقد بوعد ما بينهما
 على ما يراه صاحب البناء فى عرض الاساس ويوصل بينهما
 باذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدل وتسدّ
 الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء (2) بينهما بلوحيين اخرين
 صغيرين ثم يوضع فيه التراب مختلطا بالكلس وببسط
 بالمراكز المعدة لذلك حتى ينعم ركزه وتختلط اجزأه
 بالكلس ثم يزداد التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلى ذلك
 الخلاء (3) بين اللوحيين فنقد تداخلت اجزاء الكلس والتراب
 وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحيين على الصورة
 الاولى ويركز كذلك الى ان يتم وتنتظم الالواح كلها سطرا
 فوق سطر الى ان ينتظم الحائط كلد ملتحما كاند قطعة
 واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب (ومن) صنائع
 البناء ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد ان يحلّ بالماء ويخمر
 اسبوعا او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط الناربة

(1) Man. C. المنجدة.

(2) Man. A. et B. الغض.

(3) *Ibid.* الغض.

المفسدة للحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلكه الى ان يلتحم (ومن) صنائع البناء عمل السقف بان تيدّ الخشب المحكمة النجارة او الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الالواح كذلك موصولة بالداستر ويصبّ عليها التراب والكلس ويبلط بالمراكز حتى تتداخل اجزاؤها وتلتحم ويعالا عليه الكلس كما عولى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التنيق والتزيين كما تصنع من فوق الحيطان الاشكال الجسمة من الجصّ يعقد بالماء ثم يرفع مجسدا وفيه بقية البلبل فيشكل على التناسب تخريما بهتاقب الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولى على الحيطان ايضا بقطع الرخام او الاجر او الخزف او الصدف او السجّ يفصل اجزاء متجانسة او مختلفة وتوضع فى الكلس على نسب واوضاع مقدّرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كأنه قطع الرياض المنمنمة الى غير ذلك من بناء الجباب والصحاريح لسيح الماء بعد ان تعدّ فى البيوت قصاع الرخام القورا المحكمة المحرط بالفوهات فى وسطها لتسبح الماء الجارى الى الصهريح يجلب اليها من خارج فى القنوات المنصية به الى البيوت وامثال ذلك من انواع البناء ويختلف الصناعات فى جميع ذلك باختلاف الحدائق والبصر ويعظم عمران

المدينة ويتسع فيكثرون (ورثيا) يرجع الحكام الى نظر هؤلاء فييا هم ابصر به من احوال البناء وذلك ان الناس فى المدن الكثيرة (1) الازدهام والعيوان يتشاقون حتى فى الفضاء والهواء للاعلى والاسفل فى الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع بعد حصول الضرر فى الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيد حق ويختلفون ايضا فى استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة فى القنوات ورثيا يدعى بعضهم على بعض فى حائط او علوه او قنانه لتناقض الجوار او يدعى بعض على جاره اعتلال حائطه وخشبة سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معها فساد فى الدار ولا اهيل لمنفعتها وامثال ذلك ويخفى جميع ذلك الا على اهل البصر بالبناء العارفين باحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقيط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه فى القنوات مجاورة ومدفوعة بحيث لا تضرب بها مرت علية من البيوت والحيطان وغير ذلك فلنهم بهذا كلة البصر والخبرة التى لست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور فى

(1) Man. C. et D. الكثرة.

الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا قدّمنا ان الصنائع وكما لها
 انما هو بكيال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك
 عند ما تكون الدولة بدويّة في اول امرها تفتقر في امر
 البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين
 اجبع بناء مسجد الدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى
 ملك الروم بالتسطينية في النعلة المهرة في البناء فبعث
 اليه منهم بهن كمل له غرضه من تلك المساجد (وقد) يصرف
 صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية
 الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك
 فيحتاج الى البصر بشئ من مسائله وكذلك في جرّ
 الاثقال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة
 الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط
 فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعالق
 من اثناب مقدّرة على نسب هندسية يصير الثقل عند
 معانة الرفع خفيفا وتسهى آلة لذلك بالميخال فيتم المراد
 من ذلك بغير كثرة وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة
 متداولة بين البشر ويثلمها كان بناء الهياكل المائلة لهذا
 العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم
 كانت على نسبتها في عظم الجثمان وليس كذلك
 وانما يتم لهم ذلك بالحمل الهندسية كما ذكرناه

فتفهم ذلك والله يخلق ما يشاء

PROLEGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فصل فى صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضرورات العيران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادمى فى كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر ميا هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشبا اذا يبست واول منافع الخشب ان يكون وقودا للنيران فى معاشهم وعصيا فى الاتكاء والذود وغيرهما من ضروراتهم ودعائم لما يخشى ميله من انقائهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون العمد والاوئاد لحياتهم والحدوج لظعائهم والرماح والقسى والسهام لسلحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاعلاق لابوابهم والكراسى لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشب مادة لها ولا يصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة التكلفة بذلك المحملة لكل واحد من صورها هى النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب او لا اما بخشب اصغر منه او بالواح ثم تركيب تلك الفضائل بحسب الصورة المصلوبة فهو فى كل ذلك يحاول بصنعه

اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضرورى في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء التسرف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنّف من سقف او باب او كرسى او ماعون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجاداته بغرائب من الصنعة كمالية ليست من الضرورى في شئى مثل التخطيط في الابواب والكراسى ومثل تهية القطع من الخشب بصناعة الخمرط يحكم بريها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالداثر فتبدو لمراى العين ملتحمة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شكل يتخذ من الخشب فيجئ انق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الآلات المتخذة من الخشب من اى نوع كانت وكذلك قد تحتاج الى هذه الصناعة في انشاء السفن البحرية ذات الالواح والدرسر وحمى اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه فى الماء بقوامه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها على مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسبك تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المجاذيف كما فى الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى جزء كبير من الهندسة فى جميع

اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموما او خصوصا وتناسب المقادير لا بد من الرجوع فيه الى المهندس ولهذا كانت ائمة الهندسة اليونانيين كلهم ائمة في هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجارا وبها كان يعرف وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح صلعم وبها انشأ سفينة النجاة التي بها كانت معجزته عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا اعني كونه نجارا الا ان كونه اول من عملها لا دليل يقوم عليه لبعده الآماد وانما معناه الاشارة الى قدم التجارة لانه لم تصح حكاية عنها قبل خبر نوح صلعم فجعل كانه اول من تعلمها فتفهم اسرار الصنائع في الخليقة والله الخلاق العليم

فصل في صناعة الحياكة والخياطة

اعلم ان المعتدلين من البشر في معنى الانسانية لا بد لهم من الفكر في الدف كالفكر في الكن ويحصل الدف باشتغال النسوج للوقاية من الحر والبرد ولا بد لذلك من السهام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسج والحياكة

فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان مالوا الى الحضارة فقلوا تلك المنسوجة قطعاً يقدرّون منها ثوبا على البدن بشكله وتعدّد اعضائه واختلاف نواحيها ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصائل حتى تصير ثوبا واحدا على البدن ويلبسونها والصناعة المحصلة لهذه الملائمة هي الخياطة وهاتان الصنعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الدفء فالاولى لنسج الغزل من الصوف والقطن سدوا في الطول والحاما في العرض واحكاما لذلك النسج بالالتحام الشديد فتمت منها قطع مقدّرة فنماها الاكسية من الصوف للاشمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس (والصناعة الثانية) لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولا بالمقراض قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا او حكا او تنبيتا او تفتيحا على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضرتي لما ان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وتفهم هذا في سرّ تحريم المخيط في الحجّ لما ان مشروعية الحجّ مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقتنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشئ من عوائد

تفره لا طيبا ولا نساء ولا مخيطا ولا خفا ولا يعرض لصيد
ولا لشيء من عوائده التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه
يفقدها بالموت ضرورة وانما يجئ كانه وارد على المحشر
ضارعا بقلبه مخلصا لربه فكان جزاؤه ان تم له اخلاصه
في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه
ما ارفقك بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم
اليك وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة لهما ان
الدف ضروري للبشر في العمران المعتدل واما المنحرف
الى الحر فلا يحتاج اهله الى دف ولهذا يبلغنا عن اهل
الاقليم الاول من السودان انهم عراة في الغالب ولقدوم هذه
الصناعات تنسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم
الانبياء عليهم السلام وربما ينسبونها الى هرمس وقد يقال
ان هرمس هو ادريس والله الخلاق العليم

فصل في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود من بطن
امه من الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك
ثم ما يصلح بعد الخروج على ما يذكر وهي مختصة
بالنساء في غالب الامر لثبتهن الظاهرات بعضهن على
عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة

استعير فيه معنى الاعطاء والقبول كان النفساء تعطيها الجنين
وكاتها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في
الرحم واطواره وبلغ الى غايته والمدّة التي قدر الله لمكته وهي
تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله فيه
من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق
بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع (1) ما كان في
الاعشبية من الالتصاق والالتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشنّد
لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك
بعض الشيء بغمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من
الاسافل تساقق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين
وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى
معرفة عسره (ثم) اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم
الوصلة التي كان يتغذى منها متصلة من سرتة ببعاه وتلك
الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة
من حيث لا ينعدي مكان الفضلة ولا يضتر ببعاه ولا برحم
أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكّي او بما تراه من
وجوه الاندمال (ثم) ان الجنين عند خروجه من ذلك
المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء
فربما تتغير اشكال اعضائه واوزاعها (2) لقرب التكوين

(1) انقلع. Man. C. et D.

(2) اوضاعه واعضائه. Man. A. et B.

ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه المقدّر له ويرتد خلقه سويا (ثم) بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمز والهلاينة لخروج اغشية الحنين لانها ربما تتأخر عن خروجه قليلا ويخشى عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتتعفن ويسرى عنفها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتورخ اعضاه بالادهان والذرور القابضة لتشدّها وتجفّ رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لهاته وتسعته لاستفراغ بطون دماغه وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوى النفساء بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلاق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذ المولود وان لم يكن عضوا طبيعيا فحالة التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القاطع وتداوى مع ذلك ما يلسق الفرج من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادواء نجد هولاء القوابل ابصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في بدنه الى حين الفصال نجد من ابصر بها من الطبيب الماهر وما ذاك

ألا لأن بدن الانسان فى تلك الحالة أما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز الفصال صار بدنا انسانيًا بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اشدّ فهذه الصناعة كما تراه ضرورية فى العمران للنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه فى الغالب دونها وقد يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة أما بخلق الله ذلك لهم معجزة وخرقا للعادة كما فى حق الانبياء صلعم او بالهام وهداية يلهم لها المولود ويفطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة (فاما) شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى ان النبي صلعم ولد محتونا مسرورا واضعا يديه على الارض شاخصا ببصره الى السماء وكذلك شأن عيسى فى المهد وغير ذلك (واما شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب من الالهامات كالحمل وغيرها فما ظنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا من اختص بكرامه الله (ثم) الالهام العام للمولودين فى الاقبال على الهدى من اوضح شاهد على وجود الالهام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يفهم بطلان رأى الفارابى وحكماء الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكنونات وخصوصا فى النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اشخاصه لاستحال وجودها بعد

ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتم كون
الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفالتها الى
حين الانفصال لم يتم بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر
ممتنع لآثار ثمرته وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على
هذا الراى لمخالفته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع
وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانية لاقتضات فلكية
واوضاع غريبة تندرفى الاحقاب بزعمه فتقتضى تخيير
طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقضى
له حيوان يخلق فيه الالهام لتربيته والحنو عليه الى ان
يتم وجوده وفصاله واطب فى بيان ذلك فى الرسالة
التي سماها برسالة حى بن يقظان وهذا الاستدلال غير
صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما
استدل به فان دليله مبنى على استناد الافعال الى العلة
الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة
على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة القديمة
ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما
يبنى عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لتربيته
فى الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان
الالهام يخلق فى الحيوانات الاعجم فما المانع من خلقه
للمولود نفسه كما قرناه اولا وخلق الالهام فى شخص

لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلما
المذهبين شاهدان على انفسهما بالبطلان في مناحيهما
لها قررته لك والله الخلاق العليم

فصل فى صناعة الطبّ وانها محتاج اليها فى الحواضر
والامصار دون البادية

هذه الصناعة ضرورية فى المدن والامصار لما عرف من
فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة للاصحاء ودفع المرض عن
المرضى بالمدواة حتى يحصل لهم البرء من ادوائهم واعلم
ان اصل الامراض كلها آتيا هو من الاغذية كما قال صلعم
فى الحديث الجامع للطبّ كما ينقل بين اهل الصناعة
وان طعن فيه العلماء وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء واصل كل داء البردة فاما قوله المعدة بيت
الداء فظاهر واما قوله الحمية رأس الدواء فالحمية الجوع
وهو الاحتشاء عن الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم
الذى هو اصل الادوية واما قوله اصل كل داء البردة فمعنى
البردة ادخال الطعام على الطعام فى المعدة قبل ان يتم هضم
الاول (وشرح) هذا ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان
وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى
الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما ملئما لاجزاء البدن من

اللحم والعظم ثم تاخذه النامية فينقلب لحمها وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير خراء بالفعل من البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في الفم ولاكته لاشداق أثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيرا وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم اجدتها مضغا فتسرى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفوة (1) ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما يرسب منه في المعاء ثغلا ينفذ الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما غبيطا وتطفو عليه رغوّة من الطبخ هي الصفراء وترسب منه اجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحار الغريزي هنالك فتكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتأخذ النامية ماخذها في الدم فيكون لحما ثم غليظة عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما

(1) Man. C. et D. صفو.

ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي الحميات وسببها ان الحارّ الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون اغلب على الحارّ الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان يستوفى طبخ الاول فيشغل به الحارّ الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليها فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه وربما بقى في الكبد من الغذاء السابق فضلة غير ناضجة ويرسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الأخرى من العروق والدمع واللحاح ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة ويتزائد مع الايام وكل ذي رطوبة من الميتزجات اذا لم ياخذ الطبخ والنضج تعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلاط وكل منعقن فغيه حرارة غريبة وتلك هي الهسامة في بدن الانسان بالحمى واعتبر ذلك في الطعام اذا تركت حتى يتعقن وفي الزبل اذا تعقن كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الابدان وهي راس الامراض واصلمها كما وقع في الحديث وللهذه

الحميات علاجات بقطع الغذاء عن المريض اسابيع معلومة ثم تناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وكذلك في حال الصحة له علاج في التحفظ من هذا المرض وغيره وقد يكون ذلك التعفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو او تحدث جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسة او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوي الموجودة له هذه كلها جماع الامراض واصلها في الغالب من الاغذية (وهذا) كله مدفوع الى الطبيب ووقع هذه الامراض في اهل الحضرة والامصار اكثر لخصب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توفيتهم لتناولها وكثرة ما يخلطون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه رطبا ويابسا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع ولا انواع فربما عددنا في اللون الواحد من الوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون بعيدا عن ملائمة البدن واجزائه (ثم) ان الاهوية في الامصار تفسد بمخالطة الابخرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة للدوايح ومقوية بنشاطها لاثار الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل لامصار اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تاخذ منهم الرياضة شئا ولا تؤثر اثرا

فكان وقوع الامراض كثيرا في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة (فاما) اهل البدو فاكلهم قليل في الغالب والجوع اغلب عليهم لقلّة الحبوب حتى صار ذلك لهم عادة وربما يظنّ أنّها جبلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه اتما يدعو اليه ترف الحضارة الذي هم عنه بمعزل فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويغرب مزاجها من ملانمة البدن واما اهويتهم فقليلة العفن لقلّة الرطوبات والعفونات ان كانوا اهليين او لاختلاف الاهوية ان كانوا طواعن ثم ان الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات او مهنة انفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك الهضم كله ويجود ويفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون امزجتهم اصلح وابتعد عن الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذاك الا للاستغناء عنه اذ لو احتيج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو الى سكناه سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

فصل في ان الخطّ والكتابة من عداد الصنائع الانسانية وهو رسوم واشكال حرفية تدلّ على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثانی رتبة عن الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواصّ الانسان التي يتمييز بها عن الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد البعيد فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبه في علومهم واخبارهم فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناهي (1) في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخطّ في المدينة اذ هو من جملة الصنائع وقد قدّمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يقرؤون ولا يكتبون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطّه قاصرا وقرآنه غير نافذة ونجد تعليم الخطّ في الامصار الخارج عمرانها عن الحدّ ابلغ واسهل واحسن طريقا لاستحكام الصبغة (2) فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخطّ يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك

(1) Man. D. التناهي.

(2) Man. D. الصبغة.

الباشرة بتعليم وضعه فتعزز لديه رتبة العلم والحسن في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال وليس الشأن في تعليم الخط بالاندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفرادة على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم وأنها يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له إلى أن يحصل له الاجادة ويتمكن في بنائه الملكة فيسمى مجيدا (وقد) كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والانتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميمي وانتقل منهم إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التبابعة في العصبية والمجديين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين فكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش فيما ذكر (يقال) ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية وقيل حرب بن امية - اخذها من اسلم بن سدره وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب إلى انهم تعلموها من ابياد اهل العراق لقول شاعرهم

قيم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابادا ولو نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضريّة وأنما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والعلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل الحجاز أنما لقنوها من الحيرة ولقننها اهل الحيرة من التبابعة والحمير هو الالتيق من الاقوال (ورايت) في كتاب التكملة (1) لابن الانبار عند التعريف بابن فروخ القيرواني الفارسي الاندلسي من اصحاب مالك رضي الله عنه واسمه عبد الله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن ابيه قال قلت لعبد الله بن عباس يا معشر قريش خبروني عن هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل ان يبعث الله محمدا صلعم تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الالف واللام والهم والنون قال نعم قلت وممن اخذتموه قال من حرب بن امية قلت وممن اخذه حرب قال من عبد الله بن جدعان قلت وممن اخذه عبد الله بن جدعان قال من اهل الانبار قلت وممن اخذه اهل الانبار قال من طارطرا عليهم من اهل اليمن قلت وممن اخذه ذلك الطاري قال من النخاجان بن القسم كانت الوحي ليهود النبي صلعم وهو الذي يقول

1) Man. A. التكملة.

افى كل عام سنة تحدثونها وراى على غير الطريق يعبر
وللموت خير من حياة تسبنا بها جرهم فيمن يسب وجرير

انتهى ما نقله ابن الابار فى كتاب التكملة (1) وزاد فى
آخرة حدثنى لذلك ابو بكر بن ابى حميرة (2) فى كتابه
عن ابى بجر بن العاصى عن ابى الوليد الوقشى عن ابى
عمر الظلمنى بن ابى عبد الله بن مفرح ومن خطه نقلته
عن ابى سعيد بن يونس عن محمد بن موسى بن النعمان
عن يحيى بن محمد بن حشيش بن عمر بن ايوب الهمافرى
التونسى عن بهلول بن عبيدة الحمى عن عبد الله بن
فروح انتهى (وكان) لحمير كتابة تسمى المسند حروفها
منفصلة وكانوا يمنعون من تعليمها الا باذنهم ومن حمير
تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها
شان الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب
ولا مائلة الى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة
واستغناء البدو عنها فى الاكثر فكانت كتابة العرب
بدوية مثل او قريبة من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان
كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى
الحضارة ومخالطة الامصار والدول (واما مضر) فكانوا اعرق
فى البدو وابتعد عن الحضار من اهل اليمن والشام ومصر

1) Man. A. التكملة.

2) Man. A. جرة

واهل العراق وكان الخطّ العربي لاول الاسلام غير بالغ الى
 الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسّط لهيكل
 العرب من البداوة والنوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما
 وقع لاجل ذلك في رسم المصحف حيث كتبه الصحابة
 بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالق الكثير
 من رسوماتهم ما اقتضته اقيسة رسوم صناعة الخطّ عند اهلها
 ثم اقتفى التابعون من السلف رسوماتهم فيها تبرّكا بيا رسمه
 اصحاب رسول الله صلعم وخير الخلق من بعده المتلقون
 لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خطّ
 ولى او عالم تبرّكا ويتبع رسمه خطاء او صوابا واين نسبة
 ذلك من الصحابة وما كتبه فاتبع ذلك واثبت رسما
 ونبه العلماء بالرسم على مواضع ولا تلتفتن في ذلك الى
 ما يزعمه بعض المغنلين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخطّ
 وان ما يتخيّل ومن مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس
 كما يتخيّل بل لكلها وحده ويقولون في مثل زيادة الالف
 في لا اذبحند انه تنبيد على ان الذبح لم يقع وفي زيادة
 الباء في قوله باييد انه تنبيد على كمال القدرة الربانيّة
 وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على
 ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن
 توهم النقص في قلّة اجادة الخطّ وحسبوا ان ذلك الخطّ

كمال فنزوهوم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته وطلبوا
تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح
(واعلم) ان الخط ليس بكمال فى حقهم اذ الخط من جيلة
الصنائع الهندية المعاشية كما رأيت فيها مر والكمال فى الصنائع
اضافى وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات فى
الدين ولا فى الخلال وإنما يعود على اسباب الهعاش وبحسب
العيان والتعاون عليه لاجل دلالة على ما فى النفوس وقد
كان النبى صلعم امياً وكان ذلك كمالاً فى حقه وبالنسبة
الى مقامه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هى اسباب
المعاش والعيان كلها وليست الامية كمالاً فى حقنا نحن
اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا
شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال فى
حقه هو تنزهه جيلة بخلافنا (ثم) لما جاء الملك للعرب
وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة
واحتاجت الدولة الى الكتاب استعملوا الخط وطلبوا صناعته
وتعلوه وتداولوه فترقت (1) الاجادة فيه واستحكم وبلغ فى
الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية
والخط الكوفى معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشرت العرب
فى الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية ولاندلس واخط بنو

(1) فتفرقت Man. B. et D.

العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لها استبحرت
 فى العيران وكانت دار لاسلام ومركز الدولة العربية وخالفت
 اوضاع الخط ببغداد اوضاعه بالكوفة فى الهيل الى اجادة الرسوم
 وجهال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة فى
 الاعصار الى ان رفع رايها ببغداد على بن مقله الوزير ثم
 تلاه فى ذلك على بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب
 ووقف سند تعليمها عليه فى الهاية المألثة وما بعدها وبعدت
 رسوم الخط البغدادى واوضاعه عن الكوفة حتى انتهى الى
 الهياينة ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفتن الجهادية
 فى احكام رسومه واوضاعه حتى انتهت الى المتأخرين مثل
 ياقوت والولى على العجيبى ووقف سند تعليم الخط عليهم
 وانتقل ذلك الى مصر وخالفت طريقة العراق بعض
 الشئ ولقنها العجم هنالك فظهرت مخالفة لخط اهل مصر
 او مبانة (وكان) الخط الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا
 العهد يقرب من اوضاع الخط المشرقى وتحييز ملك
 الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع
 والخطوط فتميز عنف خطهم الاندلسى كما هو معروف
 الرسم وطما ببحر العيران والحضارة فى الدول الاسلامية فى
 كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت
 الكتب واجيد كتبها وتخليدها وملئت بها القصور والخزائن

الملوكية بها لا كفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتناغوا فيه (ثم) لها انحلال نظام الدولة الاسلامية وتناقضت تناقض ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتاب بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تنزل اسواقه بها نافقة لهذا العهد وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبك المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقننها حسنا وحدق فيها دربة وكتابا واحدها قوانين عهلية فتجئ احسن ما يكون (واما اهل الاندلس) فافترقوا في الاقطار عند تلالشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم اسم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي وعفا عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي مند رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا تلمسوا بجوارهم اذ انما كانوا يقدرون (1)

(1) Man. C. et D. يفرن.

على دار الملك بتونس فصار خط أهل افريقية من جنس خطوط أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة اليهودية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقض العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها (1) (وحصل) في دولة بني مرين بعد ذلك بالغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا واستعمالهم إياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافريقية والمغربيين مائلة إلى الردة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب أن انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرا إلا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله يحكم لا معقب لحكمه وللاستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن البواب قصيدة من بحر البسيط على روى الرءاء

(1) Man. A. et B. رفعها

يذكر فيها صناعة الخط وموادها من احسن ما كتب في ذلك رايت اثباتها في هذا الكتاب من هذا الباب لينتفع بها من يريد تعلم هذه الصناعة واولها

يا من يريد اجادة التحرير
ان كان عزمك في الكتابة صادقا
اعدد من الاقلام كل مشقوف
واذا عمدت لبريه فتوخه
انظر الى طرفيه فاجعل بريه
واجعل لجلفته قواما عادلا
والشق وسطه ليبقى بريه
حتى اذا اتقنت ذلك كله
فاصرف لراى القَطِّ عزمك كله
لا تطمعن في ان ابوح بسره
لكن جهلة ما اقول بانه
والق دواتك بالدخان مدبرا
واصف اليه مغرة قد صولت
حتى اذا ما خبرت فاعهد الى
فاكسه بعد القطع بالمعصار كى
ثم اجعل التمثيل دابك صابرا
ابدا به في اللوح منتضيا له
لا تجلس من الردى تخطه
فالامر يصعب ثم يرجع هينا
حتى اذا ادركت ما املته
فاشكر الهك واتبع رضوانه
وارغب لكفتك ان تخط بنانها
فجميع فعل المرء يلقاه غدا

ويروم حسن الخط والتصوير
فارغب الى مولاك في التيسير
صلب يصوغ صناعة التحبير
عند القياس باوسط التقدير
من جانب التدقيق والتخصير
لا يخلو عن التطويل والتقصير
من جانبيه مشاكل التقدير
اتقن طب بالمراد خبير
فالقط فيه جملة التدبير
انى اضن بسره المستور
ما بين تحريف الى تدوير
بالخمل وبالحصرم المعصور
مع اصفر الزرنبيخ والكافور
الورق النقى الناعم المخبور
ينأى عن التشعيب والتغيير
ما ادركت المامول مثل صبور
عزما تجرده عن التشهير
في اول التمثيل والتسطير
ولرب سهل جاء بعد عسير
اصحيت رب مسرة وحصور
ان الاله يجيب كل شكور
خيبرا تخلفه بدار غرور
عند التقاء كتابه المشهور

(واعلم) ان الخط بيان عن القول والكلام كما ان القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعانى فلا بد لكل منهما ان يكون واضح الدلالة قال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان وهو يشتمل بيان الأدلة كلها فالخط المجود كماله ان تكون دلالاته واضحة بابانة حروفه المتواضعة واجادة وضعها ورسها كل واحد على حدة متميز عن الآخر الا ما اصطح عليه الكتاب من ايصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض سوى حروف اصطاحوا على قطعها مثل الالف المتقدمة فى الكلمة وكذا الراء والزاي والذال وغيرها بخلاف ما اذا كانت متاخرة وهكذا الى آخرها ثم ان المتأخرين من الكتاب اصطاحوا على وصل كلمات بعضها ببعض وحذف حروف معروفة عندهم لا يعرفها الا اهل مصطاحهم فتستعجم على غيرهم وهؤلاء كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة كانوا انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم لكثرة موارد الكتابة عليهم وشهرة كتاباتهم واحاطة كثير من دينهم بمصطاحهم فان كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطاحهم فينبغى ان يعدلوا عن ذلك الى البيان ما استطاعوه والا كان بمثابة الخط الاعجمى لانها بمنزلة واحدة فى عدم التواضع عليه وليس بعذر فى هذا القدر الا كتاب الاعمال السلطانية فى الاموال والجيوش لانهم مطلوبون

بكتمان ذلك عن الناس فانه من الاسرار السلطانية التي
يجب اخفاؤها فيبالغون في رسم اصطلاح خاص بهم ويصير
بمثابة المعنى وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف
بكلمات من اسماء الطيب والفواكه والطيور او الازاهر ووضع
اشكال اخرى غير اشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها
المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة ورتبها وضع
الكتاب للعثور على ذلك وان لم يضعوه اولا قوانين
بمقائيس استخراجها لذلك بهدأركهم يستونها فك المعنى
وللناس في ذلك دواوين مشهورة والله العليم الحكيم

فصل في صناعة الوراة

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في
نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان سبب
ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد
ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدول وتنقص
ال عمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر زاجر بالعراق
والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدول
ونفاق اسواق ذلك لديها فكثرت التواليف العلمية
والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والاعصار
فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانيين

لانتساح والتصحيح والتجديد وسائر امور الكتب والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات اولا لانتساح العلوم وكتب الرسائل السلطانية والقطاعات والصكوك في الرقوق الهيئة بالصناعة من الجلد لكثرة الرقد وقلة التواليف صدر الهلة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقترضوا على الكتاب في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها الى الصحة والانقار ثم طما بجر التواليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغذ وصنعه وكتب فيد رسائل السلطان وصكوكه واتخذة الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت (ثم) وقفت عناية اهل العلوم وعم اهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية السندة الى مولفها وواضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شأن اهل العلم وحملت في العصور والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ نمرتها الكبرى من

معرفة صحيح الأحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمحضت زبدة ذلك في الأسماء الثلثاة بالقبول عند الأمة وصار التصد إلى ذلك لغوا من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال بها إلا في تصحيح تلك الأسماء الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتوايف العلمية واتصال سندها بمولفها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق ولأندلس معيدة الطرق والصحة المسالك ولقد تجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الاتقان والصحة ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونها إلى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانها وبدعوة أهله وصارت الأسماء والدواوين تنتسخ بالخطوط البدوية ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغل على متصفحها ولا يحصل منها فائدة إلا في الأقل النادر (وأيضا) فقد دخل النخل من ذلك في الفتيا فان غالب الأقوال المعزوة غير مروية عن أئمة الپذهب وأتيا تتلقى من تلك الدواوين

على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض
 اتقنهم من التاليف لقلّة بصرهم بصناعته وعدم الصنائع
 الوافية بمقاصده ولم يسبق من هذا الرسم الا اثاره بالاندلس
 خفية بالاسحا وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ان ينقطع
 بالكلية من المغرب والله غالب على امره ويبلغنا لهذا
 العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحيح الدواوين
 لمن يرومه بذلك سهل على متبغيه لنفاق اسواق العلوم
 والصنائع كما نذكره بعد الآ ان الخط الذي بقى من الاجادة
 فى الاستنساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم واما
 النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله غالب
 على امره

فصل فى صناعة الغناء

هذه الصناعة هي ناحيين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات
 على نسب منتظمة معروفة توقع على كل صوت منها
 توقيعا عند قطع فتكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم
 بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذّ سماعها لاجل
 التناسب وما يحدث عنه من الكيفية فى تلك الاصوات
 وذلك انه تبين فى علم الموسيقى ان الاصوات
 تناسب فيكون صوت نصص صوت وربع اخر وخميس
 اخر وجزء من احد عشر من اخر واختلاف هذه النسب

عند تأديتها الى السمع يخرجها عن البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذا عند السمع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التامحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او النفخ في آلات تتخذ لذلك فتزيدها لذة عند السمع فمنها لهذا العهد بالمغرب اصناف منها المزمار يسمونه الشبابة وهي قصبه جوفاء بابخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الابخاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلنذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة آلة الزمر التي تسمى الزلامى وهي شكل القصبه منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اثنائها من قطعتين منفوذة كذلك بابخاش معدودة ينفخ فيها بقصبه صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة ويجرى فيها من تقطيع الاصوات من تلك الابخاش بالاصابع مثل ما يجرى في الشبابة ومن احسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار

الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دور الكف على شكل برى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تودى الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخيناً دوتاً وفيه انخاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذا ومنها الآت الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من الكرة كالبربط والرباب او على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على بساطها مشدودة في راسها الى دساتر جائلة ليتأتى رخوها عند الحاجة اليها بادارتها ثم تقرع الاوتار اما بعود او بوتر مشدود بين طرفى قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او بنقله من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الآت الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة (وقد يكون القرع فى الطسوت بالقضبان او فى الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب يحدث عند السداد بالمسموع ولنبيين لك السبب فى اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقرر فى موضعها هى ادراك الملائم والحسوس انما تدرك مند كفيية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية لد منافرة لد كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما ناسبت

كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات
وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبى البخارى لانه
المدرک واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار
العطريات احسن رائحة واشد ملايمة للروح لغلبة الحرارة
فيها التى هى مزاج الروح القلبى واما المريات والمسحوقات
فالملائم فيها تناسب الاوضاع فى اشكالها وكيفياتها فهو
انسب عند النفس واشد ملايمة لها فاذا كان المرئى متناسبا
فى اشكاله وتحاطيطه التى له بحسب مادته بحيث لا يخرج
عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك
هو معنى الجمال والحسن فى كل مدرک كان ذلك حينئذ
مناسبا للنفس المدركة فتلذذ بادراك ملائمتها (1) ولهذا
نجد العاشقين المستهترين (2) فى المحبة يعبرون عن غاية محبتهم
وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب ومعناه من وجد
اخران الوجود يشرك بين الموجودات كما يقوله الحكماء
فتوّد ان تمتزج بها شهدت فيه الكمال لتتحد به (ولما) كان
انسب الاشياء الى الانسان واقربها الى مدرک الكمال
فى تناسب موضوعها هو شكله الانسانى فكان ادراكه
للجمال والحسن فى تحاطيطه واصواته من المدارک التى
هى اقرب الى فطرته فيلجج كل انسان بالحسن فى

(1) ملائمتها. Man. A. et B.

(2) المستهترين. Man. A. et B.

الهرى أو المسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك ان الاصوات لها كفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدّة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذى يوجب لها الحسن فاولا ان لا يخرج من الصوت الى صدّه دفعة بل بتدرج ثم يرجع كذلك وكذلك الى الهمل بل لا بد من توسط المغائر بين الصوتين وتامل هذا من استقباح اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة او المتقاربة المخارج فانه من بابه وثانيا تناسبها بالاجزاء كما مر اول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل مناسبا على ما حصره اهل صناعة الموسيقى فاذا كانت الاصوات على تناسب فى الكفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة (ومن) هذا التناسب ما يكون بسيطا ويكون الكثير من الناس مطبوعين عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كما نجد الطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من الغراء بهذه المشابة يقرؤون القرآن فيجيدون فى تلاحين اصواتهم كأنها الهزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس

يستوى في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذى يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد ذكر العلوم (وقد انكر مالك رضى الله عنه القراءة بالتلحين واجازها الشافعى رضى الله عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعى فانه لا ينبغى ان يختلف فى حظرة اذ صناعة الغناء مبانة للقران لان القراءة والاداء يحتاج الى مقدار من الصوت يتعين اداء الحروف به من حيث اشباع الحركات فى مواضعها ومقدار المد عند من يطيله او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذى قلناه فى حقيقة التلحين فاعتبار احدهما قد يخل بالآخر اذا تعارضا وتقدم التلاوة متعين فرارا من تغيير الرواية المنقولة فى القران (1) فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعتبر فى القران بوجه وانما المراد من اختلافهم التلحين البسيط الذى يهتدى اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه فيردد اصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القران عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله لان القران هو محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام النذاذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا

(1) Man. A. et B. § القرأ.

كانت قراءة الصحابة كما في اخبارهم (فاما) قوله صلعم
 لتمد اوتى مزمارا من مزامير آل داود فليس المراد به التردد
 والتلحين وانها معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في
 مخارج الحروف والنطق بها واذا قد ذكرنا معنى الغناء
 (فاعل) انه يحدث في العمران اذ توقر وتجاوز حد الضرورى
 الى الحاجى ثم الى الكمالى وتفتنوا فيه فتحدث هذه
 الصناعة لانها لا يستدعيها الا من فرغ عن جميع حاجاته
 الضرورية والمهمة من العاش والمنزل وغيره فلا يطلبها
 الا الفارغون عن سائر احوالهم تفتننا في مذاهب الملدوذات
 (وكان) في سلطان العجم قبل الملة منها بحمر زاخر فى
 امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به
 حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولهم
 مكان من دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدهم ومجامعهم
 ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل افق من
 افاقهم وسلكة من مسالكهم (واما العرب) فكان لهم اولا فن
 الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها
 في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك
 الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا يعطف
 على الاخر ويستونه البيت فيلائم الطبع بالتجزئة اولا ثم
 تناسب الاجزاء في القاطع والمبادئ ثم بتنادية المعنى

المقصود وتطبيق الكلام عليه فاهمجوا به وامتاز من بين
كلهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا
التناسب وجعلوه ديوانا لاجبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكما
لقرائحهم في اصابة المعانى واجادة الاساليب واستمروا
على ذلك وهذا التناسب الذى من اجل الاجزاء
والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من
تناسب الاصوات كما هو معروف فى كتاب الموسيقى
الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما
ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة اغلب محلمهم (ثم) تغنى
الحدادة منهم فى حداء ابلهم والفتيان فى قضاء خلواتهم
فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يستون الترتيم اذا كان بالشعر غناء
وإذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغبيرا بالغين المعجمة والباء
الموحدة وعللها ابو اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو
الباقي اى باحوال الآخرة وربما ناسوا فى غائهم بين
النعمة مناسبة كما ذكره ابن رشيق فى آخر كتاب
العهد وغيره وكانوا يستونه السناد وكان اكثر ما يكون
منهم فى الخفيف الذى يرقص عليه ويهشى بالدق واليزمار
فيطرب ويستخف الحليم وكانوا يستون هذا الهزج وهذا البسيط كله
من التلاحين هو من اوائلها ولا يبعد ان يثظن له الطباع من
غير تعليم شأن البساط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن

العرب في بداوتهم وجاهليتهم (فلما) جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلّبوهم عليه وكانوا من البداوة والغصاة على الحال التي عرفت لهم مع غصاة (1) الدين وشدته في تركت احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجر ذلك شأ ما ولم يكن الملهذوذ عندهم الا ترجيع القراءة (2) والترنم بالشعر الذي كان يديدهم ومذهبيهم فلما جاء الثرف وغلّب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ (وافترق) المغتربون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنّوا جيعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تاحينهم الاصوات فاحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاتر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه واجادوا فيده وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن شريح وانظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت ايام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك فسى دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبمجالسه (3) لهذا العهد وامنعوا في اللهو واللعب واتخذت الآت الرقص في الملابس

(1) Man. D. عصارة. C. عصارة. (2) Man. A. et B. القرآن. (3) Man. D. سجدة.

والقصبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل عنفا وحسده
 واتخذت الآت اخرى للرقص تسمى بالكرج (1) وهي تماثيل
 خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية تلبسها
 النسوان ويحاكون بها امتطاء الخيل فيكروون ويفرون ويتناقفون
 وامثال ذلك من اللعب المعدة للولائم والاعراس وايام
 الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد وامصار
 العراق وانتشر منها فيما سواها (وكان) للموصلتين غلام
 اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصرفوه الى المغرب
 غيرة به فالحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
 امير الاندلس فبالغ في تكريمته وركب للثأته واسنى له
 الجوائز والاقطاعات والجرايات واحله من دولته وندمائه
 بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى
 ازمان الطوائف وطما منها باشيلية ببحر زاهر وتناقل منها
 بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدو بافريقية والمغرب وانقسم الى
 امصارها وبها الآن منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص
 دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع
 لاتها كباية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة السخراغ
 والفرج وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند احتلاله
 وتراجعه والله الخلاق

1) Man. D الكرج

فصل فى ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا
الكتابة والحساب

وقد ذكرنا فى الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما
توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو
بتجدد العلوم والادراكات من المحسوسات اولاً ثم ما
يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكها بالفعل
وعقلا محضاً فتكون ذاتاً روحانية وتستكمل حينئذ وجودها
فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها
عقلاً مزيداً والصنائع ابداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون
علمي مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحكمة فى
التجربة تفيد عقلاً والملكات الصناعية تفيد عقلاً والحضارة
الكاملة تفيد عقلاً لانها مجتمع من صنائع فى شأن تدبير
المنزل ومعاشرة ابناء الجنس وتحصيل الآداب فى مخاطبتهم
ثم القيام بامور الدين واعتبار آدابها وشرايطها وهذه كلها
قوانين تنتظم علومها فتحصل منها زيادة عقل (والكتابة)
من بين الصنائع اكثر افادة (١) لذلك لانها تشتمل على علوم
وانظار بخلاف الصنائع وبيانه ان فى الكتابة انتقالاً من
صور الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية فى الخيال
ومن الكلمات اللفظية فى الخيال الى المعانى التى فى

(١) Man. A. et B. فائدة

النفس فهو ينتقل ابدا من دليل الى دليل ما دام ملتسبا
 بالكتابة وتتعود النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة
 الانتقال من الأدلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي
 الذي يكتسب به العلوم المجبولة فتكتسب بذلك ملكة
 من العقل تكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة وكيس في
 الامور بما تعودوه من ذلك الانتقال وكذلك قال كسيري
 في كتابه لما رآهم بتلك الفطنة والكيس فقال ديوانه
 اى شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق السديوان
 لاهل الكتابه ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة
 الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيد
 الى استدلال كبير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى
 العقل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شئا وجعل
 لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون

الفصل السادس من الكتاب الاول في العلوم واصنافها
 والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال
 وفيه مقدمة ولواحق

(فالمقدمة) في الفكر الانساني الذي تميز به البشر عن
 الحيوانات واخذى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء

جنسه والنظر في معبوده وما جاءت به الرسل من عنده
فصار جميع الحيوانات في طاعته وملكت قدرته وفضله
به على كثير خلقه

فصل في الفكر الانساني

اعلم ان الله سبحانه وتعالى مميّز البشر عن سائر الحيوانات
بالفكر الذي جعله مبداء كماله ونهاية فضله على الكائنات
وشرفه وذلك ان الادراك وهو شعور المدرك في ذاته
بما هو خارج عن ذاته هو خاص بالحيوان فقط من بين سائر
الكائنات والموجودات فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن
ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة (السمع والبصر
والشم والذوق واللمس) ويزيد الانسان من بينها انه يدرك
الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه وذلك بقوى
جعلت له في بطون دماغه ينتزع بها صور المحسوسات
ويجول بذهنه فيها فيجرد منها عمورا اخرى والفكر هو
التصرف في تلك الصور وراء الحس وجولان الذهن فيها
بالانتزاع والتركيب وهو معنى الافئدة في قوله تعالى جعل
لكم السمع والابصار والافئدة والافئدة جمع فؤاد وهو هنا الفكر
وهو على مراتب (الاولى) تعقل الامور المرتبة في الخارج
ترتيبا طبيعيا او وضعيا ليقتصد ابقاعها بقدرته وهذا الفكر اكثر

تصوّرات وهو العقل التمييزي الذي يحصل منافعه ومعاشه ويدفع مضارّه (الثانية) الفكر الذي يفيد به الآراء والآداب في معاملة ابناء جنسه وسياستهم واكثرها تصديقات تحصل بالتجربة شئاً شئاً الى ان تتم الفائدة منها وهذا هو المستوي بالعقل التجريبي (الثالثة) الفكر الذي يفيد العلم او الظن بمطلوب وراء الحس لا يتعلق به عمل فهذا هو العقل النظري وهو تصوّرات وتصديقات تنتظم انتظاماً خاصاً على شروط خاصة يفيد معلوماً اخر من جنسها في التصور او التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد علوماً اخر كذلك وغاية افادته تصور الوجود على ما هو عليه باجناسه وفصوله واسبابه وعمله فيكمل بالفكر بذلك في حقيقته وبصير عقلاً محضاً ونفساً مدركة وهو معنى الحقيقة الانسانية

فصل في ان عالم الحوادث الفعلية انها يتم بالفكر

اعلم ان عالم الكائنات يشتمل على ذوات محضة كالعناصر واثارها والمكونات الثلاثة عنها التي هي المعدن والنبات والحيوان وهذه كلها متعلقات القدرة الالهية وعلى افعال صادرة عن الحيوانات واقعة بمقصودها متعلقة بالقدرة التي جعل الله لها عليها فمنها منتظم مرتب وهي الافعال البشرية ومنها غير منتظم ولا مرتب وهي افعال الحيوانات غير البشر

وذلك الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع او بالوضع فاذا قصد ايجاد شئ من الاشياء فلاجل الترتيب بين الحوادث لا بد من التفطن بسببه او علته او شرطه وهي على الجملة مبادئه اذ لا يوجد الا ثانيا عنها ولا يمكن ايقاع المتقدم متأخرا ولا المتأخر متقدما وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد الا متأخرا عنه وقد يرتقى ذلك او ينتهى فاذا انتهى الى آخر المبادئ فى مرتبتين او ثلاث او ازيد وشرع فى العمل الذى يوجد به ذلك الشئ بدأ بالمبدأ الاخير التى انتهى اليه الفكر فكان اول عمله ثم تابع ما بعده الى آخر المسببات التى كانت اول فكرته مثلا لو فكر فى ايجاد سقف يكتنه انتقل بذهنه الى الحائط الذى يدعمه ثم الى الاساس الذى يقف عليه الحائط فهو آخر الفكر ثم يبدأ فى العمل بالاساس ثم بالحائط ثم بالسقف وهو آخر العمل (وهذا) معنى قولهم اول العمل آخر الفكرة واول الفكرة آخر العمل فلا يتم فعل الانسان فى الخارج الا بالفكر فى هذه المراتب لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع فى فعلها واول هذا الفكر هو المسبب الاخير وهو آخرها فى العمل واولها فى العمل هو المسبب الاول وهو آخرها فى الفكر ولاجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام فى الافعال البشرية (واما الافعال) الحيوانية لغير

البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذى يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل اذ الحيوانات انما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خالية من الربط لانه لا يكون الا بالفكر ولما كانت الحواس المعبرة فى عالم الكائنات هى المنتظمة وغير المنتظمة انما هى تتبع لها اندرجت حينئذ افعال الحيوانات فيها فكانت مستخرة للبشر واستولت افعال البشر على عالم الحوادث بما فيه فكان كله فى طاعته ونسخره وهذا معنى الاستخلاف المشار اليه فى قوله تعالى اناى جاعل فى الارض خليفة فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التى تميز بها البشر عن غيره من الحيوان وعلى قدر حصول الاسباب والمسببات فى الفكر مرتبة تكون انسانيته فمن الناس من تتوالى له السببية فى مرتبتين او ثلاث ومنهم من لا يتجاوزها ومنهم من ينتهى الى خمس او ست فتكون انسانيته اعلا واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج فان فى اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخمس الذى ترتيبها وضعى ومنهم من يقصر عن ذلك لتصور ذهنه وان كان هذا المثال غير مطابق لان لعب الشطرنج بالملكة ومعرفة الاسباب والمسببات بالطبع لكنه مثال يحتذى به الناظر فى تعقل ما يورد عليه من القواعد والله خالق الانسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا

فصل فى العقل التجريبيّ وكيفية حدوئه

انك تسمع فى كتب الحكماء قولهم ان الانسان هو مدنىّ الطبع يذكرونه فى اثبات النبوات وغيرها والنسبة فيه الى المدينة وهى عندهم كناية عن الاجتماع البشرى ومعنى هذا القول انه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ولا يتم وجوده الا مع ابناء جنسه وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته فهو محتاج الى المعاونة فى جميع حاجاته ابدا بطبعه وتلك المعاونة لا بدّ فيها من المفاوضة اولاً ثم المشاركة وما بعدها وربما تفضى المعاملة عند اتّحاد الاعراض الى المنازعة والمشاجرة فتنشأ المنازعة والهولاءة والصدقة والعداوة ويؤل الى الحرب والسلم بين الامم والقبائل وليس ذلك اى على وجه اتفق كما بين الهمل من الحيوانات بل للبشر بما جعل الله فيهم من انتظام الافعال وترتيبها بالفكر كما تقدّم جعل منتظماً فيهم ويسرهم لايقاعه على وجود سياسيّة وقوانين حكيمّة يتكبرون فيها عن المفاسد الى المصالح وعن الحسن الى التبيح بعد ان يميزوا القبائح والمفسدة بما ينشأ عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة وعوائد معروفة بينهم فيفارقون الهمل من الحيوان وتظهر عليهم نتيجة الفكر فى انتظام الافعال ويعدّها عن المفاسد

(هذه) المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كآل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد لأنها معاني جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسر له منها مقتنصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه حتى يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركها وتحصل في ملابسة الملكة في معاملة أبناء جنسه ومن تتبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية ولا بد بها تسعد التجربة من الزمن وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في اقرب من زمن التجربة اذا قلد فيها الآباء والمشيوخة والأكابر ولقن عنهم ووعى تلاميذهم فيستغنى عن طول المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيد او اعرض عن حسن استماعه واتباعه طال عناؤه في التأديب بذلك فيجري في غير مألوف ويدركها على غير نسبة فتوجد آدابه ومعاملاته سيئة الاوضاع بادية الخلل ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه وهذا معنى القول المشهور من لم يودبه والده اذبه الزمان اى من لم يلقن الآداب في معاملة البشر من والديه وفي معامها المشيخة والأكابر

ويتعلم ذلك منهم رجوع الى تعلمه بالطبع من الواقعات على توالي الايام فيكون الزمان معلّمه وموّدبه لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه (وهذا) هو العقل التجريبيّ وهو يحصل بعد العقل التمييزيّ الذي يقع به الافعال كما بيّناه وبعد هذين مرتبة العقل النظريّ الذي تكفل بتفسيره اهل العلوم فلا يحتاج الى تفسيره في هذا الكتاب والله جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون

فصل في علوم البشر وعلوم الملائكة

انا نشهد في انفسنا بالوجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم (اولها) عالم الحسّ ونعتبره بمدارك الحسّ الذي شاركنا فيه الحيوانات بالادراك (ثم) نعتبر الفكر الذي اختصّ به البشر فنعلم منه وجود النفس الانسانية علما ضروريا بها بين جنبينا من مداركها العلية التي هي فوق مدارك الحسّ فتراه عالما اخر فوق عالم الحسّ (ثم) نستدلّ على عالم ثالث فوقنا بما نجد فينا من آثاره التي تلقى في افئدتنا كالارادات والوجهات نحو الحركات الفعلية فنعلم ان هناك فاعلا بعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الارواح والملائكة وفيه ذوات مدركة لوجود آثارها فينا مع ما بيننا وبينها من المغايرة وربّها يستدلّ على هذا العالم

الأعلى الروحاني وذواته بالروباة وما نجد في النوم ويلقى
 الينا فيه من الأمور التي نحن في غفلة عنها في اليقظة
 وتطابق الواقع في الصحيحة منها فنعلم أنها حق ومن
 عالم الحق وأما أضغاث الأحلام فصور خيالية يخزنها الإدراك
 في الباطن ويجول فيها الفكر بعد الغيبة عن الحس ولا نجد
 على هذا العالم الروحاني برهانا أوضح من هذا فنعالمه
 كذلك على الجملة ولا ندرك له تفصيلا (وما يزعمه)
 الحكماء الألهيون في تفصيل ذواته وترتيبها المسماة
 عندهم بالعقول فليس شيء من ذلك بيقيني لاختلال شرط
 البرهان النظرى فيه كما هو مقرر فى كلامهم فى المنطق
 لان من شرطه ان تكون قضاياه اولية ذاتية وهذه الذوات
 الروحانية مجهولة الذاتيات فلا سبيل للبرهان فيها ولا يبقى
 لنا مدرك فى تفاصيل هذه العوالم إلا ما نقتبس من الشرعيات
 التى يوضحها الايمان ويحكمها واقعد هذه العوالم فى مدركنا
 عالم البشر لانه وجدانى مشهود فى مداركنا الجسمانية
 والروحانية ويشترك فى عالم الحس مع الحيوانات وفى
 عالم العقل والارواح مع الهلائكة الذين ذواتهم من جنس
 ذواته وهى ذوات مجردة عن الجسمانية والهاذة وعقل
 صرف يتحد فيه العقل والعقل والمعقول وكأنه ذات حقيقتهما
 الإدراك والعقل فعلمهم حاصلة دائما مطابقة بالطبع

للعلموانهم لا يقع فيها خلل البتة (وعلم) البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد ان لا تكون حاصلة فهو كله مكتسب والذات التي يحصل فيها صور المعلومات وهي النفس مادة هيولانية تلبس صور الوجود بصور المعلومات الحاصلة فيها شأ شأ حتى تستكمل ويصح وجودها بالموت في مادتها وصورتها فالمطلوبات فيها مترددة بين النفي والاثبات دائما بطلب احدهما بالوسط الرابط بين الطرفين فاذا حصل وصار معلوما افتقر الى بيان المطابقة وربما اوضحها البرهان الصناعي لكنه من وراء الحجاب وليس كالعناية التي في علوم الهلائكة وقد ينكشف ذلك الحجاب فيصير الى المطابقة بالعيان الادراكى فقد تبين ان البشر جاهل بالطبع للتردد الذي في علمه وعالمه بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكره بالشروط الصناعية وكشف الحجاب الذي اشرنا اليه انما هو بالرياضة بالاذكار التي افضلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وبالتنزه عن المتناولات المهمة وراسها الصوم وبالوجهة الى الله بجميع قواد والله علم الانسان ما لم يعلم

فصل في علوم الانبياء عليهم الصلاة والسلام

انا نجد هذا الفن من البشر تعريتهم حالة الهيئة خارجة عن

منازع البشر واحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية في القوى الادراكية والنزوعية من الشهوة والغضب وسائر الاحوال البدنية فتجدهم متنزهين عن الاحوال البشرية الا في الضرورات منها مقبلين على الاحوال الربانية من العباداة والذكر له بما تقتضى معرفتهم به مخبرين عند بما يوحي اليهم في تلك الحالة من هداية الامة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كانه جبلت فطرهم الله عليها وقد تقدم لنا الكلام في الوحي اول الكتاب في فصل المدركين للغيب وبيتنا هنالك ان الوجود كله في عوالم البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعتي من اعلاها واسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم وان الذات التي في آخر كل افق من العوالم مستعدة لان تنقلب الى الذات التي تجاورها من الاسفل والاعلا استعدادا طبيعيا كما في العناصر الجسمانية البسيطة وكما هو في النخل والكرم من آخر افق النبات مع الحلزون والصدف من افق الحيوان وكما في القردة التي استجيع فيها الكيس والادراك مع الانسان صاحب الفكر والسوية وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل افق من العوالم هو معنى الاتصال فيها (وفوق) العالم البشري عالم روحاتي شهدت لنا به الامار التي فينا منه بما يعطينا من قوى الادراك

والارادة فذوات ذلك العالم ادراك صرف وتعمل محض
 وهو عالم الملائكة (فوجب) من ذلك كله ان يكون
 للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية
 لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفي
 لمحمة من اللحات ثم تراجع بشريتها وقد تلقت في
 عالم الملكية ما كلفت بتبليغه الى ابناء جنسها من البشر
 وهذا هو معنى الوحي وخطاب الملائكة والانبيا كلهم
 مفضرون عليه كانه جبلة لهم ويعالجون في ذلك الانسلاخ
 من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم وعلومهم في تلك
 الحالة علم شهادة وعيان لا يحققه الخطأ والزلزل ولا يقع فيه
 الغلط والوهم بل المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب
 وحصول الشهادة الواضحة عند مفارقة هذه الحالة الى
 البشرية لا يفارق علمهم الموضوع استحبابا له من تلك
 الحالة الاولى ولها هم عليه من الذكاء المفضى بهم اليها
 يتردد ذلك فيهم دائما الى ان تكمل هداية الامة التي
 بعثوا لها كما في قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الى
 انما الهكم الد واحد فاستقيوا اليد واستغفروه فافهم ذلك
 وراجع ما قدماه لك اول الكتاب في اصناف الهدركين
 للغيب يتضح لك شرحه وبيانه فقد بسطناه هنالك
 بسطا شافيا والد الموفق

فصل فى ان الانسان جاهل بالذات عالم بالكسب

قد بيّنا اول هذه الفصول ان الانسان من جنس الحيوانات وان الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذى جعل له يوقع به افعاله على انتظام وهو العقل التمييزى او يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من ابناء جنسه وهو العقل التجريبيّ او يحصل به فى تصوّر الموجودات غائبا وشاهدا على ما هي عليه وهو العقل النظريّ وهذا الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ويبدأ من التمييز فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة معدود من الحيوانات لاحق بمبدأه فى التكوين من النطفة والعلقة والرضغة وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والافئدة التى هي الفكر قال تعالى فى الامتنان علينا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو فى الحالة الاولى قبل التمييز هيولا فقط لجهله بجميع المعارف ثم تستكمل صورته بالعلم الذى يكتسبه بالآتة فكمّل ذاته الانسانية فى وجودها وانظر الى قوله تعالى مبدأ الوحي على نبينه اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اى اكسبه من العلم ما لم يكن حاصله له بعد ان كان علقة ومضغة فقد كشفت

لنا طبيعته وذاند ما هو عليه من الجهل الذاتى والعلم الكسبى وشارت اليه الآيتة الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه باول مراتب وجوده وهى الانسانية وحالناه الفطرية والكسبية فى اول التنزيل ومبدأ الوحي وكان الله عليهما حكيما

فصل فى ان تعليم العلم من جملة الصنائع

وذلك ان المحقق فى العلم واليقين فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة فى الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن المحقق فى ذلك الفنّ حاصلًا وهذه الملكة هى غير الفهم والوحى لاننا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفنّ الواحد مشتركًا بين من شدا فى ذلك الفنّ ومن هو مبتدئى فيه وبين العامى الذى لم يحصل علما وبين العالم النحرير والملكة انما هى للعالم والشادى فى الفنون دون من سواهما فدلّ على ان هذه الملكة غير الفهم والملكات كلها جسمانية وسواء كانت فى البدن او فى الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند فى التعليم فى كل علم او صناعة يفتقر الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند اهل كل افق وحيل ويدلّ ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف

الاصطلاحات فيه فلكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم اذ لو كان من العلم لكان واحدا عند جميعهم لا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليقه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية والفقه وكذا كل علم يحتاج (1) الى مطالعة تجد الاصطلاحات في تعليقه متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك (فاعلم) ان سند العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب لهم باختلال عمرانهم وتناقض الدول فيد وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر وذلك ان القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستحضر عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة وورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحصار فلما خربتنا انقطع التعليم عن المغرب الا قليلا كان في اول دولة الموحدين بهراكش مستفاد منهما ولم ترسخ الحصار بهراكش لبدأوة الدولة الموحدية في اولها وقرب انقراضها بمبدها فلم تنصل احوال الحصار فيها الا في الاقل وبعد انقراض الدولة بهراكش ارتحل الى

(1) Man. C. et D. بترجه.

المشرق من افرىقية القاضى ابو القاسم بن زيتون لعهد
 اواسط الهاية السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب
 واخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق فى العقليات والنقليات
 ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره
 من المشرق ابو عبد الله ابن شعيب الدكالى كان ارتحل
 اليه من المغرب فاخذ عنه مشيخة مصر ورجع الى تونس
 واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فاخذ عنها اهل تونس واتصل
 سند تعليمهما فى تلميذهما جيلا بعد جيل حتى انتهى الى
 القاضى محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه
 وانتقل من تونس الى تلمسان فى (1) ابن الامام وتلميذه فانه
 قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفى مجالس باعيانها
 وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان لهذا
 العهد الا انهم من القلة بحيث ينحشى انقطاع سندهم (ثم)
 ارتحل من زاوية فى آخر الهاية السابعة ابو على ناصر الدين
 الهشدي الى المشرق وادرك تلميذ ابي عمرو ابن الحاجب
 واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافى
 فى (2) مجالس واحدة وحذق فى العقليات والنقليات ورجع
 الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل
 سند تعليمه فى طلبتها ورتبها انتقل الى تلمسان عمران

1) Man. C. فى D. فوا. manque.

2) Man. C. et D. omettent.

الهشدة الى تلميذه واوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر اعمار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحدق في العلوم (وايسر) طرق هذا الملكة قوة اللسان بالمجاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة ولا يحصلون في طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من ترى منهم انه قد حصل تجدد ملكته قاصرة في علمه ان فاض او ناظر او علم وما اتاهم التصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ من حفظ من سواهم لشدّة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك ومتما يشهد بذلك في المغرب ان المدّة المعيّنة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ستة عشر سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدّة بالمدارس على التعارف هي اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية او اليأس من تحصيلها فطال امدعا بالمغرب

لهذه العصور لاجل عسرها من قلّة الجودّة في التعليم خاصّة
لا ممّا سوى ذلك واما اهل الاندلس فذهب رسم التعليم
من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين
بها منذ مئتين من السنين ولم يسبق من رسم العلم عندهم
الافن العربيّة والادب اقتصروا عليه واحفظ سند تعليمها
بينهم فانحفظ بحفظه (واما) الفقه عندهم فرسم خلو وانثر بعد
عين (واما) العتليّات فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع
سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها
الا قليلا بسيف البحر شغلهم ببعائشهم اكثر من شغلهم بما
بعدها والله غالب على امره (واما المشرق) فلم ينقطع سند
التعليم فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران
اليوفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي
كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة
الا ان الله قد اذال منها بامصار اعظم من تلك وانتقل
العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من
المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تنزل
موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما (فاهل) المشرق
على الجملة ارسن في صناعة تعليم العالم بل وفي سائر
الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى
المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من

عقول اهل المغرب وان نفوسهم الناطقة اكمل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم فى حقيقة (1) الانسانية ليا يرون من كيسهم فى العلوم والصنائع وليس كذلك ولا بين قطر (2) المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذى تفاوت فى الحقيقة الواحدة اللهم الا (3) الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذى فضل به اهل المشرق اهل المغرب فهو ما يحصل فى النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم فى الصنائع (ونزيدة) الآن شرحا وتحقيقا وذلك ان الحضرة لهم آداب فى احوالهم من العاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذلك سائر عاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم فى ذلك آداب يوقف عندها فى جميع ما يتناولونه ويتلبسون (4) به من اخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهى مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة مترتبة فيرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا مزيدا تستعد به لقبول صناعة اخرى وينتهي به العقل لسرعة الادراك للمعارف (ولقد) يبلغنا فى تعليم الصنائع عن اهل

1) الحفيفة. Man. A. et B.

(2) قطر. Man. D.

3) ان. Man. D. ajoute.

(4) يكسبون. Man. D.

مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الحمر الانسيّة
والحيوانات العجم من الهاشى والطائر مفردات من الكلام
والافعال يستغرب ندورها ويعجز اهل الغرب عن فهمها فضلا
عن تعليمها وحسن الملكات فى التعليم والصنائع وسائر
لاحوال العادية تزيد الانسان ذكاء فى عقله واطاعة فى فكره
بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدّمنا ان النفس انها تنشأ
بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك
كيسا لها يرجع الى النفس من الآثار العلميّة فيظنّه العاتى
تفاوتا فى الحقيقة الانسانيّة وليس كذلك الا ترى الى
الحضرم مع اهل البدو كيف تجد الحضرمى متحلّيا بالذكاء
ممتلئا من الكيس حتى ان البدوى ليظنّه انه قد فاته فى
حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته
من ملكات الصنائع والآداب فى العوائد والاحوال الحضرميّة
ما لا يعرفه البدوى فلما امتلاء الحضرمى من الصنائع
وملكاتها وحسن تعليمها ظنّ من قصر عن تلك الملكات
انها لكمال فى عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها
وجبالتها عن فطرتهم وليس كذلك فاتا نجد فى اهل البدو
من هو فى اعلا رتبة من الفهم والكمال فى عقله وفطرتهم وانها
الذى ظهر على اهل الحضرم من ذلك فهو رونق الصنائع
والتعليم فان لهما آثارا ترجع الى النفس كما قدّمناه وكذا

اهل المشرق لما كانوا فى التعليم والصنائع ارسنح رتبة واعلا قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لها قدمناه فى الفصل قبل هذا ظن الهغلون فى بادى الراى انه كمال الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهيه والله يزيده فى الخلق ما يشاء

صل فى ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة والسبب فى ذلك ان تعليم العلم كما قلناه من جيلة الصنائع وقد كنا قدما ان الصنائع انما تكثر فى الامصار وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقلّة والحضارة والترفى تكون نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة لانه امر زائد على المعاش فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الانسان وهى العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرتة الى العلم ممن نشأ فى القرى والامصار غير المتهدنة فلا يجد فيها التعليم الذى هو الصناعى لفقدان الصنائع فى اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة فى طلبه فى الامصار المستبحرة شأن الصنائع فى اهل البدو واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلوم وتفتنوا فى

اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولها تناقص عمراتها وابدع سكانها انطوى ذلك البساط جهلة بها عليه وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام (ونحن) لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انها هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمراتها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفتنت ومن جعلتها تعليم العلم (واكد) ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان اسراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولاة ولما يخشى من معاتب الهالك ونكباته فاستكشروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف الهائلة يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها او نصيب فيها مع ما فيهم غالبا من الجحوح الى الخير والصلاح والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرائتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت اسواو العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء

فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يتخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلًا وتعليلًا هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف نقلّي ياخذة عن غيره وضعه والاول هي العلوم الحكميّة الفلسفيّة وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشريّة الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقف نظره وبصمته على الصواب من الخطاء فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هو العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحماق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى اللاحق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرّع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلّي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرّعه عنه (واصل) هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيّات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلّق بذلك من العلوم التي تهيوننا للاستفادة منها ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل

القران واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعلم احكام الله المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص او الاجماع او باللاحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه اولا وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلعم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات (ثم) باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث (ثم) لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم اصول الفقه وبعد هذه تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله في افعال المكلفين وهذا هو الفقه (ثم) ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الايمانية في الذات والصفات وامور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام (ثم) النظر في القران والحديث لا بد ان تنقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فنهها علم (اللغة) وعلم (النحو) وعلم (البيان) وعلم (الادب) حسبما نتكلم عليها

كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها العلوم الشرعية (1) المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمحجورة والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القران وقال صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والينا والهكم واحد وراى صلعم فى يد عمر رضى الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال الم اتكم بها بىضاء نقيّة والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى (ثم) ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نغقت اسواقها فى هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى التى لا فوقها وهذبت الاصطلاحات وتربت (2) الفنون فجاءت من وراء الغاية فى الحسن والتنميق وكان لكل فن رجل يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبها نذكره الآن عند تعديد هذه الفنون وقد

1) Man. A. et B. زينت. D.

(2) Man. D. et D. علوم الشريعة.

كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند التعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادرى ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكهاليتية لكثرة العمران فيه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالجزيرة من الاوقاف التي اتسعت بها ارزاقها والله مقدر الليل والنهار

علوم القرآن من التفسير والقراءات

القران هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتى المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة رووه عن رسول الله صلعم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادائها وتنوكل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر (1) نقلها ايضا بادائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجعم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ايده القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك

(1) Man. C. تناثر.

عندهم بقادح فى تواتر القرآن وابه الأكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الآداء منها كالمدة والتسهيل (1) لعدم الوقوف على كَيْفِيَّتِهِ بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيهما (2) كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا وتناقلها الناس بالشرق والاندلس فى جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالى العامريين وكان معنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذه به مولاة المنصور بن ابي عامر واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من ائمة القراء بحضرتة فكان سهده فى ذلك وافر واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة بما كان هو من ائمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءة خصوصا فظهر لعهدده ابو عمرو الدانى وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اسانيدها وتعددت تواليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيره واعتدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القاسم ابن فيرة من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله فى قصيدة لغير

(1) Man. C. التسهيل.

(2) Man. C. et D. فيها.

فيها اسماء القراء بحروف ابجد على ترتيب احكمه ليتيسر عليه ما قصد من الاختصار وليكون اسهل للحفظ لاجل نظيها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولد (1) المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب ولاندلس وربما اعيف الى فن القراءات فن الرسم ايضا وهي اوضاع حروف القران في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في باييد (2) وزيادة لان في لا اذبحنم ولا اوضعوا والواو في جزاؤ الظالمين وحذف الالف في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا ولاصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك وقد مرّ تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه مخالفة لوضع الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب فيها الناس ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى بنى عدرو الداني المذكور فكتب فيها كتبنا من اشهرها كتاب المتقن واخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الرء وولع الناس بحفظها (ثم) كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود سليمان بن

(1) Man. D. الولدان.

(2) Man. B. بنى عدرو.

بجراح من موالى مجاهد فى كتبه وهو تلميذ ابى عمرو
الدانى المشهور بحمل علومه ورواية كتبه (ثم) نقل بعده
خلافى اخر فنظم الخراز من المتأخرين بالهغرب ارجوزة
اخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لناقليه واشتهرت
بالهغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها كتب ابى
داوود وابى عمرو والشاطبى فى الرسم

واما التفسير

فاعلم ان القران نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم
وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه وكان
ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض
الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو فى العقائد الايمانية
ومنها ما هو فى احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما
يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبى صلعم هو المبين لذلك
كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فكان النبى
صلعم يبين الجميل ويبين الناسخ من المنسوخ ويعرفه
اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال
منها منقولا عنه كما علم من قوله اذا جاء نصر الله والفتح
انها نعى النبى صلعم وامثال ذلك عن الصحابة رضوان
الله عليهم وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل عنهم

ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسابق حتى
صارت المعارف علوما ودونت الكتب فكتب الكثير
من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين
وانتهى ذلك الى الطبرى والواقدى والثعالبى وامثالهم
من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من الآثار ثم
صارت علوم اللسان صناعية (1) من الكلام فى موضوعات
اللغة واحكام العرب والبلاغة فى التراكيب فوضعت الدواوين
فى ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى
نقل ولا كتاب فتنوسى ذلك وصارت تتلقى من
كتب اهل اللسان فاحتيج الى ذلك فى تفسير القرآن
لانہ بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على
صنفين تفسير نقلى مستند الى الآثار المنقولة عن السلف
وهى معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآى
وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد
جمع المتقدمون فى ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم
نشئت على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب فى
ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم
وانما غلب عليهم البداوة والامية فاذا تشوفوا الى معرفة
شىء مما تشوف اليه النفوس الانسانية فى اسباب

المكونات وبدء الخليفة واسرار الوجود فانما يسئلون عنه
اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه (I) منهم وهم اهل التوراة
من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل التوراة الذين
بين العرب يومئذ باذية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما
تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم حبير الذين اخذوا
بدين اليهودية فلما اسلبوا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق
له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء
الخليفة وما يرجع الى الحدثن والملاحم وامثال ذلك
وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام
وامثالهم فامتلاءت التفاسير من النقولات عنهم في امثال
هذه الاغراض اخبارا موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام
فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل
المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه
النقولات واصلها كما قلناه عن اهل التوراة الذين يسكنون
البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك
الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم بما كانوا عليه من
المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما
رجع الناس الى التحقيق والتمحيص وجاء ابو تجد بن عطية
من المتأخرين بالمغرب فالتخص تلك التفاسير كلها وتحرى

1° Man. D. يستقلونه.

ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب ولاندلس حسن المنحى (وتبعه) القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق (والصنف الاخر من التفسير) وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والبلاغة في تأدية المعنى بحسن المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد عن الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعات نعم يكون في بعض التفسير غالباً (ومن) احسن ما اشتغل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم العراق الا ان مؤلفه من اهل الاعتزال في العقائد فيأني بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث نعرض له في آي القران من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من اهل السنة انحراف عند تحذير الجمهور من مكائده مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفاً على المذاهب الستية محسناً (١) للحجاج عنها فلا جرم انه مأمور من غوانله فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل الينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من اهل توريز من عراق العجم

(١) Man. D. مستتب.

شرح فيه كتاب الرّمخسرى هذا وتتبع الفاظه وتعرض
لمذاهبه في الاعتزال وادلتّه يزينها ويبين ان البلاغة انما تقع
في الآية على ما يراه اهل السنة لا على مذهب المعتزلة
فاحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه (1) في سائر فنون
البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

علوم الحديث

وامّا علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة فان منها ما
ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا
من جواز النسخ ووقوعه لظفا من الله تعالى بالعباد وتخفيفها
عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها قال تعالى
ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها
(ومعرفة) النسخ والمنسوخ وان كان عامّا للقران والحديث
آلا ان الذى فى القران منه اندرج فى تفاسيره وبقي ما
كان خاصّا بالحديث راجعا الى علومه فاذا تعارض الخبران
بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم
تقدم احدهما تعين ان المتأخر ناسخ وهو من اهم علوم
الحديث واصعبها قال الزهرى اعيان الفقهاء واعجزهم ان
يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلعم من منسوخه وكان
للشافعى رضى الله عنه فيه قدم راسخة (ومن) علوم

(1) Man. A. et B. امتناعه.

الحديث (1) معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين لمعرفة الاسانيد والرواة واسمائهم وكيفية اخذ بعضهم عن بعض واحوالهم وطبقاتهم واختلاف اصطلاحاتهم وتحصيل ذلك ان الاجماع واقع على وجوب العمل بالخبر الثابت عن رسول الله صلعم وذلك بشرط ان يغلب على الظن

(1) Les deux manuscrits C. et D. offrent ici une rédaction toute différente. On y lit :

من علوم الحديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الاحاديث يفرغ على السند الكامل المشروط لان العمل انما يجب بما يغلب على النظر صدقه من اخبار رسول الله صلعم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وتوابع معرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتدليهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليلا على القبول او الترك وكذلك مراتب حوالة النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتمييزهم فيه واحدا واحدا وكذلك الاسانيد تتفاوت باقتصاها وانقطاعها بان يكون الراوى لم يلق الراوى الذي نقل عند وبسلامته من العلل الموحدة لها ويستهي بالتفاوت الى طريقين يحكم بتقويل الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن ولهم في ذلك الفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من العادة المتداولة بينهم وتبريرا على كل واحد منها ونقلوا ما فيها من الخلاف لائتة الشأن او الرفاقي ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مندولة او اجردة وتفاوتت وتباها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك في الفاظ تنفع في متن الحديث من غريب او مشكل او تصحيف او مفتوح منها ومختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه وكابت احوال نمثلة الحديث في عصر السلف من الصحابة والتابعين معروفة كل عند اهل بلده فمنهم بالاجاز ومنهم بالصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون ومشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الاجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلا من سواهم وامس في الصحة لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتجب فيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك

صدقه فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل
 ذلك الظن وذلك بالنظر في اسانيد الحديث بمعرفة
 رواته بالعدالة والضبط والاتقان والبراءة من السهو والغفلة
 بوصف عدول الامة لهم بذلك (ثم) تفاوت مراتبهم فيه ثم
 كيفية رواية بعضهم عن بعض بسماع الراوى من الشيخ
 او قراءته عليه او سماعه تقرأ عليه وكتابة الشيخ له او مناولته
 او اجارته في الصحة والقبول منقول عنهم واعلا مراتب
 المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن وادون مراتبها الضعيف
 ويشتمل على المرسل والمنقطع والمعضل والهعلل والشاذ
 والغريب والمنكر فمنها ما اختلفوا في رده ومنها ما اجتمعوا
 عليه وذلك شأنهم في الصحيح فبده ما اجتمعوا على
 قبوله وصحته ومنها ما اختلفوا فيه وبينهم في تفسير هذه
 الالقباب اختلاف كثير (ثم) اتبعوا ذلك بالكلام في الفاظ
 تقع في متون الحديث من غريب او مشكل او تصحيف
 او منترك ووضعا لهذه الفصول كلها قاندا كفيلا ببيان
 تلك المراتب والالقباب وسلامة الطرق عن دخول النص
 فيها (واول) من وضع في هذا القانون من فحول
 ائمة الحديث ابو عبد الله الحاكم وهو الذي هذب واطهر
 محاسنه وتوايلفه فيه مشهورة (ثم) كتب ائمتهم فيه من بعده
 واشهر كتاب للمتأخرين فبه كتاب ابى عمرو بن الصلاح

كان في أوائل الهياة السابعة وتلاه محيي الدين النووي
 بيثل ذلك والفن شريف في معزاه لأنه معرفة ما يحفظ به
 السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى يتعين قبولها او
 ردها (واعلم) ان رواة الستة من الصحابة والتابعين معروفون
 في امصار الاسلام منهم بالحجاز وبالكوفة والبصرة ثم بالشام ومصر
 والجميع معروفون ومشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل
 الحجاز في الاسانيد اعلا من سواهم وامتن في الصحة لاشتدادهم
 في شروط النقل من العدالة والضبط بتجافهم عن قبول المستورين
 المجهولة احوالهم وسيد الطريقة الحجازية بعد السلف الامام
 مالك عالم المدينة ثم اصحابه مثل الامام ابي عبد الله
 محمد ابن ادريس الشافعي رضي الله عنه وابن وهب وابن
 بكير والتغبي ومجد بن الحسن ومن بعدهم الامام احمد بن
 حنبل في اخرين من امثالهم (وكان) علم الشريعة في
 مبداء الامر نقلا صرفا لا نظرا ولا رايًا ولا تعبقًا في القياس
 وشتملها السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها (وكتب)
 مالك رحمه الله كتاب الموطا على طريقة الحجازيين اودعه
 اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب
 الفقه (ثم) عن الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيد
 المختلفة الحجازية والعراقية وغيرها وربما يقع اسناد الحديث
 من طرق متعددة وعن رواة مختلفين وقد يتحد في بعض

الاحاديث ويتعدّد ويتكرّر الحديث في ابواب الفقه باختلاف
 المعانى التى اشتبه عليها (وجاء) محمد بن اسمعيل البخارى
 امام المحدثين فى عصره فوسع نطاق الرواية وخرّج احاديث
 السنّة على ابوابها فى مسنده الصحيح وجمع طرق
 الحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما
 اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرّر الاحاديث يسوقها فى
 كل باب بمعنى ذلك الباب الذى تضمنه الحديث فتكرّرت
 لذلك احاديثه فى الابواب باختلاف معانيها كما اشرنا
 اليه فاشتمل كتابه على سبعة آلاف حديث ومايتين
 تكرّرت منها ثلاثة آلاف وفرّق الطرق ولاسانيد عليها
 مختلفة فى كل باب (ثم) جاء الامام مسلم ابن الحجاج القشيري
 رحمه الله فالق مسنده الصحيح اتبع فيه البخارى فى
 نقل المجمع على صحته وحذف المتكرّر منها وجمع الطرق
 ولاسانيد فيؤيد على ابواب الفقه وتراجمه ومع ذلك فلم
 يستوعب الصحيح كله واستدرك الناس عليهما بما اغفلا عن
 شروطهما (ثم) كتب ابو داود السجستاني وابو عيسى
 الترمذى وابو عبد الرحمن النسوى فى السنن باوسع من
 الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة
 العالية فى الاسناد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذى
 دونه كالحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنّة والعمل

بها وهذه هي المسانيد المعتمدة (1) في اليلة وهي اسماء كتب الحديث في السنة (2) (ولحق) بهذه الخمسة مسانيد اخرى كمسند ابى داود الطيالسى والبخارى وعبد بن حميد والدارمى وابو يعلى اليوصلى والامام احمد قاصدين فيها اليساندا عن الصحابة من غير ان يكون محتجا بها هكذا قال ابن الصلاح وفى الرواية عن الامام احمد انه كان يقول لابنه عبد الله فى كتابه المسند وهو يشتمل على احد وثلاثين الف حديث وعن جماعة من اصحابه انهم قالوا قرأ علينا المسند وقال هذا كتاب انتقيته من سبعماية الف وخمسين الف حديث فما اختلف فيه المسلمون من الاحاديث النبوية ولم يجدوه فيه فليس بحجة فهذا يدل على ان جميع ما فى مسنده يصح الاحتجاج به عكس ما قاله ابن الصلاح نقلته من مناقب الامام احمد لابن الجوزى (وقد) انقطع

(1) Man. C. et D. المشهورة.

(2) Les man. C. et D. offrent ce qui suit : فانها وان تعددت فترجع الى مدته فى : عام الحديث ورتبها فترد عنها الالاب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هى عام الحديث ورتبها فترد عنها الناسخ والمنسوخ فمجعل فتنا برأسه وكذا الغريب وللناس فيه ترايف مشهورة ثم المؤلف والمختلف وقد ات الناس فى علوم الحديث واكثرها ومن فحول علمائهم وانهمهم ابو عبد الله الحاكم وترايفه فيه مشهورة وهو الذى جذبه واظهر محاسنه واسهر كتاب المشاهير فيه كتاب شهرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وثلاثة مائة من الدين النبوى بهمل ذلك والف شريف فى معزاه لانه معرفة ما يحفظ به السن النبوية عن صاحب الشريعة.

لهذا العهد تخريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بان هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شأ من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وإنما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الأتمهات المكتوبة وضبطها بالرواية (1) وإسنادها الى مؤلفيها لتتصل للأسانيد محكمة من مبدئها الى منتهاها ولم يزدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الأتمهات الخمسة الا في الأقل (فاما) صحيح البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا (2) مناه (3) من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم وكذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في التراجم (4) لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها ومن النظر في تراجمه بيان

عن مصنفها والنظر في اسانيدها الى مؤلفيها وعرض ذلك على ما Man. C. et D. تستقر في علوم الحديث من الشروط والاحكام.

(2) Man. D. استغلقوا.

(3) Man. C. et D. نتخله.

(4) Man. D. الفقه وتراجمه. Man. A. et B. التفقه. Man. C. تراجمه.

المناسبة بين الترجمة والاحاديث التي في ضمنها فقد وقع له كثير من تراجمه خفاء المناسبة بينها وبين الاحاديث التي في ضمنها وطال كلام الناس في بيانها كما وقع في كتاب الفتن في الباب الذي ترجم فيه بقوله باب تخريب البيت ذو السويقتين من الحبشة ثم قال في الباب قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ولم يرد على ذلك شأ وحفى على الناس وجه المناسبة بين هذه الترجمة وما في الباب فمنهم من قال كان المصنف رحمه الله يكتب التراجم في المسودة ثم يكتب الاحاديث في كل ترجمة بحسب ما تيسر له وتوفى قبل ان يستوفى حشو التراجم فروى الكتاب كذلك وسمعت من اصحاب القاضي ابن بكار قاضى غرناطة واستشهد في واقعة طريف سنة احدى واربعين وسبعماية وكان قائما على صحيح البخارى انه اراد بالترجمة تفسير الآية بان ذلك مشروع لا مقدر لان الاشكال انما جاء من تفسير جعلنا بقدرنا واذا كان بمعنى شرعنا لم يكن لبس في تخريب ذى السويقتين اياها سمعت ذلك من شيخنا ابي البركات البلغيتى عنه وكان من اجلة تلميذه ومن شرح الكتاب ولم يستوف هذا كله فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن الهيثم وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم

الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون ان
احدا من علماء الأمة لم يوف ما وجب له من الشرح
بذلك الاعتبار (واما) صحيح مسلم فكثرت عناية علماء
المغرب فيه واكتبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب
البخاري قال ابن الصلاح انما تفضل (1) على كتاب البخاري
بما وقع فيه من تجريده عما مزج به البخاري كتابه من
غير الصحيح مما لم يكتبه على شرطه واكثر ما وقع له ذلك
في التراجم واما الامام المازري من فقهاء المالكية عليه
شرحا وسمّاه المعلم بفوائد المسلم واشتمل على عيون من
علم الحديث ومتمين من الفقه ثم اكمله القاضي عياض
من بعده وتمّيه وسمّاه اكمال المعلم وتلاهها محيي الدين
النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما وجاء
شرحا وافيا واما كتب السنن الاخرى الثلاثة وفيها معظم
ما أخذ الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص
بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك
ما يحتاج اليه من علوم الحديث وموضوعاتها والمسانيد التي
اشتبهت على الاحاديث المعمول بها من السنة (واعلم) ان
الاحاديث قد تميّزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح
وحسن وضعيف ومعلول وغيرها ميّزها ائمة الحديث

(1) Mau. A. et B. يفضل

وجها بذته وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما لم يصح
من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث
بطرفها واسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سنده وطريقه
تفطنوا الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد
وقصد المحدثون اسحانه فسألوه عن احاديث قلبوا اسانيدها
فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع
تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل مستن الى
سنده فاقروا له بالامامة (واعلم) ايضا ان الأئمة المجتهدين
تفاوتوا في الاكثار من هذه البضاعة (1) والاقلال فابو حنيفة
رحمه الله يقال انه انما بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا
او نحوها الى خمسين ومالك رحمه الله انما صح عنده ما
في كتاب الموطا وغايتها ثلثماية حديث او نحوها واحمد
بن حنبل رحمه الله في مسنده ثلاثون (2) الف حديث والكل
على ما اذا هم اليه اجتهادهم في ذلك وقد يقول بعض
المتعصبين المتعسفين ان منهم من كان قليل البضاعة في
الحديث ولهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في
كبار الأئمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن
كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته

(1) Man. D. الصناعة.

(2) Man. C. et D. اربعون.

والجَدِّ والتشْمِيرِ فِي ذَلِكَ لِيَأْخُذَ الدِّينَ عَنِ أَصُولِ صَحِيحَةٍ
وَيَتَلَقَّى الْأَحْكَامَ عَنْ صَاحِبِهَا الْمُبْلَغِ لَهَا عَنِ اللَّهِ وَأَمَّا أَقْلُ
مِنْهُمْ مِنْ أَقْلِ الرَّوَايَةِ لِأَجْلِ الْمُطَاعِينَ الَّتِي تَعْتَرِضُهُ فِيهَا
وَالْعُلَلُ الَّتِي يَغِيصُ فِي طَرَفِهَا سَيِّئًا وَالْجَرَحُ مُقَدَّمٌ عِنْدَ
الْأَكْثَرِ فَيُؤَدِّيهِ لِالْاجْتِهَادِ إِلَى تَرْكِ الْأَخْذِ بِمَا يَعْضُرُ مِثْلَ
ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَطَرُقِ الْأَسَانِيدِ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فَتَنْقَلُ
رَوَايَتُهُ لِضَعْفِ الطَّرِيقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رَوَايَةِ
لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهَجْرَةِ وَمَأْوَى
الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ بِالْجِهَادِ
أَكْثَرًا وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ أَنَّهَا قَالَتْ رَوَايَتُهُ لَمَّا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ
الرَّوَايَةِ وَالتَّحْمِيلِ فَاسْتَصْعَبَ وَضَعْفُ الْحَدِيثِ إِذَا عَارِضَهُ
العَقْلُ القَطْعِيُّ فَاسْتَصْعَبَتْ رَوَايَتُهُ فَقُلَّ حَدِيثُهُ الْآنَ أَنَّهُ تَرَكَ
رَوَايَتَهُ الْحَدِيثَ مُتَعَدِّيًا فَمَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَبَدَّلَكَ عَلَى أَنَّهُ
مِنْ كِبَارِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِيَادَ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ
وَالْتَعْوِيلَ عَلَيْهِ وَاعْتِبَارَهُ رَدًّا وَقَبُولًا وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ
الْجَمْهُورُ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَالكُلُّ عَنِ اجْتِهَادِ
وَقَدْ تَوَسَّعَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رَوَايَتُهُمْ
وَرَوَى الطُّحَاوِيُّ فَأَكْثَرَ وَكُتِبَ مَسْنَدُهُ وَهُوَ جَلِيلُ القَدْرِ
الْآنَ لَا يَعْدِلُ الصَّحِيحِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا مَجْمُوعٌ عَلَيْهِمَا بَيْنَ الْأُمَّةِ كَمَا قَالَ سُوْدُ

وشروط الضحاوقى غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره فلذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قيل فى الصحيحين بالاجماع على قبولها من جهة الاجماع على صحة ما فيها على الشروط المتفق عليها فلا تاخذت رتبة فى ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجليل بهم والتياس المخارج الصحيحة لهم (ثم) من علوم الحديث تصريف هذا القانون فى الكلام على الاحاديث واحدا واحدا فى اربابها وتراجعها فى تفاسير هذه المسانيد كما فعله الحافظ ابو عهر بن عبد البر وابو محمد بن حزم والقاضى عياض ومحيى الدين النووى وابن العطار بعدهما وكثير من ائمة المغاربة واليشارقة وان كان فى كلامهم على تلك الاحاديث غير ذلك من فقد متونها ولغتها واعرابها الا ان كلامهم فى اسانيدنا بصناعة الحديث اوعب واكثر هذه اصناف علوم الحديث المتداولة بين ائمة الادصار لهذا العهد والذاهدى الى الحق واليعين عابد

APPENDICE.

Pages 363 et suiv.

Au lieu des six chapitres que j'ai donnés, d'après les manuscrits A. et B., les deux exemplaires C. et D. offrent seulement ce qui suit :

فصل في ان العلوم والتعليم طبيعيتي في العمران البشرى

وذلك ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في
حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدى به لتحصيل معاشه
والتعاون عليه بابناء جنسه والاجتماع المهية لذلك وقبول ما
جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح
اخراه فهو مفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر
فيذ طرفة بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر وعن هذا
الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا
الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل
ما يستدعيه الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس
عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه
بمعرفة او ادراكات (1) او اخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين

(1) Man. D. ادراء.

يبلغونه لمن يلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه
وعليه ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد من الحقائق
وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد اخر ويتمرن على ذلك
حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له
فيكون علمه حينئذ بها يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا
وتتشوق نفوس اهل الجيل الناشئ الى تحصيل ذلك
فيفزعون الى اهل معرفته ويسجدوا للتعليم من هذا فقد تبين
بذلك ان العلم والتعليم طبيعتي في البشر والله اعلم